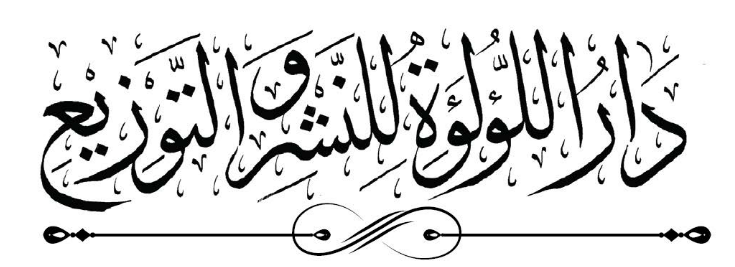

فَصْلُ الْمَقَالِ فِي صَلاحِ الْبَالِ



الطبعة الأولىٰ

١٤٤٤هـ -٢٠٢٣م



@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

فَصْلُ الْمَقَالِ فِي صَلاحِ الْبَالِ

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢]

تصنيف

د/ هاني فضل علام




بسم الله الرحمن الرحيم

فيـــا ذا الفضـــلِ والجـــودِ   وبـــاري كـــلِّ موجـــود

أَنِلْنِـــي راحـــةَ البـــالِ   مـــعَ المختـــارِ والآلِ

إهداء

أُهْدِي هَذَا الْعَمَلَ الْمُتواضعَ إِلِى أَبِي رَحِمَهُ اللهُ، وطيبَ ثراهُ، وأُمِي حفظهَا اللهُ، وألبسها ثوب العافية وباركَ فِي عمرهَا.

وإِلَى أخي الشيخ محمدٍ الذِي لِي بمنزلةِ الوالدِ فله فضلٌ كبير عليَّ بعد ربي عَزَّ وَجَلَّ، فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يلبسه ثوب العافية، وأن يبارك له في عمره، وعمله، وزوجه، وذريته.

وإلى بقية إخوتي: انتصَار، ومُنَى، وأحمدَ حفظَهمُ اللهُ، وباركَ فيهِمْ وفِي ذرياتِهِمْ.

وإِلَى زوجتِي الغالية أمِّ معاذٍ بارك الله سعيها، وجعل بذلها في ميزان حسناتها، وجزاها عني خير الجزاء.

وإلى أولادِي حفصةَ، وعائشةَ، وسميةَ، ومعاذٍ، وحمزةَ باركَ اللهُ فيهمْ، وأصلحَ بالَهُمْ، ونفعَ بهمْ.

وإِلَى الشيوخ الأفاضل: الشيخ جمعة عيسى، والشيخ عيد حسن، والشيخ صُبحِي المسلمانِي، والشيخ إسلامِ شعبانَ، والشيخ سمير خضير، والشيخ إبراهيم عيسى، والشيخ إسلام أبي زيدٍ، والأخ سالم أبي زيدٍ باركَ اللهُ فيهم، وأصلحَ ذريتهم، وجعل سعيهم في موازين حسناتهم.

وإِلَى شيخِي الحبيبِ-الذي لن أنساه- الدكتورِ عمَاد عيسَى رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعةً، والدي المعلِّم الذي رباني على حب العلم، والدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، الذِي وضعنِي علَى طريقِ طلبِ العلمِ، والدعوةِ، والتصنيفِ، فأسأَلُ اللهَ أنْ يجزيَهُ خيرَ الجزاءِ عنِ العلمِ وأهلهِ.

وإلى شيخي الحبيب الرباني الشيخ أبي عبد الله إسماعيل العضامي الذي له يدٌ عليَّ طولى فأسأله الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكافئه، ويجزيه عني خير الجزاء.

محبكم في الله

هاني علام

مُقَدِّمَةٌ

أ.د عبد الرحمن إبراهيم فودة

الحمد لله الذي جعل القرآن نورًا نهتدي به في الظلمات، وسبيلًا إلى دار العز والمكرُمات، ومرقاة نرتقي بها لأعلى الدرجات، فسبحان من جعل في القرآن الشفاء، وفي الذِّكر الطمأنينة والدواء، وأشهد ألا إله إلا هو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، وأصلي وأسلِّم على خير الرسل والأنبياء، وسيِّد العُبَّاد الأتقياء، سيدنا محمد ﷺ، ورضي الله عن صحابته الأجلَّاء، والتابعين الفضلاء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فلم يَحِد عن هَديِ رسول الله ﷺ وسنَّته، نسأل الله أن يجمعنا بهم في جنته، ودار نعمته، ومستقر رحمته؛ فإنه ولي ذلك والقادر عليه، والخير في يديه، والشر ليس إليه، سبحانه خلق الخلق وما يفعلون، ورسلُه لديهم يكتبون، ولا يتقبَّل إلا من المسلمين الذين يتقون؛ فـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

أما بعد..

فليس هناك من شك في أن مجتمعاتِنا المسلمةَ في شتى بقاع الأرض ترزح تحت قيود المادية، وترسف في أغلال الرأسمالية، وأصبح كل شيء مقيسًا بثمنه وشهرته، لا بحقيقة قيمته، فكم من نفيس بيع بثمن بخس! وكم من رديء تافه حُمِل فوق الرأس! وقد سكت العلماء أو أُسكِتوا، وفُرِّق جمعُهم وشُتِّتوا، ونطق الأرذال الجُهَّال الرويبضات، فزادوا في جسد أمتنا الجريحِ الندبات، وأتته من قِبَلِهم الطعنات!

ومع انتشار وسائل التواصل، صار فئام من الناس نهمين بتصوير كل ما هو كائن لهم وحاصل، ليملؤوا بثمن نشره الحواصل!

وهذا يراه نظيرٌ فيُكاثِر، أو ندٌّ فيُعاثِر، أو فقير اليقين والمال، فيبكي أسىً على سوء الحال، فلا يذوق واحد منهم لذة راحة البال!

وفي هذه اللجج المتلاطمة، وأوجاع الأمة المتراكمة، تظهر لنا أهمية الإنابة إلى سبيل العبادة، وطريق السعادة؛ لتستقيم حالنا، فينصلح بالنا.

وصلاح البال -وما يترتب عليه- يعد بحق جنة الدنيا ومستراح أهلها، ولا جرم فقد أُنفقت النفائس من أجلها، ولكن لم يفز بها إلا من رضي عن ربه، وامتلأ قلبه بحبه، فانقاد لحكمه وأذعن لقضائه، فدخل -بفضل ربه- في زمرة أوليائه.

وقد أحسن الأخ الحبيب الأستاذ **هاني فضل علام** في اختيار هذه القضية لتكون موضوع بحثه وكتابه، وقد أجاد في ذكر طرق تحصيل صلاح البال وتعديد أسبابه، وهي أسباب كثيرة متعددة لم تكد تترك جانبًا من جوانب الحياة إلا وذكرته، وأوضحت كيف يكون صلاح البال فيه وبيَّنته.

فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وأجزل له المثوبة وكتب له الثناء، وإنا لنرجو أن يتنبَّه طلاب العلم النابهون إلى خطير قضايا أمتهم، وأن يحرصوا على هدايتها وهدايتهم، وأن يهتموا به فيبينوه، وألا ينشغلوا بما دونه فيهملوه، وأن يستعينوا بالله العلي الكبير، إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه:

أ.د عبد الرحمن إبراهيم فودة

أستاذ النقد الأدبي والبلاغة -كلية دار العلوم – القاهرة

مقدمة

فضيلة الشيخ أبي عبد الله إسماعيل العُضَاميّ (حفظه الله)

الحمدُ لله مبدعِ الأرواح وخالقِ الجسد، وفاتحِ الأغلاق والعُقَد، ومانحِ الأعلاق والعُدَد، ومن أنفَسها الهدى والرَّشد، أحمده حمدًا بعدد ما يتكرر من لحظات العيون ويتعدد، ويتجدد من أنفاس الصدور ويتردد.

والصلاة والسلام على أكرم والد وولد، محمد وآله صلاةً تبقى وتتأبد، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

أما بعد،

فإن من أعظم المنن على المسلم عامة وعلى طالب العلم خاصة أن يشرح الله له صدره، وأن يهدي حاله، وأن يصلح باله، فلا يضيق بشيءٍ من عطن الحياة وهمومها، ولا ينحني لمضايق الأمور وشعابها، ولا يتوقف عند اعتراض المشكلات وصعابها، ولا يتقهقر لزحمة الأحزان واضطرامها؛ فإن هذا والله من أعظم المنن، وأجلِّ النعم، فكم أثقلت الهموم من عاملٍ للآخرة، وكم عطلت من طالب للمغفرة، فشرحُ الصدر مطلبٌ لا يُستغنى عنه، وحالةٌ لا يُزهد فيها، فهو أكبر عونٍ للعبد على أمره ودعوته ورسالته؛ ولذلك طلبه موسى عليه السلام،

وهو يناجي ربه بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ ﴾ [طه:٢٥]، وقد امتن الله به على نبينا ق فقال له: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح:١] «يعني: أما شرحنا لك صدرك، أي: نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا كقوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحًا واسعًا سمحًا سهلًا، لا حرج فيه، ولا إصر، ولا ضيق»، ومن تأمل في حياته وسيرته ق علم حقًا أثر هذه النعمة العظيمة عليه ق، ومع هذا فقد علمنا ق أن نكثر الدعاء والتضرع لربنا سبحانه أن يعيذنا من الهم والحزن:

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «**التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ**»، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ق، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**».

فتأمل في قوله أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ» فإذا كان هذا حاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أكمل الخلق، وأرضاهم بقدر الله تعالى، وأطوعهم لله في سره وعلانيته، فكيف بنا نحن، ولذا كان بعض علمائنا يوصينا بكثرة سؤال الله تعالى بهذا الدعاء، حتى سمعته مرةً يقول: يجب على طالب العلم أن يدعو بهذا الدعاء كل يوم.

والهمُّ والحزنُ حالةٌ لا يكاد يعرى المرء عنها مهما أوتي من الأسباب المادية للسعادة، وكلما قوي نصيب العبد وحظه من الإيمان وطاعة الرحمن

قوي نصيبه من السعادة والسرور ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن القيم وهو يحدث عن شيخ الإسلام:

«وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا، وقوةً، ويقينًا، وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنَّته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»(١).

فصلاح البال حالة مرضية في الدنيا تشبه حالة أهل الجنة في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤]

فمن وجد راحة البال وسعادة الخاطر في بعض الأحوال شعر بأنه يساكن أهل الجنان في نعيمهم «وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، وقال آخر: مساكين أهل الدنيا

---

(١)الوابل الصيب (ص:٦٧).

خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى، ومعرفته، وذكره، أو نحو هذا، وقال آخر: إنه لتمرُّ بالقلب أوقاتٌ يرقصُ فيها طربًا، وقال آخر: إنه لتمر بي أوقاتٌ أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيبٍ».

وقال ابن القيم : «وسمعت شيخ الإسلام أبن تيمية -قدس الله روحه- يقول:" إن في الدنيا جنةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحتُ فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة، وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملءَ هذه القاعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله.

وقال لي مرةً: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد:١٣]»(١).

فطلب راحة البال -إذن- مطلبٌ شرعيٌ ، بل هو مطلبٌ دنيويٌ؛ فإن راحة البال هو الحصن الحصين من كثيرٍ من الأمراض النفسية، ولا يبعد أن يكون

(١) الوابل الصيب (ص: ٦٧).

حصنًا حصينًا من الأمراض العضوية أيضًا، ألم يقل الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد ٢٨].

وكم جنى العالم من حالات انتحارٍ، وحالات اكتئابٍ، وفقدان عقلٍ، وأزماتٍ نفسيةٍ، وهيستريا الوسواس القهري، إلى غير ذلك من أنواع الأمراض النفسية والعصبية، ويكفي نظرة على المجتمع المسلم الآن كم خيَّم الحزن والكرب على كثيرٍ من بيوت المسلمين، حتى غدت كالقبور المظلمة على أهلها من كثرة ما يغشاها من الهم والحزن.

فجزى الله خيرا أخي المبارك أبا معاذ: هاني بن فضل علام على هذا البحث الطيب الذي يعالج قضية من أهم القضايا الحياتية واليومية، والتي تشغل بال كل مسلم ومسلمة، كما أسأله سبحانه أن يكتب التوفيق والقبول لمؤلفه هذا خاصة ولعموم مؤلفاته عامة، وأن يجعله في موازين حسناته، وأن يثبتنا وإياه على دينه.

وهذا وصلى الله على نبينا محمد ق، وعلى أزواجه وأصحابه إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه حامدًا لربه مستغفرًا

مسلمًا على نبيه مصليًا

إسماعيل العضامي

الاثنين ٢٠ ربيع الآخر ١٤٤٤هـ

١٤ نوفمبر ٢٠٢٢م

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للهِ قَاهِرِ الْمُتَجَبِّرِ وَمُذِلِّهِ، وَرَافِعِ الْمُتَوَاضِعِ وَمُجَلِّهِ، لا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ وَقْعُ الْقَطْرِ فِي أَضْعَفِ طَلِّهِ، وَلا يَغِيبُ عَنْ بَصَرِهِ فِي الدُّجَى دَبِيبُ نَمْلِهِ، رَفَعَ مَنْ شَاءَ بِإِعْزَازِهِ كَمَا حَطَّ مَنْ شَاءَ بِذُلِّهِ، اخْتَارَ مُحَمَّدًا مِنَ الْخَلْقِ فَكَأَنَّ الْكُلَّ خُلِقُوا مِنْ أَجْلِهِ "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" أحمده على أَجَلِّ الإِنْعَامِ وَأَقَلِّهِ، وَأَشْهَدُ بِوَحْدَانِيَّتِهِ شَهَادَةَ مُصَدِّقٍ قَوْلِهِ بِفِعْلِهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لنقض الكفرِ وحلِّهِ، فقام معجزه ينادي: «فائتوا بسورة من مثله» ﷺ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَاصِلِ حَبْلِهِ، وَعَلَى عُمَرَ الَّذِي كَانَ يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ، وَعَلَى عُثْمَانَ مُجَهِّزِ جيشِ الْعُسْرَةِ، وَعَاقِدِ شَمْلِهِ، وَعَلَى عَلِيٍّ أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَمُقَدَّمِ أَهْلِهِ، وَعَلَى عَمِّهِ الْعَبَّاسِ صِنْوِ أَبِيهِ وَأَصْلِهِ.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ جَمِيعُ الْخَلائِقِ مُفْتَقِرُونَ إِلَى فَضْلِهِ، يَا مُنْعِمًا بِالْجَزِيلِ عَلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، سَامِحْ كُلا مِنَّا فِي جِدِّهِ وَهَزْلِهِ، وَارْزُقْنَا إِقْدَامَ شُجَاعٍ وَلِيَ الْعَدُوَّ وَجَمْعَهُ وَلَمْ يُولِّهِ، وَارْحَمْنَا يَوْمَ يَذْهَلُ كُلُّ خَلِيلٍ عَنْ خِلِّهِ، وَانْفَعْنِي وَالْقَارِئِين بِمَا اجْتَمَعْنَا لِأَجَلِهِ.

وبعدُ، أيها القارئ الكريم فإن المؤمن أطيب الناس عيشًا، وأنعمهم بالًا، وأشرحهم صدرًا، وأسرُّهم قلبًا، يدخل جنة الدنيا قبل أن يدخل جنة الآخرة، فهنالك نعيمٌ في الدنيا وهو راحة البال، وصلاح الحال، فلهم نعيمٌ في الدنيا قبل

أن يدخلوا نعيم الآخرة، ونعيم الدنيا هو انشراح الصدر، والراحة النفسية، وليس نعيم الدنيا في القصور والمراكب والمآكل اللذيذة، وإنما هو في راحةِ البالِ وصلاحِ الحالِ، وطمأنينةِ النفسِ، وانشراحِ الصدرِ، ونور القلبِ.

أيها الحبيب اللبيب إذا أصلح الله حالك وبالك، صلحت لك الحياة والأمور كلها، وحصل لك الفوز والفلاح، وشعرت بالراحة والطمأنينة، وحصلت النعمة، وحصل النعيمُ النفسيّ، وإذا صلح حالك وبالك استقام أمرك، ورضي قلبك، واستمتعت بالحياة، ولهذا لما سئل بعض السلف: لماذا أنت في نعيم وهدوء بال؟ قال: لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليمًا للمسلمين.

وفي زمانٍ افتقد فيه الشعور بالسكينة والاطمئنان، في زمانٍ كثرت فيه الهموم والأحزان، وتعددت فيه الآلام والأسقام، كان ينبغي علينا أن نتعرف على قضية **صلاح البال**؛ أملاً في أن نعيد للقلوب الاطمئنان، ونمسح ما بها من هموم وأحزان.

إن صلاح البال: هو الحالة النفسية والقلبية التي تجعل صاحبها يرضى حيث يسخط الناس، يصبر حيث يجزع الناس، يتفاءل حيث يتشاءم الناس، يطمئن حيث يقلق الناس، يستبشر حيث ييأس الناس، وربما يبتسم حيث يبكى الناس.

** **صلاح البال**: هو الذي يجعل صاحبه ينطلق في الحياة بقوة، يحقق آماله وأحلامه، لا تعوقه هموم الحياة ولا أحزانها.

** **صلاح البال**: هو حالة السكينة التي تملأ قلب صاحبها حتى وإن ساءت

من حوله الظروف والأحداث؛ لأنها حالةٌ تنبع من الداخل لا من الخارج، حالة تؤثر في سيء الأحداث فتخفف آلامها، وتمسح أحزانها، وتجعل الرضا والقبول دواءً لها.

** **صلاح البال**: هو الذي يزيل عن القلب المخاوف، فصاحبه لا يخاف الفشل، ولا يخاف المرض، ولا يخاف الموت، ولا يخاف الكبر، ولذا تجده ينطلق في الحياة بلا خوفٍ، بلا قلق، فتحلو له الحياة، وتحلو به الحياة.

** **صلاح البال**: الذى أعنيه ليس فقط هو حالة الطمأنينة والسكينة التي تعترى صاحبها دائمًا، إنما هو كذلك قوةٌ تدفع صاحبها إلى العمل.. إلى النجاح.. إلى أن يكون قوةً فاعلةً في الحياة.. وكيف لا فالهادئون المطمئنون أقوى عزمًا، وأكثر أملاً، وأدق عملًا، وأكثر نجاحًا وأثرًا.

** **صلاح البال**: هو الحالة الجميلة الرقيقة التي تجعل صاحبها ينظر للأحداث بعينٍ غير التي ينظر بها الناس.. عينٌ ترى الجميل قبل القبيح.. ترى النور قبل الظلام.. عينٌ تتطلع إلى صفاء السماء لا إلى وحل الأرض.

** **صلاح البال**: الذى أعنيه ليس حالة موقوتة تتعلق بعدم وجود مشكلات، أو بتحقيق بعض الأمنيات، لكنها حالةٌ دائمةٌ هي التي تساعد على حل المشكلات، وتحقيق الأمنيات.

** **صلاح البال**: ليس فقط هو حالة السعادة التي نشعر بها عند كسب مالٍ أو نجاحٍ في عملٍ، فمثل هذه السعادة لا تدوم طويلًا، كما أن المال قد يزول، والمناصب حتمًا ستزول، أما صلاح البال الذى أعنيه فهو حالةٌ أبدًا لا تزول.

هذا هو صلاح البال الذى أعنيه: رضًا وتفاؤلٌ.. استبشارٌ وطمأنينةٌ.. صبرٌ

وابتسامٌ.. نجاحٌ وانطلاقٌ.

أيها الكرام إن الذي يعانى من علاقاتٍ سيئةٍ مع الله لا يمكن أبدًا أن يصل إلى الطمأنينة وصلاح البال، والذى يعانى من علاقاتٍ سيئةٍ مع الناس تقل عنده ولا شك درجة الطمأنينة وصلاح البال، والذى يعانى من علاقاتٍ سيئةٍ مع الذات والحياة فيفشل كثيرًا في حياته، ولا يحقق ما يتمناه فيها تقل عنده ولا شك درجة الطمأنينة

والحل أيها الكرام لكي يصلح الله لنا البال أن نحسن علاقاتنا مع الله، ومع الناس، ومع الذات والحياة فنصل بذلك إلى الطمأنينة وصلاح البال وفى هذا الكتاب سنوضح تفصيلاً كيف نصل إلى صلاح البال، ونشعر بالسعادة والصفاء والمودة والنقاء والسكينة والبهاء، ونسأل المولى سبحانه أن يجعل ذلك طريقًا لنا ولكم للوصول للطمأنينة وصلاح البال.

ذكر الله تعالى صلاح البال في القرآن في موضعين في سورة واحدة، وهي سورة محمد ﷺ، يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾، وقال الله تعالى: ﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾.

﴿ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾: أي موضع سرهم وفكرهم بالأمن، والتوفيق، والسداد، وقوة الفهم، والرشاد لما يوفقهم له من محاسن الأعمال، ويطيب به اسمهم في الدارين.

قال ابن برجان: وإذا أصلح ذلك من العبد صلح ما يدخل إليه، وما يخرج عنه، وما يثبت فيه، وإذا فسد فبالضد من ذلك.

ولذلك إذا اشتغل البال لم ينتفع من صفات الباطن بشيء، وقد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر ضلال الكفار أولاً دليلاً على إرادة الهدى للمؤمنين ثانيًا، وإصلاح البال ثانيًا دليلاً على حذف إفساده أولاً(١).

وقد جعلت هذا البحث الكريم في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعة أبواب على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وخطته.

والتمهيد: وفيه أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: معنى صلاح البال.

المبحث الثاني: الفرق بين صلاح الحال، وصلاح البال.

المبحث الثالث: الفرق بين القلب والبال.

المبحث الرابع: أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾.

والباب الأول: صلاح البال بصلاح العقيدة، وفيه أحد عشر فصلاً:

الفصل الأول: صلاحُ البالِ بالإيمانِ بالإسلامِ.

الفصل الثاني: صَلاحُ البالِ بالإيمانِ باليومِ الآخرِ.

الفصل الثالث: صَلاحُ البالِ بالإيمانِ بالقدرِ.

الفصل الرابع: صَلاحُ البالِ بالتوحيدِ وصفاءِ العقيدةِ.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٧/ ١٥٠) للبقاعي.

الفصل الخامس: صَلاحُ البالِ فِي عبادةِ الكبيرِ المتعالِ ﷻ.

الفصل السادس: صَلاحُ البالِ بالانكسارِ بين يدَي العزيزِ الغفارِ ﷻ.

الفصل السابع: صَلاحُ البالِ بتقوى ذي الجلالِ ﷻ.

الفصل الثامن: صَلاحُ البالِ بمعية ذي الجلالِ ﷻ.

الفصل التاسع: صَلاحُ البال باتباع القرآنِ.

الفصل العاشر: صَلاحُ البالِ باتباعِ النبيِّ محمدٍ ﷺ.

الفصل الحادي عشر: صَلاحُ الْبَالِ في التوكلِ على الله ﷻ.

والباب الثاني: صلاح البال بالعبادة، وفيه ستة عشر فصلاً:

الفصل الأول: صلاحُ البالِ ثمرةٌ لصلاحِ الأعمالِ.

الفصل الثاني: صلاحُ البالِ بذكرِ الله ﷻ.

الفصل الثالث: صلاحُ البالِ بالصلاةِ والسلامِ على سيدِ الرجالِ ﷺ.

الفصل الرابع: صَلاحُ البالِ في بيوت الله ﷻ.

الفصل الخامس: صَلاحُ البالِ بالصلاةِ.

الفصل السادس: صَلاحُ البَالِ بالصِّدْقِ

الفصل السابع: صلاحُ البالِ بالصبرِ.

الفصل الثامن: صَلاحُ البالِ بالاستخارةِ.

الفصل التاسع: صَلاحُ الْبَالِ بالهِدَايَةِ.

الفصل العاشر: صَلاحُ الْبَالِ في الأخوةِ في الله ﷻ.

الفصل الحادي عشر: صَلاحُ الْبَالِ في أداءِ العملِ في وقتِهِ، وعدمِ تأجيلِهِ.

الفصل الثاني عشر: صَلاحُ الْبَالِ بالورعِ.

الفصل الثالث عشر: صلاح البالِ بالتوبةِ إلى الله ﷻ.

الفصل الرابع عشر: صَلاحُ الْبَالِ بالدعاءِ.

الفصل الخامس عشر: صَلاحُ الْبَالِ بالعلمِ.

الفصل السادس عشر: صَلاحُ الْبَالِ بالاستغفارِ.

والباب الثالث: صلاح البال بالآداب ومحاسن الأخلاق، وفيه سبعة عشر فصلاً:

الفصل الأول: صَلاحُ الْبَالِ بحسن الخلقِ مع الناسِ.

الفصل الثاني: صَلاحُ الْبَالِ بالتفاؤلِ.

الفصل الثالث: صَلاحُ الْبَالِ بالاشتغالِ وقتَ الفراغِ بعملِ صالحِ أو علمٍ نافعٍ.

الفصل الرابع: صَلاحُ الْبَالِ بشكرِ ذي الجلالِ ﷻ.

الفصل الخامس: صَلاحُ الْبَالِ بالجهادِ والنصرِ على الأعداءِ.

الفصل السادس: صَلاحُ الْبَالِ بالبرِ.

الفصل السابع: صَلاحُ الْبَالِ ببرِ الوالدينِ.

الفصل الثامن: صَلاحُ الْبَالِ بصلاحِ الأبناءِ.

الفصل التاسع: صَلاحُ الْبَالِ بصلاحِ البيتِ.

الفصل العاشر: علاقة صَلاحُ الْبَالِ بالعملِ.

الفصل الحادى عشر: صَلاحُ الْبَالِ بالمودةِ والرحمةِ بين الزوجينِ.

الفصل الثاني عشر: صَلاحُ الْبَالِ في العفافِ .

الفصل الثالث عشر: صَلاحُ الْبَالِ بالإحسانِ إلى الجيرانِ.

الفصل الرابع عشر: صَلاحُ الْبَالِ بصلةِ الأرحامِ.

الفصل الخامس عشر: صَلاحُ الْبَالِ بتحقيقِ السعادةِ.

الفصل السادس عشر: صلاحُ البالِ بالإحسانِ إلى الفقراءِ والمساكينِ.

الفصل السابع عشر: صلاحُ البالِ بالحياءِ.

والباب الرابع: صلاح البال في جانب المعاملات وغيرها، وفيه اثنان وعشرون فصلاً:

الفصل الأول: صَلاحُ البالِ بالقصاصِ.

الفصل الثاني: صَلاحُ الْبَالِ باطمئنانِ القلبِ.

الفصل الثالث: صَلاحُ الْبَالِ بشرحِ الصدرِ، ووضعِ الوزرِ، ورفعِ الذكرِ.

الفصل الرابع: صَلاحُ الْبَالِ بالأمنِ والأمانِ.

الفصل الخامس: صَلاحُ الْبَالِ بمحبةِ الناسِ.

وأخيرا: الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

هذا وما كان من توفيقٍ وإصابةٍ فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو سهوٍ أو نسيانٍ فمني ومن الشيطان، وإني لأستغفر الله مما خطَّ به القلم، وأضمر عليه الجنان، ولسان حالي كما يقول الشاعر:

أَسيرُ خلفَ ركبِ القومِ ذا عَرَجٍ مُؤمِّلًا جَبْرَ مَا لاقيتُ مِنْ عِوَجِ

فإنْ لحقتُ بهم بعدَ مَا سبقُوا فكمْ لربِّ السَّما للنَّاسِ مِنْ فَرَجِ

وإنْ ضللتُ بقفرِ الأرضِ مُنقطعًا فمَا علَى أعرجٍ في ذاكَ مِنْ حَرَجِ

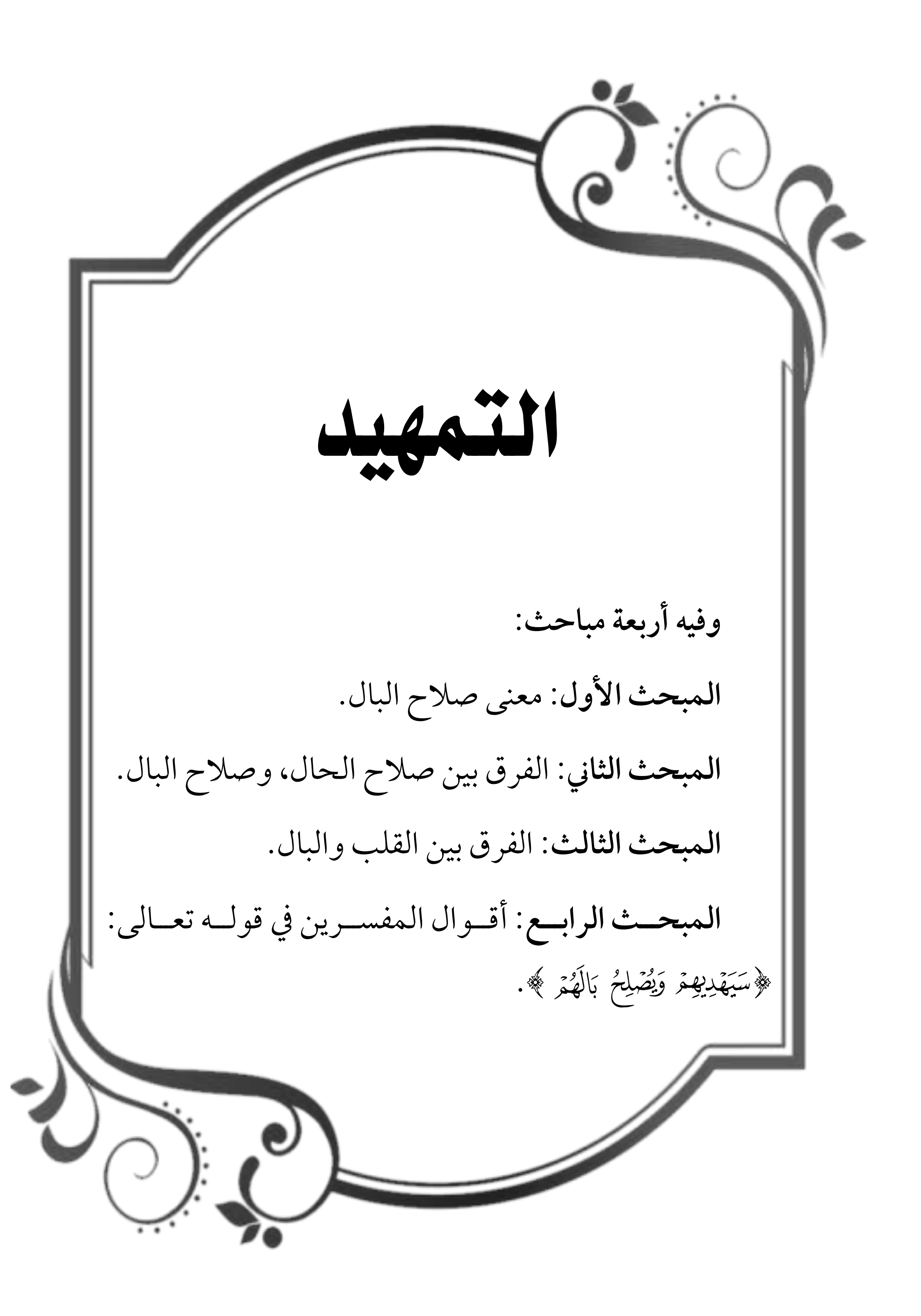
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم، اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ طِبِّ الْقُلُوْبِ وَدَوَائِهَا، وَعَافِيَةِ الْأَبْدَانِ وَشِفَائِهَا، وَنُوْرِ الْأَبْصَارِ وَضِيَائِهَا، وَقُوْتِ الْأَرْوَاحِ وَغِذَائِهَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، والحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِين.

كتبه أفقر الورى إلى رحمة ربه جل وعلا

أبو معاذ/ هاني فضل علام

بني مجدول. الجيزة

❁



التمهيد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى صلاح البال.

المبحث الثاني: الفرق بين صلاح الحال، وصلاح البال.

المبحث الثالث: الفرق بين القلب والبال.

المبحث الرابع: أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾.

المبحث الأول

معنى صلاح البال

البال [اسم مفرد]، وله عدة تعريفاتٍ:

١ – بمعنى الذهن، والخاطر، يقال:

- قلب "الأمّ دائمًا مشغولة البال على أولادها الغائبين".
- جرَى على باله: تذكّر، فكّر فيه، توقَّع.
- خالي البال، خليُّ البال: لا يَشْغله شاغل، مطمئن القلب.
- خطر على باله، خطر في باله: تذكّره بعد نسيان.
- راحة البال: طمأنينة النَّفس، خلوّ من الهمِّ.
- طويل البال: صبور، كثير الاحتمال.
- لا يخطر على البال: بعيد الوقوع، غير معقول.
- لم يُلقِ لقوله بالاً: لم ينتبه إليه أو يهتمَّ به.
- ما بالك؟ ما بالك خائفًا؟ أي مضطرب الفكر والذهن.

٢ – بمعنى الحال والشأن، ومنه قوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ ﴾: أي حالهم وشأنهم، ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ ﴾:

أي: ما شأنهن؟ أمرٌ ذو بال: مهمّ، ذو شأن، رخيّ البال، ناعم البال: موفور العيش، هادِئ النَّفس، ما باله؟ ما شأنه؟

لَمْ يَخْطُرْ هَذَا الأَمْرُ بِبَالِي قَطُّ: بِخاطِرِي، بِفِكْرِي، "بالُهُ مَشْغُولٌ عَلَى الدَّوامِ"، "هُوَ كاسِفُ البالِ": كاسِفُ النَّفْسِ، "شَعَرَ بِراحَةِ البالِ": باطْمِئْنانِ حالِهِ وَنَفْسِهِ، "أَمْرٌ ذُو بالٍ": أَمْرٌ ذُو شأْنٍ عَظِيمٍ.

﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[1]، "لَيْسَ هَذَا مِنْ بالِي": لَيْسَ مِمَّا أُبالِيهِ، "طَوِيلُ البالِ": صَبُورٌ لا يَنْزَعِجُ، "أَجِدُهُ عَلَى الدَّوامِ رَخِيَّ البالِ": غَيْرَ مَهْمومٍ، نائِمًا، هَنِيءَ العَيْشِ، "ما بالُكَ"؟: ما شَأْنُك؟ ما حَالُكَ؟

البال: الحال والشأن، يقال: أمر ذو بالٍ شريفٍ يحتفل له ويهتم به، ويقال: فلان رخي البال، وناعم البال: موفور العيش هادئ النفس والخاطر[2].

البالُ: الحالُ التي تَكْتَرِثُ بها ، ولذلك يُقال: ما بالَيتُ بكذا بالَةً: أي ما اكْتَرثتُ به، ومنه قولُه تعالَى: ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾، وفي الحديث: كُلُّ أَمْرٍ ذِي بالٍ لا يُبدَأُ فِيه بحَمْدِ اللهِ فَهُو أَبْتَرُ» ذي بال: أي شَرِيفٌ يُحْتَفَلُ له، ويُهْتَمّ به.

ويقال: هو كاسِفُ !البالِ: أي سَيِّئ الحالِ ، قال امرُؤ القَيس:

فأَصْبَحْتُ مَعشُوقًا وأصبحَ بَعْلُها ... عليهِ القَتامُ كاسِفَ الظَّنِّ!

وَيُعَبَّر بالبالِ عن الحالِ الذي يَنْطَوِي عليه الإنسانُ ، وهو الخاطِرُ فيُقال: ما

---

(١) [يوسف:٥٠].

(٢)المعجم الوسيط [١ / ٧٧].

خَطر كذا ببالِي: أي خاطِري . قال المُفَضَّلُ: البالُ: القَلْبُ.

قال امرُؤ القَيس:

وعادَيْتُ مِنْه بَين ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ وكان عِداءُ الوَحْشِ مِنِّي على بالِ

البالُ: الحُوتُ العَظِيمُ مِن حِيتان البَحْر، وليس بعَربيٍّ، كما في الصِّحاح، يُدْعَى جَمَلَ البَحْر، وهو مُعرَّب وال كما في العُباب، وهي سَمَكةٌ طولُها خمسون ذِراعًا.

ورَخاءُ البالِ: سَعَةُ العَيشِ.

ويُقال: هو رَخِيُّ البالِ: إذا لم يَشْتَدَّ عليه الأمرُ، ولم يَكْتَرِثْ.

والبالَةُ بِهاءٍ: القارُورَةُ ، أيضًا: الجِرابُ الصَّغِيرُ أو الضَّخْم، جَمْعُها: بالٌ.

وقال الهَوازِنِيُّ: البالُ: الأَمَلُ، وهو كاسِفُ البالِ: إذا ضاق عليه أَملُه(١).

البالُ: بالُ النَّفس، وهو الاكتراث؛ ومنه اشتقَّ: بَاليت.

ولم يخطر ببالي ذلك الأمر، أي لم يكرثني.

والمصدر: البالة.

ومن كلام الحسن: لم يُبالهم الله بالَةً. ويقال: لم أُبال، ولم أُبَلْ، على القصر.

والبالُ أيضا: رخاءُ العيش؛ يقال: إنه رخيّ البال، وناعم البال.

---

(١)تاج العروس من جواهر القاموس [٢٨ / ١٢٤].

عمرو عن أبيه: البالُ: القلب.

والبال: جمع البالة، وهي الجراب الضخم.

ابن نجدة، عن أبي زيد: من أسماء النَّفس: البال[١].

۞

(١) انظر: المعجم الوسيط (١/ ٧٧)، تاج العروس من جواهر القاموس (٨/ ٦٣) للزبيدي، تهذيب اللغة (٢/ ٤٦٨) للجوهري، لسان العرب (١١/ ٧٣) لابن منظور.

المبحثُ الثانِي

الفرقُ بينَ صلاحِ الحالِ، وصلاحِ البالِ

إن كثيرًا من الناس في هذا الزمن ابتلي بالقلق أو الاضطراب في أمور المعيشة، أو الصحة، أو غير ذلك من حاجيات الدنيا أو أمورها، وعلاج ذلك في آية من كتاب الله! قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(١).

يقول الامام السعدي في قوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم، وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيته، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم: ﴿ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر ﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم، فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقيا ثوابها"(٢).

---

(١)[محمد: ٢].

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (صـ٧٨٤) عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ط/ مؤسسة الرسالةالطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

وقال سيد قطب: "إصلاح البال نعمةٌ كبرى، تلي نعمة الإيمان في القدر والقيمة والأثر، ومتى صلح البال، استقام الشعور والتفكير، واطمأن القلب والضمير، وارتاحت المشاعر والأعصاب، ورضيت النفس واستمتعت بالأمن والسلام" فإصلاح البال: يجمع إصلاح الأمور كلها، لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، فالمؤمنون، فلا يفكرون إلا صالحا، ولا يتدبرون إلا ناجحا"(١).

ومن ثمرات إصلاح البال: أن يرشدهم الله لأعمال الخير والبر في الدنيا، فإن قرير العين، مطمئن النفس، مرتاح الضمير، صالح البال أقدر على التصرف والنظر والاختيار، وأبصر بمواضع الإقدام ومواطن الإحجام، لا يقدم عاجلًا على فانٍ، ولا لذةً عابرةً تورث حسرةً طويلةً، يؤثر الآخرة على الأولى، فيورثه الله نعيم الجنة في الآخرة مع صلاح الحال في الدنيا كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢)، فمن أحسن عمله في الدنيا أحسن الله جزاءه في الآخرة.

هذه الآية في سورة النحل والآية المتقدمة في سورة محمدٍ ﷺ من أعظم الآيات المرشدة لطريق السعادة في الدارين، اللهم أسعدنا في الدارين.

وفي المقابل فإن من اختلَّ عنده شيءٌ في حياته فليتفقد أول ما يتفقد دينه،

---

(١) في ظلال القرآن (٦/ ٣٢٨١) سيد قطب، ط/ دار الشروق ـ القاهرة.
(٢)[النحل: ٩٧].

وحاله! فمبدأ الخلل من نفسه، ومن لم يصلح له باله فكيف يصلح حاله!

ومن أعظم أسباب عدم إصلاح البال الذنوب والمعاصي؛ فكما أن الكفار يبطل الله أعمالهم ويشقيهم كما قال: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ ﴾(١)، فمن عنده شيء من أعمال الكفار أو شعب الكفر- وإن لم يكن بذلك خارجًا عن الملة- يكون له من الضلال عن الطريق والشقاء وذهاب البركة بمقدار ما عنده من ذلك الضلال الذي ارتكبه.

والمقصود أن نعلم بركة العمل الصالح وتحقيق التقوى، والأثر الطيب لذلك في العاجل والآجل، ونعرف شؤم المعصية وأثرها على مرتكبها في الدنيا قبل الآخرة، مستحضرين إذا تقلبت بنا أمور الحياة قول ربنا: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠ ﴾(٢).

فالبال: الحال التي يكترث بها، وكذلك يقال: ما باليت بكذا، أي: ما اكترثت، وقد يعبر بالبال عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان، فيقال: ما خطر ببالي كذا(٣).

البالُ: الفكرة. وقيل: **البال**: الهمُّ، أي كان من همّي.

وأما قولهم: ناعم البال، قال الأصمعي: البال: الحال. وقال غيره: البالُ: المعيشَة(٤).

---

(١)[محمد:١].

(٢)[الشورى:٣٠].

(٣)التعاريف [ص ١١٢].

(٤)الفاخر للمفضل بن سلمة [ص].

المبحث الثالث
الفرق بين القلب والبال

القلب اسم للجارحة، وسمي بذلك؛ لأنه وضع في موضعه من الجوف مقلوبًا، والبال والحال وحال الشيء: عمدته، فلما كان القلب عمدة البدن سمي بالًا، فقولنا: بال، يفيد خلاف ما يفيده قولنا: قلب؛ لأن قولنا: بال يفيد أنه الجارحة التي هي عمدة البدن، وقولنا: قلب يفيد أنه الجارحة التي وضعت مقلوبة، أو الجارحة التي تتقلب بالأفكار والعزوم، ويجوز أن يقال: إن البال هو الحال التي معها، ولهذا يقال: اجعل هذا على بالك.

وقال امرؤ القيس:

فَأَصبَحتُ مَعشوقًا وَأَصبَحَ بَعلُها عَلَيهِ القَتامُ سَيِّئَ الظَنِّ وَالبالِ

أي: سيء الحال في ذكرها، وتقول: هو في حالٍ حسنةٍ، ولا يقال: في بالٍ حسنٍ فيفرق بذلك(١).

القلب وخطر (بِبَالِي) أي بقلبي وهو رخيّ البال أي واسع الحال(٢).

❀ ❁ ❀

(١)الفروق اللغوية [ص ٤٣٣].

(٢)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير [١ / ٦٦].

المبحث الرابع

أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

قال الواحدي: "قال تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: سيهديهم إلى أرشد الأمور، ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا، وهذا لا يحسن وصف المقتولين، وحمل أبو إسحاق إصلاح البال في الموضعين من هذه السورة على إصلاح أمر المعاش وحال الدنيا، وقال: أراد أنه يجمع له خير الدنيا والآخرة، واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[1] إلى قوله: ﴿ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ وبقوله: ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾[2] إلى قوله: ﴿ أَنْهَـٰرًا ﴾، ويمكن أن يقال على قول قتادة ومقاتل يعني الآية: سيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم وحالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم، وقبول أعمالهم، وما شاكل ذلك[3].

وقال ابن عطية: "وتحرير التفسير في اللفظة أنها بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان، وهو القلب، فإذا صلح ذلك صلحت حاله، فكأن اللفظة مشيرةٌ الى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابعٌ، فقولك: خطر في بالي

---

(١)[المائدة: ٦٦].

(٢)[نوح: ١١].

(٣) التفسير البسيط (٢٠/ ٢٢٣) للواحدي.

كذا، وقولك: أصلح الله بالك، المراد بهما واحد ذكره المبرد.

والبال مصدر كالحال والشأن، ولا يستعمل منها فعلٌ، وكذلك عرفه أن لا يثني، ولا يجمع، وقد جاء مجموعًا، لكنه شاذ، فإنهم قالوا: بالات"(١).

وقال البقاعي: "قال تعالى: ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾: أي موضع سرهم، وفكرهم، بالأمن، والتوفيق، والسداد، وقوة الفهم، والرشاد لما يوفقهم له من محاسن الأعمال، ويطيب به اسمهم في الدارين، قال ابن برجان: وإذا أصلح ذلك من العبد صلح ما يدخل إليه وما يخرج عنه وما يثبت فيه، وإذا فسد فبالضد من ذلك.

ولذلك إذا اشتغل البال لم ينتفع من صفات الباطن بشيء، وقد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر ضلال الكفار أولاً دليلاً على إرادة الهدى للمؤمنين ثانيًا، وإصلاح البال ثانيًا دليلاً على حذف إفساده أولاً"(٢).

وَالْبَالُ: يُطْلَقُ عَلَى الْقَلْبِ، أَيِ الْعَقْلُ وَمَا يَخْطُرُ لِلْمَرْءِ مِنَ التَّفْكِيرِ وَهُوَ أَكْثَرُ إِطْلَاقِهِ وَلَعَلَّهُ حَقِيقَةٌ فِيهِ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ   وَكَانَ عِدَاءُ الْوَحْشِ مِنِّي عَلَى بَالِ

وَقَالَ:

فَأَصبَحتُ مَعشوقًا وَأَصبَحَ بَعلُها   عَلَيْهِ الْقَتَامُ سَيْءُ الظَّنِّ وَالْبَالِ

---

(١)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٩٦).

(٢)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – العلمية (٧/ ١٥٠).

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَا بَالُكَ؟ أَيْ مَاذَا ظَنَنْتَ حِينَ فَعَلْتَ كَذَا، وَقَوْلُهُمْ: لَا يُبَالِي، كَأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْهُ، أَيْ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ، وَمِنْهُ بَيْتُ الْعُقَيْلِيِّ فِي الْحَمَاسَةِ:

وَنَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

أَيْ لَا نُفَكِّرُ.

وَحَكَى الْأَزْهَرِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، أَيْ مَعْنَى لَا أُبَالِي: لَا أَكْرَهُ اهـ.

وَأَحْسَبُهُمْ أَرَادُوا تَفْسِيرَ حَاصِلِ الْمَعْنَى وَلَمْ يَضْبِطُوا تَفْسِيرَ مَعْنَى الْكَلِمَةِ.

وَيُطْلَقُ الْبَالُ عَلَى الْحَالِ وَالْقَدَرِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ**»(١).

قَالَ الْوَزِيرُ الْبَطْلَيُوسِيُّ فِي شَرْحِ دِيوَانِ امْرِئِ الْقَيْسِ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: كُنْتُ أَقُولُ لِلْمِعَرِّي: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَيَقُولُ: بِخَيْرٍ أَصْلَحَ اللهُ بَالَكَ. وَلَمْ يُوفِّهِ صَاحِبُ الْأَسَاسِ حَقَّهُ مِنَ الْبَيَانِ وَأَدْمَجَهُ فِي مَادَّةِ (بَلَوَ) .

وقال الطاهر بن عاشور: "وَإِصْلَاحُ الْبَالِ يَجْمَعُ إِصْلَاحَ الْأُمُورِ كُلِّهَا؛ لِأَنَّ تَصَرُّفَاتِ الْإِنْسَانِ تَأْتِي عَلَى حَسَبِ رَأْيِهِ، فَالتَّوْحِيدُ أَصْلُ صَلَاحِ بَالِ الْمُؤْمِنِ،

---

(١) رواه أحمد بلفظ: «كُلُّ كَلَامٍ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ» (مسند أبي هريرة رضي الله عنه-٨٧١٢-١٤/ ٣٢٩)، وقال الشيخ شاكر: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة- ما يستحب من الكلام عند الحاجة-١٠٢٥٥-٩/ ١٨٤)، وابن ماجه (كتاب النكاح-باب خطبة النكاح-١٨٩٤-١/ ٦١٠).

وَمِنْهُ تَنْبَعِثُ الْقُوَى الْمُقَاوِمَةُ لِلْأَخْطَاءِ وَالْأَوْهَامِ الَّتِي تَلَبَّسَ بِهَا أَهْلُ الشِّرْكِ، وَحَكَاهَا عَنْهُمُ الْقُرْآنُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَالْمَعْنَى: أَقَامَ أَنْظَارَهُمْ وَعُقُولَهُمْ فَلَا يُفَكِّرُونَ إِلَّا صَالِحًا وَلَا يَتَدَبَّرُونَ إِلَّا نَاجِحًا"(١).

وبعد هذا التمهيد وهذه التوطئة هلمَّ بنا إلى فصول الكتاب نتعرف من خلالها عن الأسباب والأعمال والوظائف والأحوال التي يتم بها صلاح البال، نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه، وهو المنان الكريم أن يُصلح بالنا، ويسعدنا في دنيانا وآخرتنا؛ إنه بكل جميلٍ كفيلٌ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❀ ❊ ❀

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ٧٥)، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس (١٩٩٧م).



الباب الأول

صلاح البال بصلاح الأعمال

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول

صلاح البال بالإيمان بالإسلام

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(١).

أي: أن الذين آمنوا هذا الإيمان، وعملوا الصالحات، كفّر الله عنهم ما كان منهم من سيئات، قبل أن يؤمنوا بالرسالة المحمدية، فهو إيمان مجدّدٌ لإيمانهم، ومصححٌ له، إذ كان هو الدّين كله، وبه تمّ الدين الذي جمع كلّ ما جاء به الرسل، كما يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢)، وكما يقول الله جل شأنه: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)(٣)، وكما يقول جل شأنه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٤).

وفى قوله تعالى: «وَأَصْلَحَ بالَهُمْ» إشارةٌ إلى ما يثمره الإيمان بدين الإسلام، إذ يجمع قلوب المؤمنين به، ويقيم مشاعرهم على أمرٍ واحدٍ، فلا يكون منهم

(١) [محمد:٢].

(٢) [آل عمران:١٩].

(٣) [الشورى:١٣].

(٤) [آل عمران:٨٥].

التفاتٌ إلى هذا الدين أو ذاك، إذ إن الإيمان بالإسلام إيمانٌ بجميع رسالات السماء، وتصديقٌ بكل رسل الله، سواءٌ كان هذا الإيمان بالإسلام من أهل الكتاب، أو ممن لا كتاب لهم.

وبهذا الإيمان يستريح بال المؤمن، ويطمئن قلبه، ولا تنزع به نازعة من عداوةٍ أو بغضةٍ أو مجافاةٍ، لأى دينٍ من الديانات السماوية، إذ كانت كلّها مجملةً في الإسلام، مطويةً تحت جناحه.

ولعلّ هذا معنى من معانى كلمة «الإسلام» التي كانت عنوانًا لهذا الدين، الذي يجد من يدين به، السلامَ بين مشاعره، كما يجد السلامَ مع الناس! وذلك صلاح البال على تمامه وكماله[١].

فقد ضرب الله مثلًا يوضح حقيقة العلاقة بين الإيمان وحصول آثاره من راحة القلب وطمأنينة الصدر وطيب النفس وصلاح البال، فقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[٢].

قال السعدي: "﴿ فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ ليسوا متفقين على أمرٍ من الأمور، وحالةٍ من الحالات حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كلٌّ له مطلبٌ يريد تنفيذه، ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء

---

(١)التفسير القرآني للقرآن (١٣/ ٣٠٨) عبد الكريم يونس الخطيب، ط/ دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) [الزمر:٢٩].

الشركاء المتشاكسين؟ ﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ أي: خالصًا له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة. ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ أي: هذان الرجلان ﴿مَثَلًا﴾؟ لا يستويان. كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرارٌ، ولا يطمئن قلبه في موضعٍ، والموحد مخلصٌ لربه، قد خلصه الله من الشركة لغيره، فهو في أتم راحةٍ، وأكمل طمأنينة"(١).

فبهذا يعرف أن الإيمان الذي يتوفر به صاحبه على وجهةٍ واحدةٍ، يعلم أنها هي التي تضر وتنفع، وتعطي وتمنع، وتخفض وترفع، هو الذي تحصل به السكينة والطمأنينة، فلا شك أن المؤمن الذي يعبد من بيده الضر والنفع أحق بهذه النعمة من المشرك الذي يعبد ما لا يضره ولا ينفعه، بل ضره أقرب من نفعه.

ثم إن الإيمان الذي يدور حول معرفة الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله المثلى، يرسخ في القلب أنواعًا من العبوديات، تتحقق بها سعادته وطمأنينته، فمن أيقن أن الله تعالى هو العليم الخبير، العزيز الحكيم، الغفور الرحيم، الغني الكريم، الحليم العظيم، الحي القيوم، من أيقن بذلك وعاش في الدنيا بمقتضاه لا شك أنه يطمئن قلبه، وتسكن نفسه؛ ثقةً بالله، وتوكلًا عليه، وركونًا إليه، حيث يعلم أن الله أرحم به من نفسه ومن أمه التي ولدته، وأن اختياره له خير من اختياره لنفسه.

ثم إذا نظرنا إلى أركان الإيمان كلٌّ على حدةٍ لاحظنا ما لها من علاقةٍ وثيقةٍ

---

(١) تفسير السعدي (صـ٧٢٣).

بنزول السكينة، وحصول الطمأنينة، فمثلًا الإيمان باليوم الأخر يزهد العبد في الدنيا ويهون عليه مصائبها، والإيمان بالقدر يبعث في النفس الطمأنينة، ويريحها من كد التطلع إلى ما لم يكن، ويخفف عنها عناء حصول ما يكره، لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ ﴾(١).

ومن ناحيةٍ أخرى فإن الجزاء من جنس العمل، ولذلك كان الأمن ثمرةً من ثمرات الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ ولا يخفى ما يعنيه حصول الأمن من حصول منافعه من السكينة والطمأنينة وغير ذلك، وذلك أن الله تعالى هو الشكور الذي يشكر القليل من صالح العمل، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر المحسنين، وجزاؤه سبحانه لعبده المؤمن لا يقتصر على الآخرة، بل يكون في الدنيا أيضًا، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**»(٢).

ومن هذا الجزاء الحسن للمؤمن في الدنيا أن يرزقه الله الطمأنينة وصلاح البال وطيب الحياة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ

---

(١) [الحديد:٢٢-٢٣].

(٢) رواه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار-باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا-٢٨٠٨-٤/ ٢١٦٢).

مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٣) فمن آمن بالله وأقبل عليه بالعمل الصالح كانت له في الدنيا الحياة الطيبة والسعادة الحقيقية، كما قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٥).

يقول ركس إنجرم وهو اسكتلندي شارك في الحرب العالمية الأولى، وزار العديد من بلاد الشرق، ودرس لغاتها وأديانها، وعمل في هوليود مصورًا سينمائيًا، واعتنق الإسلام؛ لأنه وجد فيه ضالته المنشودة:

"إنني أعتقد أن الإسلام هو الدين الذي يدخل السلام والسكينة إلى النفس، ويلهم الإنسان العزاء وراحة البال والسلوى في هذه الحياة، وقد تسرب

---

(١) [محمد:٢].

(٢) [النحل:٩٧].

(٣) [الرعد:٢٨].

(٤) [طه:١٢٣-١٢٤].

(٥) [الأحقاف:١٣]، فتاوى الشبكة الإسلامية (أثر الإيمان والصلاة في حصول السكينة والراحة النفسية).

روح الإسلام إلى نفسي فشعرت بنعم الإيمان بالقضاء الإلهي، وعدم المبالاة بالمؤثرات المادية من لذة وألم"(١).

وقد دلت التجارب على أن من استمسك بشريعة الإسلام ذاق حلاوة الأمن في نفسه وماله وعرضه ودينه، واستشعر الاستقرار وراحة البال في جميع شئونه المالية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية(٢).

❍ قصة يوسف استس القس الأمريكي السابق:

بدايتي مع الإسلام:

- اسمي «يوسف» إستس بعد الإسلام وقد كان قبل الإسلام «جوزيف» إدوارد إستس، ولدت لعائلة نصرانية شديدة الالتزام بالنصرانية تعيش في الغرب الأوسط لأمريكا، آباؤنا وأجدادنا لم يبنوا الكنائس والمدارس فحسب، بل وهبوا أنفسهم لخدمة النصرانية، بدأت بالدراسة الكنسية أو اللاهوتية عندما اكتشفت أني لا أعلم كثيرًا عن ديني النصراني، وبدأت أسأل أسئلةً دون أن أجد أجوبةً مناسبةً لها، فدرست النصرانية حتى صرت قسيسًا وداعيًا من دعاة النصرانية، وكذلك كان والدي، وكنا بالإضافة إلى ذلك نعمل بالتجارة في الأنظمة الموسيقية وبيعها للكنائس، وكنت أكره الإسلام والمسلمين حيث إن الصورة المشوهة التي وصلتني وارتسمت في ذهني عن المسلمين أنهم أناس

---

(١) رجال ونساء أسلموا (١/ ٣) عبد الرحمن محمود.

(٢) فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام» (٤/ ٢٢٨) عبد القادر شيبة الحمد، ط/ مطابع الرشيد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

وثنيون لا يؤمنون بالله ويعبدون صندوقًا أسود في الصحراء، وأنهم همجيون وإرهابيون، يقتلون من يخالف معتقدهم.

لم يتوقف بحثي في الديانة المسيحية على الإطلاق، ودرست الهندوسية واليهودية والبوذية، وعلى مدى ٣٠ سنة لاحقة، عملت أنا وأبي معًا في مشاريع تجاريةٍ كثيرةٍ، وكان لدينا برامج ترفيه وعروض كثيرة جذابة، وقد عزفنا البيانو والأورج في تكساس وأوكلاهما وفلوريدا، وجمعت العديد من ملايين الدولارات في تلك السنوات، لكني لم أجد راحة البال التي لا يمكن تحقيقها إلا بمعرفة الحقيقة وايجاد الطريق الصحيح للخلاص.

قال: أسلم والدي بعدما كان متمسكًا بالكنيسة، وكان يدعو الناس إليها، ثم أسلمت زوجتي وأولادي، والحمد لله الذي جعلنا مسلمين. الحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أمة محمد خير الأنام[1].

فصلاح البال في اتباع هذا الدين العظيم دين الإسلام، فاللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك عليه يا أرحم الراحمين.

﴿ ❁ ﴾

---

(١) رحلة إيمانية مع رجالٍ ونساءٍ أسلموا (صـ٣٨).

الفصل الثاني

صلاح البال بالإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الأخر هو الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد البعث فهو إيمانٌ بالأمور الغيبية التي تكون في يوم القيامة، والله ﷻ قد علق حصول التقوى والفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة بالإيمان بما ذكره الله -سبحانه وتعالى- من الأمور الغيبية، قال سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾(١).

واليوم الأخر هو من جملة الأمور الغيبية التي أخبر بها سبحانه، والتي يجب على العبد الإيمان به، فالإيمان به يورث المسلم ثمارًا عظيمةً يجدها في الحياة الدنيا فمن هذه الثمار: راحة البال: فالإيمان باليوم الآخر هو إجابة لأهم الأسئلة التي تدور في ذهن الإنسان:

من الذي خلقك؟

ولماذا خلقت؟

---

(١)[البقرة:١-٥].

وإلى أين المصير بعد الموت؟

فالمؤمن يجد الجواب على هذه الأسئلة، فيعيش مطمئن البال، أما الكافر الذي لا يجد الجواب عليها يعيش في حيرةٍ عظيمةٍ، وقلقٍ دائمٍ[١].

يقول أحد التائهين الملحد إيليا أبو ماضي:

جئت، لا أعلم من أين، ولكنّي أتيت

ولقد أبصرت قدّامي طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا حرّ طليق أم أسير في قيود

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود

أتمنّى أنّني أدري ولكن...

لست أدري!

وطريقي، ما طريقي؟ أطويل أم قصير؟

هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور

---

(١) الإيمان والعمل الصالح سبب النجاح والفلاح (صـ٨٤) علي بن نايف الشحود.

أأنا السّائر في الدّرب أم الدّرب يسير

أم كلاّنا واقف والدّهر يجري؟

لست أدري!

ليت شعري وأنا عالم الغيب الأمين

أتراني كنت أدري أنّني فيه دفين

وبأنّي سوف أبدو وبأنّي سأكون

أم تراني كنت لا أدرك شيئا؟

لست أدري!

أتراني قبلما أصبحت إنسانا سويّا

أتراني كنت محوا أم تراني كنت شيّا

ألهذا اللّغو حلٌّ أم سيبقى أبديّا

لست أدري... ولماذا لست أدري؟

لست أدري!

إلى أن قال في قصيدةٍ طويلة إلحاديةٍ:

أنا لا أذكر شيئًا من حياتي الماضية

أنا لا أعرف شيئًا من حياتي الآتيهْ

لي ذاتٌ غير أني لست أدري ماهيه

فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي؟

لست أدري!

إنّني جئت وأمضي وأنا لا أعلم

أنا لغز... وذهابي كمجيتي طلسم

والّذي أوجد هذا اللّغز لغز أعظم

لا تجادل ذا الحجا من قال إنّي...

لست أدري!

كلامٌ فاسدٌ باطل، عافانا الله ﷻ من التيه والضلال.

وقد قيَّض الله ﷻ من ردَّ على هذا الملحد الضال فقال[١]:

إنّنـــــــــــي أدري وأدري ... لِـــــمَ يـــا هـــذا أتيـــتُ

جئـــتُ عبـــدًا لإلـــهِ الكـــونِ ... وَيْلـــــي إنْ عصـــــيتُ

جئـــــتُ مخلوقًـــــا بـــأمرِ ... الله بالـــــدُّنيا ابتُليـــــتُ

كـــلّ مـــا في الكـــونِ مثلـــي ... عـــن مـــرادِ اللهِ يـــدري

جاهِـــلٌ مـــن قـــال يومًـــا ... لســـتُ أدري لســـتُ أدري

مـــا اختفـــى السِـــرّ بـــأرضٍ ... أو تـــوارى تحـــتَ بحـــرِ

إنّـــــهُ واللهِ كالشّـــــمسِ ... وضـــــوحًا أو كفجـــــرِ

(١) شعر: عبدالخالق الزهراني.

فاسأل الدنيا وردِّدْ   مثلها «واللهِ ندري»
السما والأرضُ والأكوان   من أجلي أُعِدّتْ
لو جبالٌ حملتْ حِملي   لغارتْ أو لهُدّتْ
أوصِدتْ أبوابُ هذا   الغيبِ قُدّامي وسُدّتْ
لكنِ القلبُ بنورِ   اللهِ مُرتاحٌ ويدري
في كتابِ اللهِ إنّا   قدْ خُلِقنا للعباده
إنْ عبدناهُ رضينا   ومضينا في سعاده
أو كفرناهُ فبشِّرْنا   بهمٍّ ونكاده
في كتابِ اللهِ نورٌ   من أتاهُ سوف يدري
رحلتي ما بين ميلادي   وموتي في عناءِ
لستُ أدري ما مصيري   بعد موتي وفنائي
أإلى رضوان ربّي   أمْ لسُخطٍ وشقاءِ
حكمةُ اللهِ تجلّتْ   كون أنِّي لستُ أدري
بيد أنّي في حياتي   عالِمٌ معنى الوجودِ
كلُّ ما في الكونِ يتلو   آيةَ الحقِّ المجيدِ
إنّ ربي غافِرُ الذنبِ   وذو بطشٍ شديدِ
كُنْ لهُ عبدًا ذليلًا   لا تقُل لا لستُ أدري
كلُّنا للهِ ماضٍ   فشقيٌّ وسعيدُ
وقريبٌ في هناءٍ   وقصيٌّ وبعيدُ

حِكمـــــــــةٌ للهِ فينـــــــــا ... إنّــــــهُ الـــــربُّ الحميــــدُ

ضـــلّ مـــن لـــمْ يـــدرِ شـــيئًا ... واهتـــدى مـــن كـــان يـــدري

هـــذه الـــدّنيا ستمضـــي ... فممـــــــاتٌ فنشـــــــورُ

فحِســــــابٌ فنعــــــيمٌ ... أو عــــــذابٌ وســــــعيرُ

لِخلـــودٍ قـــدْ خُلِقنـــا ... هكـــذا قـــال القـــديرُ

فلـــهُ الحمـــدُ فلـــولا ... فضـــلهُ مـــا كنـــتُ أدري

أنـــــزلَ اللهُ كتابًـــــا ... إنّـــــه نـــــورٌ ونـــــار

لأولـــي البـــرّ ســـراجٌ ... فـــإذا الليـــلُ نهـــار

ولأهـــل الزيـــغِ نـــارٌ ... وعـــــذابٌ وشـــــرار

كيـــف بعـــد الهـــدي نهـــذي ... لســـت أدري لســـتُ أدري

أرســـــل اللهُ رســـــولًا ... جـــاء مـــن بعـــدِ رســـولْ

جـــاء للحـــقّ وبـــالحقّ ... قـــــؤولٌ وفعـــــولْ

فاهتـــــدى للهِ أقـــــوامٌ ... كِـــــرامٌ وعُـــــدولْ

لـــم يقولـــوا في خبـــالٍ ... لســـتُ أدري لســـتُ أدري

إنّ ربّـــي ذو انتقـــامٍ ... وهـــو بالنّـــاس رحـــيمْ

وهـــو بالّنـــاس مُحـــيطٌ ... وبصـــــيرٌ وعلـــــيمْ

جـــلّ ربـــي ذو جـــلالٍ ... جـــلّ مـــولاي الكـــريمْ

فـــاز مـــن يُهـــدى إليـــه ... وبنـــــورِ اللهِ يـــــدري

طلســـماتُ الشـــكّ تهـــدي ... لضـــــلالٍ وثبـــــورْ

وكتـــــابُ اللهُ يهـــــدي ... لرضـــــا اللهِ الغفـــــورْ

فاعبــــــدِ الله فربّــــــي ... مالـــكُ الملـــكِ الشـــكور

واتـــــقِ اللهَ وجاهِـــــدْ ... لا تقُـــلْ لا لســـتُ أدري

إنّنـــا نـــدري ونـــدري ... أنّ دنيانـــــا هبـــــاءْ

ومصــــيرُ الخلـــــقِ ... إمّـــا لهنـــاءٍ أو شـــقاءْ

مـــدّ كفّـــاً وتـــذلّلْ ... وتضـــــرّعْ بالـــــدعاءْ

ردّد القـــولَ بـــــ (أدري) ... ثـــمّ حـــاذِر (لســـتُ أدري)

ﮋ ❋ ﮊ

الفصل الثالث

صلاح البال بالإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر ركنٌ من أركان الإيمان، كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه الشهير بحديث جبريل، وفيه أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وفيه قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»(١).

ومعنى الإيمان بالقدر: أن يؤمن الإنسان بأن الله يعلم ما يكون وما كان، وما سيكون، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأه لا يكون، وأن الله كتب مقادير الخلائق فلا يقع شيءٌ إلا بعلمه، وكتابته، ومشيئته وخلقه.

ويؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ويؤمن -مع ذلك- بأن الله قد أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة؛ رجاء ثواب الله، ويترك المعصية؛ خوفًا من عقابه؛ فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله.

---

(١) رواه مسلم (كتاب الإيمان-باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة-٨-١/ ٣٦).

ومن تمام الإيمان بالقدر: أن يأخذ الإنسان بالأسباب، ويسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويسعى لطلب الرزق؛ فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله.

والإيمان بالقدر على هذا النحو: يثمر سكون القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، وترك التحسر على ما فات، ويورث في الإنسان الشجاعة، والإقدام، وطرد اليأس، وقوة الاحتمال.

ولهذا يجد المؤمنون بالقضاء والقدر راحةً، وطمأنينةً لا يجدها غيرهم ممن لا يؤمنون بقضاء الله وقدره.

ولهذا يشيع الانتحار في البلاد الكافرة التي لا يؤمن أهلها بالله وقدره؛ فتراهم لا يحتملون أدنى مصيبةٍ تنزل بهم.

أما المؤمنون بالقدر فلا تكاد توجد عندهم أدنى نسبة للانتحار؛ بسبب أنهم يؤمنون بأن ما أصابهم إنما هو بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بأن الله لا يقدر لعبده المؤمن إلا الخير، حتى وإن كان القضاء مُرًا فإن عاقبته حميدة للمؤمن إن رضي بقدر الله[١].

فعلم الإنسان بأنّ المقادير أمورٌ مرسومةٌ، ولا رادّ لها، وأنّها تجري وفقًا للحكمة الإلهيّة يجلب الطّمأنينة، وثبات القلب، وراحة البال[٢].

---

(١) تعريف غير المسلمين بالإسلام (صـ٤٩) محمد بن إبراهيم الحمد.
(٢) موسوعة نضرة النعيم (٦/ ٢٢٨٩).

كما أن الاستقامة على أمر الله، والإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يثمر سعادة الآخرة، فهو كذلك يثمر سعادة الدنيا من سكون القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال؛ فهذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقدر، وهي مطلبٌ مُلِحٌ، وهدفٌ منشودٌ، وغايةٌ مُبْتَغاةٌ؛ فكل من في الأرض يبتغيها، ويبحث عنها، ويسعى لها سعيها، ولكن كما قيل:

كل من في الوجود يطلب صيدًا ... غير أن الشباك مختلفاتُ

فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمراتها إلا من آمن بالله وقضائه وقدره؛ فالمؤمن بالقدر ساكن القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال، لا يفكر كثيرًا في احتمال الشر، ثم إن وقع لم يطِرْ له قلبه شَعاعًا، بل يتحمل ذلك بثباتٍ وصبر: إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروهٌ قابله بجأشٍ رابطٍ فخفف حدته؛ فمن الحكمة ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحصول الشر.

بل يسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدةً عنه، فإذا حدثت قابلها بشجاعةٍ واعتدالٍ.

سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال، هذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، وهي هدف منشود، فكل من على وجه البسيطة يبتغيها ويبحث عنها، وإنك لتجد عند خواص المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين، من سكون القلب، وطمأنينة النفس ما لا يخطر على بالٍ، ولا يدور حول ما يشبهه خيالٌ فلهم في ذلك الشأن القدمُ المعلَّى والنصيبُ الأوفَى، فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «أصبحت وما لي سرور إلا في

مواضع القضاء والقدر».

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية: يقول: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة».

ويقول مقولته المشهورة التي قالها عندما اقتيد إلى السجن: «ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحلت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة»(١).

أما إذا لم يرض بقضاء الله تعالى وقدره، وتسخط حاله فلا بد أن يُسلب راحة البال، حيث يلوم نفسه وغيره، وهذا اللوم الذي يوجه إلى النفس لا يفيد شيئًا، فإن فيه نوع اعتراضٍ على قدر الله، حيث ينظر المرء إلى الفعل وكأنه جهدٌ شخصيٌ معزولٌ، لا علاقة لمشيئة الله له، وكذلك فيه تألٍّ عليه سبحانه وتعالى، لذلك يحفز النبي ﷺ المؤمن على أن ينأى بنفسه عن مثل ذلك فيقول: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٢).

ولنا أن نتوقع أشياء كثيرة من أعمال الشيطان التي تفتحها كلمة: ﴿ لَوَ ﴾، ونتصور احتمالات الشر على كثرتها عندما يُسلم الإنسان قيادَه إلى الشيطان.

فالشيطان لا يريد للمؤمن راحة البال ونقاء السريرة، ولا يريد له أن يوجه جهده إلى عملٍ إيجابيٍ منتجٍ له ولفكرته، ويحول بينه وبين تجاوز الخطأ،

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (صـ١٧).

(٢) رواه مسلم (كتاب القدر-باب في الأمر بالقوة، وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله-٢٦٦٤-٤/ ٢٠٥٢).

ويسره أن يدور الإنسان المؤمن في حلقةٍ متصلةٍ من الأخطاء المتتابعة ولا يهتدي لمخرج من ذلك.

وهكذا يحدد الرسول الكريم ﷺ للمؤمن الغاية والهدف، ويسلحه بالوسيلة، ويرسم له مجال العمل: قلبٌ متصلٌ بالله ومتجهٌ إليه، وجهدٌ إيجابيٌّ يتطلع إلى الأحسن دائمًا، وأعمالٌ تستمد فاعليتها عن تسديد الله لها، ونفسٌ راضيةٌ تقابل المصاعب بالصبر والثبات، وسدٌ لكل ذرائع الشيطان التي يسهل تسلله منها.

فلله ما أَسَدَّ هذا الكلام، وما أسمى هذا التوجيه، ولسنا ندري -والله- بأي جانبيه نحن أشد إعجابًا: بوجازته وجمال سبكه؟ أم بما احتواه من كريم المعنى وجليل المحتوى؟ !

فصلى الله وسلم على قائله، وجمعنا به، وسقانا من حوضه ﷺ(١).

كفكفْ دموعكَ إنّ الدمعَ قدْ سَالَ   على وجنتيكَ فصارَ الخدُّ أثمالِ

كفاكَ حُزنًا على ماضٍ يؤرقكَ   واطلبْ لنفسكَ فضلًا راحةَ البالِ

❀ ❁ ❀

---

(١) مجلة البيان (من مشكاة النبوة ٧/ ١٥).

الفصل الرابع

صلاح البال بالتوحيد وصفاء العقيدة

قال ابن القيم: "فَالتّوْحِيدُ يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ بَابَ الْخَيْرِ وَالسّرُورِ وَاللّذّةِ وَالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ"(١).

قال الطاهر بن عاشور: "التَّوْحِيدُ أَصْلُ صَلَاحِ بَالِ الْمُؤْمِنِ، وَمِنْهُ تَنْبَعِثُ الْقُوَى الْمُقَاوِمَةُ لِلْأَخْطَاءِ وَالْأَوْهَامِ الَّتِي تَلَبَّسَ بِهَا أَهْلُ الشِّرْكِ، وَحَكَاهَا عَنْهُمُ الْقُرْآنُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَالْمَعْنَى: أَقَامَ أَنْظَارَهُمْ وَعُقُولَهُمْ فَلَا يُفَكِّرُونَ إِلَّا صَالِحًا وَلَا يَتَدَبَّرُونَ إِلَّا نَاجِحًا"(٢).

فالعقيدة تملأ نفس المؤمن طمأنينةً وسكينةً، حتى إذا اطمأن قلبه، وسكنت نفسه، شعر براحة البال، فلا يتسرب إليه جزعٌ، ولا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلًا.

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾(٣)، ومن هذا المنطلق يرضى المؤمن بقضاء الله وقدره، فلا يجزع إن مسه الشر، ولا يمنع إن مسه الخير، ولا يندم على ما فات؛ لأنه يعلم أنه لا راد لقضاء الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وفي هذا

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٧٦) للطاهر بن عاشور.

(٣) [الرعد:٢٨].

المعنى يقول الله تعالى:﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١) وعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٢).

والمسلم الذي استقرت العقيدة في أعماقه لا يقلق لأسباب منها:-

١- عدم وجود أسئلة في الكون تحيِّره: فهو يعلم أن الله واحد، وأن هذا الكون كله من خلق الله لأ، قال تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٣)، وهو يعلم أن الإنسان قبضةٌ من طينٍ، ونفخةٌ من روحٍ، خلقه رب العالمين بيديه، وبدأ رحلته من الجنة، ونزل إلى الأرض، وأن له طريقًا مستقيمًا توصله إلى منازله الأولى، وهذه الأسئلة التي حيرت الفلاسفة والمفكرين أخبره عنها ربه، فأراحه وطمأنه من مصدرٍ موثوقٍ صادقٍ يجيب له عن جميع استفساراته.

٢- إنه يعلم أن هذه الدنيا ليست النهاية، والجزاء ليس في هذه الأرض قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾(٤)، فما فاته في الدنيا سيعوض عليه في الآخرة، والحياة الدنيا بالنسبة للآخرة كساعة من نهار، قال تعالى: ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا

---

(١)[الحديد:٢٣].
(٢) رواه مسلم (كتاب الزهد والرقائق-بابٌ المؤمن أمره كله خير-٢٩٩٩-٤/ ٢٢٩٥).
(٣) [الأنعام:١٠٢].
(٤) [النجم:٣٩-٤١].

مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(١)، وهذا كله يسكب الطمأنينة في قلبه، والسعادة في أعماقه، وهذا يجعله يترفع على الصغائر وسفاسف القول والعمل، ويهتم بما عظم من الأمور.

وهذا يربِّي عنده التضحية والبذل، حتى أنه ليبذل روحه في سبيل الله طمعًا فيما هو أكبر من النفس والأرض وهو الجنة، ولعلك تذكر معي ما قاله خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لملك الروم: «جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»(٢).

وهذه التربية الإسلامية العالمية هي التي جعلت المرأة من بني عبد الدار عندما أخبرت باستشهاد زوجها وأخيها وأبيها تقول: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ يَقُولُونَ: أَمَامَكِ حَتَّى دُفِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَتْ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، لَا أُبَالِي إِذْ سَلِمْتَ مَنْ عَطِبَ»(٣).

٣- أنه مطمئنٌ، لأنَّه يعلم أنَّ الرزق محدودٌ، والأجل مقدرٌ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٤)، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(٥).

---

(١) [التوبة:٣٨].

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه (كتاب الجهاد-باب رسائل النبي ﷺ ودعوته-٢٤٨٢-٢/ ٢٢٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب التاريخ-قدوم خالد بن الوليد الحيرة وصنيعه-٣٣٧٢٨-٦/ ٥٤٧).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (من اسمه محمد-٧٤٩٩-٧/ ٢٨٠)، والأصفهاني في الحلية (٢/ ٣٣٢).

(٤) [آل عمران:١٤٥].

(٥) [الذرايات:٢٢]، العقيدة في الله (٢٧-٢٨) د/ صالح الرقب أستاذ مشارك في العقيدة =

الفصل الخامس

صلاحُ البالِ فِي عبادةِ الكبيرِ المتعالِ ﷻ

القرب من الله ﷻ بأداء العبادة، وحسن العلاقة معه تبارك وتعالى أقصرُ طريقٍ لصلاحِ البالِ: رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١).

وتأمل كيف قرن الله ﷻ بين الأمر بالعبادة وتكفله بالرزق حيث قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾(٢)، وفي المقابل قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى

= والمذاهب المعاصرة، ود/ محمد حسن بخيت أستاذ مشارك في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية - كلية أصول الدين-غزة- فلسطين، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م).

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق-باب التواضع-٦٥٠٢-٨/ ١٠٥).

(٢)[الذاريات: ٥٦ - ٥٧].

فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١)، فبقدر الابتعاد عن الله، وبقدر ضعف الصلة به، يكون الشقاء والضنك وسوء البال ومن ثمَّ الحال، عافانا الله من الخذلان.

الآثار المترتبة على العبادات كثيرة، منها:

- انشراحُ الصدر.
- راحةُ البال.
- سَعةُ الرزق.
- سلامةُ الإنسان، وارتياحُه، واطمئنانُه.

وقد جاء في القرآن آياتٌ كثيرة، وفي السنة النبوية أحاديث عديدة، تدلّ على تلك الآثار، وعلى أنَّ تقوى الله ﷻ والأعمال الصالحة يترتب عليها سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٢) فإنَّ هذه الآيةَ الكريمة اشتملت على ذِكر العبادة، وعلى ذِكر الأثر المترتب عليها في حياة المسلم، وهي أنَّ من اتقى الله ﷻ وآمن به فإنَّ الله تعالى يُثيبُه ويعطيه في الحياة الدنيا من الرزق، ويفتح عليه من بركات السماء والأرض وذلك بإنزال الأمطار، وإخراج النبات والكنوز من الأرض.

---

(١)[طه: ١٢٤].
(٢) [الأعراف:٩٦].

وقال ﷻ في أهل الكتاب: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ ﴾ يعني من الأرزاق التي يُنْزِلُها الله ﷻ إليهم من السماء بسبب المطر، وكذلك مِن تحت أرجلهم مِمَّا ينبته الله ﷻ في الأرض من النبات والزروع، وكذلك مِمَّا يخرجه الله ﷻ من الكنوز، وما ذكره الله في هاتين الآيتين عن أهل القرى، وأهل الكتاب، هو من الثواب الدنيوي على الإيمان والتقوى، وأمّا الثواب الأخروي للمؤمنين المتقين فقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ ﴾(١).

وقال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾(٢) وهذه عبادة، ثم ذكر الأثر المترتب على ذلك بقوله: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣)، فإنَّ إصلاحَ الأعمال، ومغفرةَ الذنوب في الآخرة، من الآثار المترتبة على العبادة، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة، على ذكر آثار تترتب على العبادة في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا إصلاح الأعمال والتوفيق على تقوى الله سبحانه وتعالى.

وقال تعالى فيما حكاه عن نوح وقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾(٤)

---

(١) [المائدة:٦٥].
(٢) [الأحزاب:٧٠].
(٣) [الأحزاب:٧١].
(٤) [نوح:١٠-١٢].

فإنَّ هذه الأمور من الآثار المترتبة على العبادة، فالعبادة هنا هي الاستغفار والآثار المترتبة عليها في هذه الآية هي أنه يرسل السماء عليهم مدرارًا، ويُمددهم بالأموال والبنين، ويجعل لهم جنات ويجعل لهم أنهارًا.

ومثل هذه الآية ما ذكره الله عن هود وقومه في قوله: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ ﴾(١)، ومثلها أيضًا في نفس السورة ما ذكره الله عن نبينا محمدٍ ﷺ وقومه في قوله: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ ففي الآية الكريمة أنَّ الإيمان والعمل الصالح يترتب عليهما أن يحيا الإنسان حياةً طيبةً بها السكينة والطمأنينة، وصلاح البال، واستقرار الحال، هذا في الدنيا، وفي الآخرة أحسن الثواب من ربنا الوهاب، اللهم إنا نسألك من فضلك يا أرحم الراحمين.

❀

(١) [هود:٥٢].
(٢) [هود:٣].

الفصل السادس

صلاح البال بالانكسار بين يدي العزيز الغفار

راحة البال وسرور النفس يكون بالانكسار بين يدي قدرة الله وصفاته، ونعمه سبحانه، ليكون مع هذا الانكسار، التوفيق، والسداد، والهدى، والرشاد.

قال نبينا ﷺ في حديث سيد الاستغفار: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»[1] فجمع النبي ﷺ بين مشاهدة المنَّة ومطالعة عيب النفس والعمل.

قال شيخ الإسلام: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل[2].

فمشاهدةُ المنَّة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلسًا، وأقرب بابٍ دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاسُ فلا يرى لنفسه حالًا ولا مقامًا ولا سببًا يتعلق به ولا وسيلةً منه يمنُّ بها؛ بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف، والإفلاس المحض،

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات–باب أفضل الاستغفار–٦٣٠٦–٨/ ٦٧).

(٢) ذكره ابن القيم عنه في الوابل الصيب (صـــ٧).

دخولَ من كسر الفقرُ والمسكنةُ قلبَه حتى وصلت تلك الكسرةُ إلى سويدائهِ فانصدع، وشملته الكسرةُ من كل جهاتِه، وشهد ضرورتَه إلى ربه لأ، وكمالَ فاقته وفقره إليه وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته.

ولا طريق إلى الله أقرب من العبودية، ولا حجاب أغلظ من الدعوى.

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل، وذل تام.

ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلي المتقدمين وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غره وغيلة، وما أسرع ما ينعشه الله ﷻ ويجبره ويتداركه برحمته[1].

ومراتب الذل والخضوع والانكسار والافتقار أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: ذل الحاجة والفقر، وهذه عامة في جميع الخلق.

المرتبة الثانية: ذل الطاعة والعبودية، وهو خاص لأهل طاعته.

المرتبة الثالثة: ذل المحبة فالمحب ذليل بالذات، وعلى قدر محبته يكون ذله.

المرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية وحقيقة ذلك هو الفقر.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (صـ٧) لابن القيم.

فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم[١].

فإذا انكسر قلب العبد وخضع لربه رأى أنه لا يستحق قليلًا ولا كثيرًا، وأن كل خيرٍ ناله من الله استكثره على نفسه، وعلم أن قدره دونه، وأن رحمةَ ربه هي التي اقتضت ذكره به، وسياقته إليه.

واستقل طاعاته لربه، ورآها ولو ساوت طاعات الثقلين من أقل ما ينبغي لربه عليه، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه، ورآها سوء أدب مع ربه الذي أكرمه بوافر نعمه.

فالانكسار والافتقار الذي حصل لقلبه أوجب هذا كله، فما أقرب الخير والجبر من هذا القلب المكسور، وذرة من هذا ونَفَسٍ منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بعلومهم وأعمالهم وأحوالهم.

وأحب القلوب إلى الله قلبٌ تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلة، ينظر إلى ربه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم، ونظر الفقير العاجز إلى الغني القادر.

فلا يرى في جميع أحواله إلا متعلقًا بربه خاضعًا له، يسأله عطفه ورحمته، باكيًا بين يديه، يقول: يا رب .. يا رب .. ارحم من لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك، ولا مغيث له سواك، ولا مؤوي له سواك.

فما أهنأ هذا العبد بصلاح باله وسلامة قلبه وهو خاضعٌ منكسرٌ لربه يتقلب بين الاعتراف بالنعمة وشهود المنة، ومطالعة عيب النفس والعمل.

---

(١) تزكية النفوس (ص/ !٢٣) د. أحمد فريد.

الفصل السابع

صلاح البال بتقوى ذي الجلال ﷻ

تقوى الله ﷻ بها صلاح بال المرء؛ قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(١)، وتقوى الله تعالى تقتضي مع عبادته البعد عن معصيته وأسباب سخطه، فالعبادة وحسن العلاقة أخص بفعل المأمور، والتقوى أخص بترك المحظور وبينهما من التلازم ما لا يخفى.

وقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾(٢) فهذه الآية الكريمة تدل على أنَّ مَن اتقى الله ﷻ، وعمل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ يجعل له فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل، ويسير إلى الله ﷻ على بصيرة وعلى هدى وهذا في الدنيا، وأمّا في الآخرة فيثيبه بتكفير السيِّئات ومغفرة الذنوب، ومثل قول الله ﷻ في صدر هذه الآية ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ قول الله تعالى في آخر

---

(١)[يونس: ٦٢ – ٦٤].

(٢) [الأنفال:٢٩].

آية الدين: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾(١).

تتجلَّى أهميَّة التَّقوى وفضائلها من خلال الأمور الآتية:

أوَّلاً: إنَّ التَّقوى وصيَّةُ الله ﷻ لنا نحن البشر، وقد وردَ هذا في كتابه الكريم في سورة النِّساء، إذ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾، وهي وصيَّةُ رسوله ﷺ من بعده، إذ لا زال يوصي المسلمين بالتَّقوى حتَّى مات، فكانَ آخر ما أوصى الناس به في حجَّة الوداع، كما كان رسول الله ﷺ يوصي بها كلَّ سريَّةٍ يُرسلها إلى بُقعةٍ من بِقاعِ الأرض، وقد اتَّبعه الخلفاء الرَّاشدون من بعده، فكانوا يوصون النَّاس بتقوى الله ﷻ في خُطَبِهم وعلى منابرهم.

ثانيًا: ترتبطُ التَّقوى بأصول الإسلامِ العظيمة، فتتعلَّقُ بالإيمانِ وتتعلَّقُ بالأعمال، إذ نجدُ القرآن الكريم يُلحِق التَّقوى بشتَّى الأفعالِ الإسلاميَّة قلبيَّةً كانت أم حسيَّةً، ومن أمثلة ذلك قول الله ﷻ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾، إذ تضعُ الآية جملةً من

(١) [البقرة:٢٨٢]، وانظر: أثر العبادات في حياة المسلم (صـ١٢-١٥) عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ط/ دار المغني- الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

أصنافِ البرِّ ثمَّ تنسبهُ إلى المتَّقين.

ثالثًا: التَّقوى لِباسٌ يواري سواءات المسلم الدَّاخلية، ويتخلَّصُ به من كِبره، وحقده، وغلِّه، وشكِّه، وأخطائه، وقد وردت هذه الصُّورة في القرآن الكريمِ، إذ قال ﷻ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾.

○ ثمار التقوى:

-**الثمار الدنيوية للتقوى:** تعدَّدت ثمارُ التَّقوى الدُّنيويَّة والتي تُسمَّى الثِّمارُ العاجلة، ونذكرُ منها ما وردَ في القرآنِ الكريم أو السنَّة النَّبويَّة الشَّريفة فيما يأتي:

١ – تقوى الله ﷻ سببٌ في انفراجِ الهمِّ وتحصيلِ الرِّزقِ: قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾(١).

٢– تقوى الله ﷻ سببٌ في إحباطِ الله ﷻ لكيدِ أعدائه ومكرهم: قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾(٢).

٣– تقوى الله ﷻ سببٌ في النَّجاةِ من عذابه الذي قد يَنزِلُ بالقومِ الكافرين: قال تعالى عن قومِ ثمود: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾(٣).

---

(١) [الطلاق:٢-٣].
(٢) [آل عمران:١٢٠].
(٣) [فصلت:١٧].

٤- تقوى الله ﷻ سببٌ في إحاطةِ العبدِ بمعيَّةِ الله -تعالى- وتوفيقه: قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.

٥- تقوى الله ﷻ سببٌ في إزاحةِ الحزنِ والخوفِ عن المسلم: قال الله ﷻ: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾(١).

٦- تقوى الله ﷻ يُوصلِ إلى هدايةِ الإنسانِ: قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾(٢).

٧- تقوى الله ﷻ سببٌ لحُسنِ تحصيلِ المؤمنِ للعلمِ النَّافِع: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾(٣).

٨- تقوى الله ﷻ يعطي المسلمَ بصيرةَ التفريقِ بين الحقِّ والباطل: حيث قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾(٤).

٩- تقوى الله ﷻ يورثُ المسلمَ تعظيمهُ لشعائرِ الدِّين؛ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾(٥).

---

(١) [يونس:٦٢].
(٢) [البقرة:٢-٣].
(٣) [البقرة:٢٨٢].
(٤) [الأنفال:٢٩].
(٥) [الحج:٣٢].

١٠- تقوى الله ﷻ سببٌ لانتفاعِ المتّقين من آياتِ الله -تعالى- وفهمها والاتِّعاظُ بها: إذ هُمُ الفئةُ المستهدفة من البيانِ والعِظة، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨ ﴾(١).

١١- تقوى الله ﷻ يستجلبُ حبَّ الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ ﴾(٢).

١٢- تقوى الله ﷻ يستجلبُ الفلاحَ في الدُّنيا والآخرة: إذ ورد في القرآن الكريم قوله -تعالى-: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠٠ ﴾(٣).

١٣- تقوى الله ﷻ يستجلبُ رحمته: قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ﴾(٤).

١٤- تقوى الله ﷻ يطردُ وساوس الشَّيطان: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١ ﴾(٥).

١٥- تقوى الله ﷻ يستجلبُ خيرَ العِوَضِ من الله -جلَّ وعلا-: فقد قال رسول الله ﷺ: «**إنَّكَ لن تدَعَ شيئًا اتِّقاءَ اللهِ جَلَّ وعَزَّ إلَّا أعطاكَ اللهُ خيرًا منهُ**»(٦).

---

(١) [آل عمران:١٣٨].
(٢) [التوبة:٤].
(٣) [المائدة:١٠٠].
(٤) [الأعراف:١٥٦].
(٥) [الأعراف:٢٠١].
(٦) رواه أحمد (حديث الأعرابي-٢٠٧٣٩٣٤/ ٣٤٢)، والبيهقي في الكبرى (كتاب البيوع- بَابُ كَرَاهِيَةِ مُبَايَعَةِ مَنْ أَكْثَرُ مَالِهِ مِنَ الرِّبَا أَوْ ثَمَنِ الْمُحَرَّمِ-١٠٨٢١-٥/٥٤٦)، وصححه =

١٦: تقوى الله ﷻ يستجلِبُ البركةَ في المالِ والعمل: قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(١).

-**الثمار الأخروية للتقوى:** تعدَّدت ثمارُ التَّقوى الأخرويَّة والتي تُسمَّى بالثِّمارُ الآجلة، ونذكرُ منها ما وردَ في القرآنِ الكريم أو السنَّة النَّبوية الشَّريفة فيما يأتي:

١- المتَّقونُ هم ورثةُ الجنَّة: -جعلنا الله منهم- قال تعالى: ﴿ وَٱلْأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(٣)، وليسَ هذا وحسب بل نصَّ على فوقيَّتهمِ وأحقيَّتهم، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴾(٤).

٢- المتَّقونَ يومَ القيامةِ مجتمعونَ على غرار غيرهم: قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٥).

٣- يفوزُ المتَّقونَ في الآخرةِ خيرَ مفازٍ: قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾

=

أحمد شاكر.

(١) [الأعراف:٩٦].

(٢) [الزخرف:٣٥].

(٣) [مريم:٦٣]

(٤) [البقرة:٢١٢].

(٥) [الزخرف:٦٧].

حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ﴿٣٣﴾ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ﴿٣٥﴾ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴿٣٦﴾ ﴾(١)، بل وأكثر، إذ فصَّل القرآنُ الكريمُ في موضعٍ آخر جزاءَ المتَّقينَ، في قوله -تعالى-: ﴿ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ ﴾(٢).

٤- المتَّقونَ يدخلونَ الجنَّة زُمَرًا زُمَرًا: -أيّ في مجموعات-، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾(٣).

٥- المتَّقونَ موعودونَ بِغُرفٍ مميَّزةٍ وخاصَّة في الآخرة: قال الله ﷻ: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾(٤).

٦- المتّقونَ ينجيهمُ الله ﷻ يومَ القيامة: قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾.

٧- المتَّقونَ في الآخرةِ لهُم مقامٌ خاصٌّ سمَّاه الله ﷻ بالأمينِ: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ

---

(١) [النبأ:٣١-٣٦].

(٢) [ص:٤٩-٥٣].

(٣) [الزمر:٧٣].

(٤) [الزمر:٢٠].

وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

٨- المتَّقون في الآخرةِ لهم مقعدٌ خاصٌّ بهم: قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾(٢).

٩- المتَّقونَ أجورهم محفوظةٌ إلى يومِ القيامة: قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾(٣).

١٠- المتَّقونَ لهم حسنُ العاقبة وحسنُ المآلِ عند الله ﷻ: قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٤).

١١- المتَّقونَ موعودونَ بقبولِ أعمالهمِ وتكفيرِ سيئاتِهم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٥).

١٢- تقوى الله ﷻ هو ميزانُ الكرامة والتفاضل عند الله -تعالى-: قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾.

---

(١) [الدخان:٥١-٥٧].
(٢) [القمر:٥٥].
(٣) [يوسف:٩٠].
(٤) [القصص:٨٣].
(٥) [الأحزاب:٧٠-٧١].

١٣- المتَّقون يُفَضِّلون ما عند الله ﷻ على مال الدُّنيا ومتاعها: قال الله ﷻ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝١٥ ﴾[١].

١٤- المتَّقون مخلَّدون في الجنَّة: ودلَّت على ذلك آياتٌ كثيرةٌ بشَّرتهم بالجنَّة والخلود فيها، ومن تلك الآياتِ قوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۝٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤ ﴾[٢].

❊

(١) [آل عمران:١٤].
(٢) [الطور:١٧-٢٤].

الفصل الثامن

صلاح البال بمعية ذي الجلال ﷻ

معيّة الله ﷻ تورثُ العبد السكينة، والطمأنينة، وصلاح البال، واستقرار الحال.

ومذهب أهل السنة والجماعة اتباعُ السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، وحاصل مذهبهم أن الله سبحانه وتعالى يُثْبَت له من الأسماء الحسنى والصفات العلى ما ثبت في كتابه أو سنة نبيه ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

وصفة المعية من الصفات الثابتة لله في الكتاب والسنة، بأن الله معنا حقيقةً كما يليق بجلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١ ﴾[1]، مع إثبات علو الله سبحانه فوق عرشه واستوائه عليه استواء يليق بجلاله.

وأصل المعية في اللغة يرجع إلى الاسم (مع)، ومعناه الصحبة والمصاحبة، وضم الشيء إلى الشيء واجتماع شيئين.

وعلى هذا فإن (مع) لا تقتضي في اللغة اختلاطًا ولا امتزاجًا ولا اتصالاً، كما زعمه البعض، بل هي لمطلق المصاحبة والمقارنة، ألا ترى أن القمر يكون

---

(١)[الشورى:١١].

مع المسافر وغيره، وهو عالٍ بعيدٌ، لا يخالط الناس ولا يمازجهم.

والمعية: قد تفيد العلم، أيضًا، وقد تفيد النصرة، إذا كان السياق يدل على ذلك، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن (مع) في القرآن على خمسة أوجه:

١- (الصحبة) كما في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾[١].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَمَعْنَى ﴿ مَعَهُۥٓ ﴾: الْمُصَاحَبَةُ الْكَامِلَةُ بِالطَّاعَةِ وَالتَّأْيِيدِ.. وَالْمُرَادُ: أَصْحَابُهُ كُلُّهُمْ لَا خُصُوصُ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ"[٢].

٢- ﴿ ٱلنَّصۡرُ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾[٣].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤ ﴾: "أي بعونه ونصره وتأييده"[٤].

٣- ﴿ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ﴾[٥].

---

(١)[الفتح:٢٩].
(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٣).
(٣)[التوبة:٤٠].
(٤) تفسير السعدي (صـ٣٣٦).
(٥)[المجادلة:٧].

قال السعدي: "وهذه المعية، معية العلم والاطلاع"(١).

٤- ﴿ عِندَ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ ﴾"(٢).

قال ابن كثير: وغيره: يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ يَقُولُ: لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ مُحَمَّدًا ﷺ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.

٥- ﴿ عَلَىٰ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾(٣).

قال الشوكاني: "أي اتَّبَعُوا الْقُرْآنَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَعَ نُبُوَّتِهِ وَقِيلَ الْمَعْنَى: وَاتَّبَعُوا الْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ إِلَيْهِ مَعَ اتِّبَاعِهِ بِالْعَمَلِ بِسُنَّتِهِ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، أَوِ اتَّبَعُوا الْقُرْآنَ مُصَاحِبِينَ لَهُ فِي اتِّبَاعِهِ"(٤).

❍ أنواع معية الله في القرآن:

جاءت هذه اللفظة في ثمان عشرة آية من آي الذكر الحكيم، تفيد معية الله سبحانه لملائكته، أو صفوة خلقه من أنبيائه، وأوليائه والمؤمنين الصادقين، أو سائر الناس، ودلت هذه النصوصُ القرآنية على وروده على معنيين اثنين، كما قال ذلك غير واحد من أهل العلم وهما:

المعية العامة: وهذا النوع من أنواع المعية المراد به أن الله مع جميع الخلق

---

(١) تفسير السعدي (صـ٨٣٧).

(٢)[البقرة:٤١].

(٣)[الأعراف:١٥٧].

(٤) فتح القدير (٢/ ٢٨٨).

بعلمه، أي بمعنى الإحاطة والشمول، فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم وعالم بهم، وسميت عامة لأنها تعم جميع الخلق، ولقد وردت في القرآن في مواضع كثيرة منها كما في آية المجادلة السابقة.

المعية الخاصة: وهي معيَّة الاطلاع والنُّصرة والتأييد والتوفيق، وسميَّت خاصَّة لأنها تخصُّ أنبياء الله وأولياءه دون غيرهم من الخلق، وقد وردت في القرآن في مواطن كثيرة منها على سبيل المثال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾(١)، أي إنَّ الله مع الصابرين بعونه وتوفيقه وتسديده.

❍ آثار الإيمان بهذه المعية:

لكل من المعيتين العامة أو الخاصة آثارٌ جليلة وعظيمة، **فبالنسبة للمعية العامة فإنَّ من أهم آثارها:**

١-تربية المهابة في نفوس الناس من هذا الإله العظيم العليم بالسر وأخفى.

٢-الإسراع بالطاعة والإقلاع عن المعصية لإحاطة علمه تعالى بخلقه.

أما ما يتعلق بالمعية الخاصة، فمن آثارها:

١-من كان الله معه فلا يغلبه أحد ولا يؤثر فيه شيء، فهو يتصل بمصدر القوة، وهي قوة الله الغالب على أمره القاهر فوق عباده.

٢-لا يشعر صاحب المعية بوحشة لأنه معه ربه يؤنسه ويثبته ويقويه.

---

(١)[البقرة:١٥٣].

٣-الشعور بالرضا والاطمئنان والهدوء النفسي، كما قال موسى عليه السلام بكل ثقة واعتزاز لما حاصره فرعون وجنوده: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[1].

جعلنا الله من الفائزين بمعيته العامة والخاصة، وأن يجعلنا في كنفه ورعايته، وأن يصلح بالنا، ويشرح صدورنا، ويتوب علينا، ويُحسن ختامنا إنه على كل شيءٍ قدير.

❊

(١)[الشعراء:٦٢].

الفصل التاسع

صلاح البال باتباع القرآن

العمل بالقرآن سببٌ لتكفير الذنوب، وإصلاح البال:

يؤثر القرآن تأثيرا عظيمًا في نفس المرء فهو يزيد من ثقته بنفسه، ويزيد في قدرته على الصبر، وتحمل مشاق الحياة، ويبث الأمن والطمأنينة في النفس، ويبعث على راحة البال، ويغمر الإنسان بالسعادة، والاستقرار.

فكل توجيهات القرآن الكريم من حثٍّ على امتثالٍ، وتحذيرٍ من قبائح وفضائح، فُصّلت لتربى النفس البشرية على الجادة، وتسير على الاستقامة، والعدل والاستقرار، مستشعرًا بطمأنينة الحال، وراحة البال(١).

فالقرآن الكريم فيه الهدي والنور، وفيه الكمال، وراحة البال: قال ذو الجلال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾(٢).

فما ترك خيرًا فيه مصلحةٌ للثقلين -الجن والإنس- إلا وأرشد إليه، وما ترك

---

(١) التربية القرآنية وأثرها على الفرد والمجتمع (صـ١٤) إعداد : د. محب الدين بن عبد السبحان واعظ- الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة-كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى-مكة المكرمة (١٤٢٧هـ).

(٢) [الإسراء:٩].

شرًّا إلا وحذر الناس منه، سواءٌ في أمور الدنيا، أو لما فيه السعادة الأخروية، سواءٌ بالعبارة الواضحة أو بالمثل الذي يقرب الأمر المراد إلى الأذهان؛ لتتفكر وتدرك حكمة الله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾(١)، ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾(٣).

قال الإمام القرطبي: "﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ لم يخالفوه في شيء، قال سفيان الثوري: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ يريد أن إيمانهم هو الحق من ربهم، وقيل: أي أن القرآن هو الحق من ربهم، نسخ به ما قبله.

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ أي: ما مضى من سيئاتهم قبل الإيمان. ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ أي: شأنهم، عن مجاهدٍ وغيره. وقال قتادة: حالهم. وابن عباس: أمورهم. والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بدنياهم. وحكى النقاش أن المعنى أصلح نياتهم..، وهو على هذا التأويل محمولٌ على صلاح دينهم"(٤).

قال الإمام الشنقيطي: "أي غفر لهم ذنوبهم، وتجاوز لهم عن أعمالهم

---

(١) [العنكبوت:٤٣].

(٢) [الرعد:٤].

(٣) [محمد:٢].

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٤).

السيئة ﴿ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾ أي: أصلح لهم شأنهم وحالهم إصلاحًا لا فساد معه"[1].

قال الإمام الطبري: "﴿ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة أن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه"[2].

هل تبحث عن السعادة والطمأنينة وراحة البال؟!

هل تتوق إلى الربانية والقرب من الله؟!

هل تريد لقلبك أن يحيا حياته الحقيقية؟!

ها هو القرآن يدعونا جميعًا لذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[3].

إن القرآن ينبت الإيمان في القلوب مهما بلغت قسوتها، ويُشربها محبة الله، وخشيته، ومهابته حتى يصير حبه -سبحانه- أحب الأشياء إليها، وخشيته أخوف الأشياء لديها.

إنه روح القلوب وقوتها، من فقده فقد أضاع على نفسه فرصةً عظيمةً للحياة الحقيقية، والسعادة، والرضا، ودخول جنة الدنيا.

واعلم أخي أن هذا ليس كلامًا نظريًا إنشائيًا تُسوَّد به الصفحات، بل هو

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٤٥) للشنقيطي.
(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٥١).
(٣)[الأنفال: ٢٤].

حقيقةٌ لا ينقص ظهورها في عالم الواقع سوى أن نتخذ القرار الآن بالانتفاع الحقيقي بالقرآن.

نعم، الآن علينا أن نعزم على ذلك، ثم نتجه إلى الله، نتضرع إليه، ونستغيث به استغاثة المشرف على الغرق بأن يفتح قلوبنا لأنوار القرآن.

ثم نقبل مباشرةً على القرآن نقرؤه قراءة جديدة، قراءة الباحث عن الهداية والشفاء والتغيير، وأن نداوم على ذلك ما وسعنا الوقت والجهد.

فيقينا إن ثابرنا على ذلك فستشرق قلوبنا بنور القرآن، وسَتدبُّ الروح في صدورنا، لتبدأ الحياة الجديدة، والولادة الحقيقية، ولادة القلب الحي الذي إذا ما وُجد: وُجدت معه أسباب النجاح والفلاح جميعًا.

وتذكر أخي أن صلاح الأمة متوقفٌ على صلاحي وصلاحك، وصلاحنا لن يكون إلا بالإيمان أولًا، والقرآن هو العمود الفقري لهذا الإيمان.

فماذا ننتظر بعد ذلك؟!

ماذا ننتظر وقد دخلت الأمة إلى الغار، وقد سقطت صخرةٌ عظيمةٌ فأغلقت بابه، والكل يستصرخ وينادي: هل إلى خروجٍ من سبيل؟

فهل نكتفي بارتداء الأكفان، وانتظار الموت، أم نبحث عن مخرج من هذا الغار؟!

إن الدليل الذي سيقودنا إلى الخروج موجودٌ لكنه مهجور.

إن القائد الذي نبحث عنه قريبٌ منا، وأهلٌ لإخراجنا من الغار.

إنه القرآن .. إي وربي القرآن ..

هكذا أخبرنا ربنا وأرشدنا نبينا ﷺ.

فهيا يا أخي .. هيا نبدأ بأنفسنا أولًا فنأخذ الدواء، ونزحزح الصخرة لنخرج من الغار، ونرى شمس النهار، ونستنشق النسيم النقي، فيحيا القلب، وتسكن النفس، ثم نعود لنأخذ بأيدي إخواننا فنخرجهم من هذه الظلمات بإذن الله[1].

❊

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن (صـ٩٦) مجدي الهلالي، ط/ مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

الفصل العاشر

صلاح البال بذكر الله

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١) فذكر الله له الجزاءين، جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة، وذكر العلماء عن السلف -رحمهم الله- أنهم يقولون: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه -يعني: من راحة البال وطمأنينة القلب وانشراح الصدر- لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾، ومن ذلك دوام الاستغفار، والصلاة على رسول الله ﷺ، وقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» والمداومة على أذكار الصباح والمساء.

الطمأنينة وراحة البال لاستشعار الذاكر والداعي أن الله معه، ومن كان الله معه، فلا غالب له.

---

(١)[النحل: ٩٧].
(٢) [طه:١٢٣-١٢٤].

وحث الله سبحانه وتعالى على دوام ذكره، وكثرة استغفاره، والصبر على طاعته؛ فهي زادٌ في طريق دعوته ونشر رسالته، وعونٌ على القيام بحقوق عبوديته، وفيها انشراحُ الصدرِ وسرورُه، وطمأنينةُ القلبِ ونورُه، وراحةُ البال وحبورُه، ورضَى النفسِ وسعادتُها، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾(٣).

ومن موانع تأثير الشيطان على العباد، ومنعه من تحقيق الفساد، ورد كيده وكيد الفجار والكفار قوة التعلق بالله، ولزوم التعوذ بالله، والالتجاء إلى الله، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لعباده أذكارًا عاصمة، وأورادًا حافظة، وأسبابًا واقيةً إذا اعتصم بها العبد عُصم، وإذا حفظها العبد حُفظ، وإذا تسربل بها وُقي؛ وذلك حين يتلقاها بقلبٍ موقنٍ خاشعٍ، وفؤادٍ بصيرٍ شاكرٍ، وعملٍ صالحٍ راشدٍ فتحفظ المسلم قيامًا وقعودًا، ودخولًا وخروجًا، وغيابًا وحضورًا، وراحةً ونومًا، وإقامةً ومكثًا، وسعيًا في الحياة، وضربًا في الأرض؛ فحاله حال الذاكر الشاكر الذي رطَّب لسانه بذكر ربه ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا، وتضرعًا وخفيةً، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٤).

---

(١)[الرعد: ٢٨].

(٢)[غافر: ٥٥].

(٣)[طه: ١٣٠].

(٤)[الأعراف: ٥٥].

وفي هدي النبي ﷺ وإرشاده، وتربيته ومنهاجه بيان الأوراد المندوبة المشروعة، والأذكار المسنونة المرغوبة التي كثرت حسناتها، وعظمت درجاتها، ودل فضلها وأثرها في حفظ المرء من الشيطان(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ، أَوْ مِنْ بَابِ دَارِهِ، كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلَانِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللهِ قَالَا: هُدِيتَ، وَإِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ قَالَا: وُقِيتَ، وَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ قَالَا: كُفِيتَ، قَالَ: فَيَلْقَاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولَانِ: مَاذَا تُرِيدَانِ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟**»(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ -يَعْنِي- إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ**»(٣).

ومن رحمة النبي ﷺ بأمته، وحرصه عليها في سلامة فطرتها، وطهارة نفوسها وصلاح قلوبها، وبركة عيشها، وإحرازها وذريتها من الشيطان وذريته علم أمته، ونصحها في بيان الأدعية والأوراد والآداب في كل الأحوال والأزمان والمواضع من الأقوال والأفعال عند الطعام والشراب، وعند دخول وخروج

---

(١) البحوث التربوية في مجلة البيان (صـ٨) إعداد/ علي بن نايف الشحود.

(٢) رواه ابن ماجه (كتاب الدعاء-باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته-٣٨٨٦-٢/ ١٢٧٨)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٥٥٤-٦/ ٦٨).

(٣) رواه الترمذي (أبواب الدعوات-باب ما يقول إذا خرج من بيته-٣٤٢٦-٥/ ٤٩٠)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٧٣-٢/ ١٠٩٦).

الخلاء، وعند وقوع المصيبة وحصول البلاء، وعند النوم والجماع.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ**»(١).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»(٣).

وقد وجه النبي ﷺ أمته إلى ذكر الله ﷻ لتكون هذه الأذكار حرزًا مانعًا منه، وحجابًا ساترًا عنه:

---

(١) رواه البخاري (كتاب الوضوء-باب التسمية على كل حال، وعند الوقاع-١٤١-١/ ٤٠)، ومسلم (كتاب النكاح-باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع-١٤٣٤-٢/ ١٠٥٨).

(٢) رواه مسلم (كتاب الأشربة-باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما-٢٠١٨-٣/ ١٥٩٨).

(٣) رواه البخاري (كتاب الجمعة-باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل-١١٤٢-٢/ ٥٢)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها-٧٧٦-١/ ٥٣٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ(٢).

❍ الثمار العاجلة لذكر الله تعالى:

من الثمرات التي يجنيها المؤمن من ذكره لربه في الدنيا:

١ - مباهاة الله سبحانه وتعالى ملائكته بالذاكرين الذي يجلسون في حِلق المساجد وغيرها من أجل ذكر الله ﷻ.

خرج رسول الله ﷺ على حلقةٍ من أصحابِه، فقال: "'ما أجلَسَكم؟ قالوا: جلسْنا نذكرُ اللهَ ونحمدُه على ما هدانا للإسلامِ، ومنَّ به علينا. قال: آللهِ! ما

---

(١) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق-باب صفة إبليس وجنوده-٣٢٩٣-٤/ ١٢٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء-٢٦٩١-٤/ ٢٠٧١).

(٢) رواه أبو داود (كتاب الصلاة-باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد-٤٦٦-١/ ١٢٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٨٥-٢/ ٣٦٤).

أجلسَكم إلا ذاك؟ قالوا: واللهِ! ما أجلسَنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلِفْكم تهمةً لكم. ولكنه أتاني جبريلُ فأخبرَني؛ أنَّ اللهَ ﷻ يباهي بكم الملائكةَ.

٢- ذكر العبد لربه سبب لذكر الله تعالى لعبده؛ فإن ذكر العبد ربه في نفسه ذكره الله تعالى في نفسه، وإن ذكره في ملأ ذكره الله تعالى في ملأ خير منه. نزول الرحمة والسكينة على المكان الذي يُذكر فيه الله تعالى وعلى القوم الجالسين. صلاة الله تعالى وملائكته على الذاكر.

٣- حياة القلب وجلائه من صداه؛ فإنّ صدأ القلب يعني الهوى والغفلة والبعد عن الله تعالى، وجلاؤه هو الذكر والاستغفار.

٤- حصول العبد على فضل الله تعالى وعطائه، حيث إنّ العطاء المترتب على الذكر أكبر من غيره.

٥- تحصيل رضا الله سبحانه وتعالى.

٦- طرد الشيطان وقمعه وكسره.

٧- التخلص من الهم والحزن وجلب الفرح والسرور.

٨- جلب الرزق وتقوية البدن.

٩- ظهور المهابة والحلاوة والنضارة على وجه الذاكر لله تعالى.

١٠- تعويد اللسان على الطاعة وقول الحق، وانشغاله عن الغيبة والنميمة ومنكرات القول.

١١- أمان من النفاق.

١٢- لذة وحلاوة لا تشبهها لذة.

١٣- زيادة الأنس بين العبد وربه.

١٤- النفع للذاكر عند تعرضه للشدّة.

١٥- كونه أيسر العبادات وأخفها مع معادلته لعتق الرقاب.

١٦- الترغيب في الآخرة والزهد في الدنيا.

١٧- جعل العبد أكرم الخلق على الله تعالى.

١٨- الحصول على البركة في الوقت.

١٩- أمان الخائف.

٢٠- كثرة ذكر الله تعالى سبب لأمان العبد من نسيان ربه، وبالتالي أمان من نسيان نفسه وبالتالي هلاكه.

٢١- سبب لتقوية الذاكرة، وقدرة العبد على استرجاع كثير من الأمور التي يحفظها.

٢٢- زيادة الحسنات وحط الذنوب والخطايا.

❍ الثمار الآجلة لذكر الله تعالى غراس للجنة وسبب لدخولها:

١- الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله عبدَه في ظله يوم القيامة.

٢- الإكثار من الذكر في مختلف الأماكن كالبيت والطريق والمسجد والحضر والسفر.

٤- سببٌ لتكثير الشهود للعبد الذاكر يوم القيامة.

الفصل الحادي عشر

صلاح البال في التوكل على الله ﷻ

في التوكل على الله ﷻ راحة البال، واستقرار الحال، ودفع كيد الأشرار، وهو من أقوى الأسباب التي يدع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم، وبالتوكل تستغني النفس عما في أيدي الناس(١).

والتوكل على غير الله ظلمٌ وامتهانٌ للنفس، وسؤال المخلوق للمخلوق سؤالٌ من الفقير للفقير، قال النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(٢).

ومتى التفت القلب إلى غير الله وكله الله إلى من التفت إليه، وصار ذليلًا مخذولًا، قال النبي ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ**»(٣).

قال المناويُّ: "المراد من تعلقت نفسه بمخلوقٍ غير الله وكله الله إليه، فمن

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٤/ ١٣٩٨).

(٢) رواه أحمد (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب-٢٦٦٩-٤/ ٤٠٩)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-٢٥١٦-٤/ ٦٦٧)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

(٣) رواه أحمد (حديث عبد الله بن عكيم-١٨٧٨١)، والترمذي (أبواب الطب-باب ما جاء في كراهية التعلق-٢٠٧٢-٤/ ٤٠٣).

أنزل حوائجه بالله، والتجأ إليه، وفوض أمره كله إليه كفاه كل مؤونة، وقرَّب عليه كل بعيدٍ، ويسَّر له كل عسيرٍ، ومن تعلق بغيره، أو سكن إلى علمه، وعقله، واعتمد على حوله، وقوته وكله الله إلى ذلك، وخذله، وحرمه توفيقه، وأهمله فلم تصحح مطالبه، ولم تتيسر مآربه، وهذا معروفٌ على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب"(١).

قال شيخ الإسلام: "فَالرَّجَاءُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّقَ بِاَللهِ، وَلَا يَتَعَلَّقَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِقُوَّةِ الْعَبْدِ وَلَا عَمَلِهِ، فَإِنَّ تَعْلِيقَ الرَّجَاءِ بِغَيْرِ اللهِ إشْرَاكٌ، وَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ جَعَلَ لَهَا أَسْبَابًا فَالسَّبَبُ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ، بَلْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعَاوِنٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَمْنَعَ الْمُعَارِضَ الْمُعَوِّقَ لَهُ وَهُوَ لَا يَحْصُلُ وَيَبْقَى إلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَلِهَذَا قِيلَ: الِالْتِفَاتُ إلَى الْأَسْبَابِ شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ الْأَسْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ.

وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾(٢) فَأَمَرَ بِأَنْ تَكُونَ الرَّغْبَةُ إلَيْهِ وَحْدَهُ، وَقَالَ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٣) فَالْقَلْبُ لَا يَتَوَكَّلُ إلَّا عَلَى مَنْ يَرْجُوهُ، فَمَنْ رَجَا قُوَّتَهُ أَوْ عَمَلَهُ أَوْ عِلْمَهُ أَوْ أَوْ صَدِيقَهُ أَوْ قَرَابَتَهُ أَوْ شَيْخَهُ أَوْ مِلْكَهُ أَوْ مَالَهُ غَيْرَ نَاظِرٍ إلَى اللهِ كَانَ فِيهِ نَوْعُ تَوَكُّلٍ عَلَى ذَلِكَ السَّبَبِ، وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيهِ"(٤).

وكل من أحب شيئًا لغير الله فلا بد أن يضره، وهذا معلومٌ بالاعتبار

---

(١) فيض القدير (حرف الميم-٦/ ١٠٧).
(٢)[الشرح:٧-٨].
(٣)[المائدة: ٢٣].
(٤)مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٧).

والاستقراء، ولا يحملنك عدم رجاء المخلوق على جفوة الناس وترك الإحسان إليهم واحتمال الأذى منهم، بل أحسن إليهم لله لا لرجائهم، وكما أنك لا تخافهم فلا ترجوهم، وارجو الله في الناس، ولا ترجوا الناس في الله.

ومن فوض أمره إلى مولاه حاز مناه، وزكريا بلغ من الكبر عتيًا ثم وُهب سيدًا من فضلاء البشر وأنبيائهم، وإبراهيم بُشر بولدٍ وامرأته تقول بعد يأس من حالها: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾(١)، وترك الخليل هاجر وابنه إسماعيل بواد لا زرع فيه ولا ماء فإذا هو نبيٌ يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وما ضاع يونس مجردًا في العراء.

يقول الفضيل بن عياض: "لو يئست من الخلق لا تريد منهم شيئًا؛ لأعطاك مولاك كل ما تريد".

فألق كنفك بين يدي الباري، وعلق رجاءك به، وسلم الأمر للرحيم، واقطع العلائق عن الخلائق، ولا ترجُ إلا الله، وإذا قوي التوكل والرجاء، وجمع القلب في الدعاء لم يُردَّ النداء، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢)، والجأ إلى الله بقلبٍ خاشعٍ ذليلٍ يفتح لك الباب.

فمن توكل على مولاه كفاه ما أهمه وأشقاه، وأعطاه ما يرجوه ويهواه، وأصلح باله، وحقق مُناه.

---

(١) [هود: ٧٢].

(٢) [النمل: ٦٢].

فاللهم إنا توكلنا عليك، وفوَّضنا الأمر إليك، فأصلح بالنا، واكفنا شر ما أهمنا، واجعل الجنة هي دارنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

❊



الباب الثاني

صلاح البال بالعبادة

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول

صلاحُ البالِ ثمرةٌ لصلاحِ الأعمالِ

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

أي: من عمل عملًا صالحًا، بأن يكون خالصًا لوجه الله- تعالى- وموافقًا لما جاء به النبي ﷺ سواءٌ أكان هذا العامل المؤمن ذكرًا أم أنثى، فلنحيينه حياة طيبة، يظفر معها بصلاح البال، وسعادة الحال[1].

قوله: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾: أي في الدنيا بالقناعة، وراحة البال، والرزق الحلال والتوفيق لصالح الأعمال، فالحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت.

قال ابن كثير: "هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا وَهُوَ الْعَمَلُ المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، مِنْ بَنِي آدَمَ وَقَلْبُهُ مُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّ هَذَا الْعَمَلَ الْمَأْمُورَ بِهِ مَشْرُوعٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ بِأَنْ يُحْيِيَهُ اللهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ يَجْزِيَهُ بِأَحْسَنِ مَا عَمِلَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ

---

(١) التفسير الوسيط (٨/ ٢٣٠) للشيخ محمد طنطاوي.

فَسَّرُوهَا بِالرِّزْقِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ. وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ فَسَّرَهَا بِالْقَنَاعَةِ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَوَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عباس: أنها هي السَّعَادَةُ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: لَا يَطِيبُ لِأَحَدٍ حَيَاةٌ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ وَالْعِبَادَةُ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا: هِيَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ وَالِانْشِرَاحُ بِهَا، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ تَشْمَلُ هَذَا كُلَّهُ"(١).

دلت الآية بوضوح أن إفادة العمل الصالح للحياة الطيبة مشروطٌ بالإيمان.

أما إفادته تخفيف العقاب فإنه لا يتوقف على الإيمان.

والحياة الطيبة ذكر فيها خمسة أقوال أصحها أنها تشمل كل مناحي السعادة في الدنيا من الصحة، والرزق الحلال الطيب، والطمأنينة النفسية، وراحة البال، والتوفيق إلى الطاعات، فإنها تؤدي إلى رضوان الله تعالى(٢).

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾. فهذا خبر محقق لا يتخلف، فمن حقق الإيمان: تصديقًا بالقلب، وقولًا باللسان، وعملًا بالجوارح والأركان، وبالصالحات من الأعمال، وأولها الفرائض والواجبات، ثم ما تيسر له من شعب الإيمان وخصاله، فهو موعودٌ وعدًا صادقًا بأمرين:

الأول: تكفير السيئات.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٦).

(٢) التفسير المنير (١٤/ ٢٢٩) للزحيلي.

والثاني: صلاح البال.

ومن ثمرات إصلاح البال: أن يرشدهم الله لأعمال الخير والبر في الدنيا، فيعيش مطمئنَ النفس، مرتاحَ الضمير، فيورثه الله نعيم الجنة في الآخرة مع صلاح الحال في الدنيا كما قال الله تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، فمن أحسن عمله في الدنيا أحسن الله جزاءه في الآخرة.

وبأداء العبد للعمل الصالح يستمتع براحة القلب وطمأنينة النفس، وصلاح البال في جميع الأحوال، سواء رأى ثمرة عمله أم لم يرها، فهو قد أنهى عمله وضمن جزاءه، عند تحقق معنى العبادة.

ثواب المؤمنين العاملين الصالحات والخيرات: جنات الخلد التي تجري من تحتها الأنهار، وذلك يرمز لكل ألوان النعيم المقيم، وأصناف المشتهيات، وطمأنينة النفس، وراحة البال، والسعادة الأبدية، ومن أصدق من الله قيلًا، أي: لا أحد أصدقُ قولًا ووعدًا من الله تعالى[١].

❊

(١) التفسير المنير (٥/ ٢٨٢) للزحيلي.

الفصل الثاني

صلاح البال باتباع النبيِّ محمدٍ سيد الرجال ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾(٢).

صلاح البال لم يذكر في القرآن كله إلا في هذين الموضعين في هذه السورة سورة محمدٍ ﷺ، فدل على أن إصلاح البال أمرٌ لا يُنال إلا باتباع النبي محمدٍ ﷺ.

قال الإمام القرطبي: "﴿ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ لم يخالفوه في شيء، قال سفيان الثوري: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ يريد أن إيمانهم هو الحق من ربهم، وقيل: أي أن القرآن هو الحق من ربهم، نسخ به ما قبله.

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ أي: ما مضى من سيئاتهم قبل الإيمان. ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ أي: شأنهم، عن مجاهد وغيره. وقال قتادة: حالهم. وابن عباس: أمورهم.

---

(١) [سورة محمد:٢].

(٢)[سورة محمد:٤-٦].

والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بدنياهم.

وحكى النقاش أن المعنى أصلح نياتهم ..، وهو على هذا التأويل محمول على صلاح دينهم"(١).

أيها الأحباب الكرام، إن المؤمن الصادق الذي يحب رسول الله ﷺ، ويعظِّمه هو من يبني حياته على نهج رسول الله ﷺ متبعًا مقتديًا، فينقل حياة رسول الله ﷺ القولية والعملية إلى واقع حياته القولية والفعلية، فيمتثل أوامره، ويجتنب زواجره.

فاقتداؤه برسول الله ﷺ هو نوره المتوهج في دروب الحياة المظلمة، ودليله العارف في متاهات الواقع المضلة، وسفينة النجاة في بحار العيش المتلاطمة، ويد الآمال التي تقوده إلى رحاب الحياة المطمئنة.

فما أجملَ حياة المسلم إذا عمرها بالاقتداء بخير الأنبياء ﷺ، وأصبحت حياة رسول الله ﷺ القولية والعملية التشريعية هي المنبعَ الذي يستقي منه-بعد القرآن- ماءَ الحياة الصالحة، وريَّ العيش السعيد.

إن الحياة مع رسول الله ﷺ بالمحبة والتعظيم، والانقياد والتسليم، والاتباع والامتثال في الأقوال والأعمال والأحوال؛ هي الحياة السعيدة والعيشة الحقيقية الرشيدة، التي تجلب لصاحبها طمأنينة النفس، وانشراح الصدر، وصفاء البال، وصلاح الحال والمآل.

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٤).

فبهذه الحياة يعرف السبيلَ السوي للتعامل الصحيح مع ربه، ومع نبيه، ومع نفسه، ومع خلق خالقه، وبهذه الحياة ينجو من أسر الشهوات، ويُفك من قيود الشبهات، ولا تجد الحيرة والشكوك إليه طريقًا، ولا الانحراف عن الجادة إليه سبيلا.

وبهذه الحياة يزداد حبًا لله تعالى، وحبًا لرسول الله ﷺ، وحبًا لدينه، وحبًا لمن هم على نهجه ودربه.

وبهذه الحياة يزداد شوقًا إلى لقاء رسول الله ﷺ، والظفر برؤيته ﷺ، وجلاء عينيه بمقابلته ﷺ، وتشنيف أذنيه بسماع حديثه ﷺ.

شوقي إليك - رسولَ الله- دفّاقُ ... فنهرُ حبِّك في الأعماق رقراقُ

لُقياك - يا خيرَ خلقِ الله - أُمنيتي ... على ضفافِ الرضا والأفْقُ برَّاق

كم للعيون من الإشراق لو نظرتْ ... لنورِ وجهٍ له الأنوارُ تشتاق

رجاء نفسيَ أن أحظى برؤيته ... في جنة الخلد فالأشواقُ إحراق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**»(١).

والمعنى: يتمنى الإنسان أن يرى رسول الله ﷺ، ولو قدّم فداءً لنيل ذلك المطلب أهلَه وماله، إما شوقًا لرسول الله، وإما لشدة وطأة الفتن والمحن.

❊

(١) رواه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها-٢٨٣٢-٤/ ٢١٧٨).

الفصل الثالث

صلاح البال بالصلاة والسلام على سيد الرجال ﷺ

عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(١).

فالصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هي: عبادةٌ جليلةٌ لله، وطاعةٌ له، ومحبةٌ ورفعةٌ عنده سبحانه، وأجرٌ وغفرانٌ وجنةٌ عدنٍ، وأمنٌ وأمانٌ في الدنيا والآخرة ، هي قربٌ منه ﷺ، وشوقٌ وحنينٌ إليه،

---

(١) رواه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-٢٤٥٧-٤/ ٦٣٦)، والحاكم (كتاب التفسير-تفسير سورة النازعات-٣٨٩٤-٢/ ٥٥٨)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب الدعاء-١٦٧٠-٢/ ١٣٧).

ولهجٌ دائمٌ بذكره ﷺ.

إن الصلاة والسلام على الهادي البشير ﷺ، على السراج المنير ﷺ، على الرحمة المهداة ﷺ، والنعمة المسداة ﷺ، على صاحب الجبين الأزهر ﷺ، والوجه الأنور ﷺ، فيها خير الدنيا والآخرة، فيها صفاء القلب، وبرد اليقين، وطمأنينة النفس، وصلاح وراحة البال، فيها حبٌ له ﷺ، وسبيلٌ لرؤيته في الدنيا، ومجاورته في الآخرة ﷺ.

زد في الصلاة على النبيِّ فإنها ... تذر الخطايا والمآثم صفصفا

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ وآلهِ ... ما طارَ طيرٌ في الفضاءِ ورفرفا

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ وآله ... ما سار خطوٌ في المشاعر والصفا

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ وصحبه ... ما لاح ضوءٌ في المجرة وانطفا

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ وزوجه ... ما خطَّ حِبرٌ في الصحائف أحرُفا

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ وزوجه ... ما هبَّ ريحٌ في البقاعِ وهفهفا

❍ فضائل الصلاة والسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه كثيرة شهيرة منها:

أولًا: امتثالٌ لأمر الله العظيم ملك الملوك: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾(١)، وفي معنى الصلاة في الآية الكريمة: قال الإمام ابن كثير: «قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(١)[الأحزاب: ٥٦].

تعالى: قال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة المكرمون: الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون: يبركون. هكذا علقه البخاري عنهما»[١].

ولبيان أجر الامتثال لأمر الله العظيم قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: "هو اقتداء باللّه سبحانه وملائكته، وجزاء له ﷺ على بعض حقوقه عليكم، وتكميلًا لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم"[٢].

ثانيًا: ذكر الله ذي الجلال والإكرام لعبده: قال الله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ۝١٥٢ ﴾[٣]، وذكر الله تعالى يكون بكل أنواع الطاعات التي أمر الله سبحانه بها، وهو من أجل السبل لشكر الله العظيم على نعمه، والصلاة على رسول الله ﷺ من أقرب السبل لذكر الله سبحانه، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول اللهُ تعالى: يَقُولُ اللهُ تَعالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[٤].

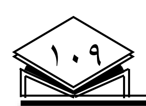
---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٠٤).

(٢) تفسير السعدي (صـ٦٧١)

(٣)[البقرة:١٥٢].

(٤) رواه البخاري (كتاب التوحيد-بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨]-٧٤٠٥-٩/ ١٢١)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-
=



قال الإمام ابن القيم: "من فوائد الذكر أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا"، وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: " مَا تَنَعَّمَ الْمُتَنَعِّمُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ الله تَعَالى".

وقال الشيخ عبد العزيز الطريفي -حفظه الله تعالى، وفرج الله كربه-: "الشهرة الحقيقية في السماء، ومن أعظم أسبابها كثرة ذكر الله تعالى، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ**».

ثالثًا: بلوغ صلاة وسلام العبد على النبي ﷺ إلى النبي ﷺ: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن أحدٍ يسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ** عَلَيْهِ السَّلَامُ»(١).

وفي الحديث الشريف يقول الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله تعالى: "لقد مات النبي عليه الصلاة والسلام وخرج من هذه الدنيا، والمؤمن يريد صلةً بنبيه عليه الصلاة والسلام مباشرةً، فجعل الله تعالى لنا هذه الوسيلة المباشرة، فنصلي على نبينا ﷺ، فيبلغ بالاسم أن فلانًا صلى عليه، ثم يرد علينا السلام أيضـًا".

= ٢٦٧٥-٤/ ٢٠٦١)

(١) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-١٠٨١٥-١٦/ ٤٧٧)، وأبو داود (كتاب المناسك-باب زيارة القبور-٢٠٤١-٢/ ٢١٨)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج-باب زيارة قبر النبي ﷺ-١٠٢٧٠-٥/ ٤٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٧٩-٦/ ٢٨١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتَكُم قبورًا، ولا تجعلوا قَبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُم تبلغُني حَيثُ كنتُمْ**»[(١)].

وفي الحديثين الشريفين بيان لعظم أجر الصلاة على رسول الله ﷺ، وهي صلةٌ قويةٌ بين النبي ﷺ وبين أحبابه ﷺ من المؤمنين الذين يتعاهدون على هذا الحب بطاعة الله تعالى، وطاعة الرسول ﷺ، وملازمة الصلاة عليه ﷺ.

يقول الشيخ عبد العزيز الطريفي حفظه الله تعالى: "من تعظيم الله تعالى تعظيم نبيه ﷺ، ومن تعظيم نبيه ﷺ كثرة الصلاة عليه في أفضل الأيام يوم الجمعة".

رابعًا: الصلاة على النبي ﷺ من علامات الجود:

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَغِمَ أنْفُ رَجلٍ ذُكِرتُ عِندَه فلَمْ يُصلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجلٍ دخل عليه رمضانُ ثُم انْسَلَخَ قبلَ أن يُغفرَ لهُ، ورَغِمَ أنْفُ رجلٍ أدركَ عِندَه أبواهُ الكبَرُ فلم يُدْخِلاهُ الجنةَ**»[(٢)].

قال الشيخ ابن باز: "الواجب الصلاة على الرسول ﷺ إذا مر ذكره، عليه الصلاة والسلام؛ لما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**» وهذا يدل على أن الصلاة عليه واجبة عند ذكره ﷺ".

---

(١) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-٨٨٠٤-١٤/ ٤٠٣)، وأبو داود (كتاب المناسك- باب زيارة القبور-٢٠٤١-٢/ ٢١٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٨٠-٦/ ٢٨٢).

(٢) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-٧٤٥١-١٢/ ٤٢١)، والترمذي (أبواب الدعوات-٣٥٤٥-٥/ ٥٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٠-١/ ٦٥٩).

وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «**البَخيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِندَهُ، فلَمْ يُصَلِّ علَيَّ**».

قال الفاكهاني رحمه الله **تعالى**: "حديث (**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي**) يقوي قول من قال بوجوب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر، وهو الذي أميل إليه"(١).

وقال الصالحي: "ينبغي أن تكون الصلاة عليه ﷺ معقبة بذكره عنده، حتّى لو تراخى عن ذلك ذمّ عليه".

خامسًا: الصلاة على النبيّ ﷺ من علامات الإيمان:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

والمحبة الكاملة هي طاعة الله سبحانه فيما أمر به الله العزيز الحكيم وطاعة النبيّ ﷺ في كل ما أمر به والصلاة على النبيّ ﷺ من هذه القربات والطاعات التي تنمي هذا الحب وتثمره.

سادسًا: الصلاة على النبيّ ﷺ من علامات التوقير للرسول ﷺ: قال الله

---

(١) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع (صـ٣١) شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت:٩٠٢هـ)، دار الريان للتراث.

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان-باب حب الرسول ﷺ من الإيمان-١٥-١/ ١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة-٤٤-١/ ٦٧).

تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(١)، وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

وفي الآية الكريمة يقول الإمام ابن تيمية: "الله أمر بتعزير الرسول ﷺ فقال الله تعالى: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ ﴾(٣)، والتعزير: اسم جامع لنصر الرسول ﷺ، وتأييد الرسول ﷺ، ومنعه ﷺ من كل ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة، وطمأنينة، من الإجلال والإكرام، وأن يتم توقير الرسول ﷺ بالتشريف، والتكريم، والتعظيم بما يصونه ﷺ عن كل ما يخرجه عن حدِّ الوقار" انتهى بتصرف".

ولذا فإن الصلاة على الرسول ﷺ من علامات التوقير والتشريف التي يحرص عليها المسلم وهي من موارد الصلاح التي يسعى بها المسلم أن يكون في زمرة المفلحين. سابعًا: أولى الناس بالرسول ﷺ من يكثر الصلاة على النبي ﷺ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ**

---

(١)[الفتح:٩].
(٢)[الأعراف:١٥٧].
(٣)[الفتح: ٩].

الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»(١).

ثامنًا: شرف صلاة الله تعالى على العبد ومحو الخطايا ورفعة الدرجات:

عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»**(٢)، فالسعيد كل السعادة من لازم الصلاة على النبيِّ ﷺ، فهي نبع للحسنات التي تثقل الميزان، وهي تمحو الخطايا التي تثقل كاهل المرء يوم القيامة، وهي ترفع الدرجات التي يصبو لها المسلم لمصاحبة الأولياء والتنعم بما سينعم به الصالحون.

تاسعًا: الصلاة على الحبيب ﷺ سببٌ في استجابة الدعاء: الدعاء عبادةٌ عظيمةٌ يسأل بها العبد الله الكريم، ويلوذ بها العبد من الكربات، والمصائب، والعذاب، طمعًا في استجابة الله الواسع المحسن، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٣)، ولذا فالمسلم يتحرى أسباب الاستجابة، ومن أعظم هذه الأسباب ابتداء الدعاء بحمد الله سبحانه، والصلاة على الرسول ﷺ، فعن

---

(١) رواه الترمذي (أبواب الوتر-بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ-٤٨٤-٢/ ٣٥٤)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وابن أَبي شيبة (كتاب الفضائل-باب ما أعطى الله تعالى محمد ﷺ-٣١٧٨٧-٦/ ٣٢٥)، وحسَّنه الألباني لغيره [صحيح الترغيب:١٦٦٨].

(٢) رواه النسائي (كتاب السهو-باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ-١٢٩٧-٣/ ٥٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح(٩٢٢-١/ ٢٩١).

(٣)[غافر:٦٠].

فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعَ النبيُّ ﷺ رجلًا يَدْعُو في صلاتِهِ، فلمْ يُصَلِّ على النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**عَجِلَ هذا**»، ثُمَّ دعاهُ، فقال لهُ أوْ لغيرِهِ: «**إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِما شاءَ**»(١).

عاشرًا: بالصلاة على النبي ﷺ تُغفر الذنوب، ويتخلص العبد من الهموم والكروب: بْنِ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»(٢). «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وفي الحديث الشريف فضائل جليلة بينها أهل العلم ومنها:

قال الشوكاني: "قوله ﷺ: «**قَوْله إِذن تكفى همك وَيغْفر ذَنْبك**» فِي هذَيْن الخصلتين جماع خير الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، فَإِن من كَفاهُ الله همَّه سَلِم من مِحَن الدُّنْيَا

(١) رواه الترمذي (أبواب الدعوات-بابٌ-٣٤٧٧-٥/ ٥١٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٨-١/ ١٧٢).

(٢) رواه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-٢٤٥٧-٤/ ٦٣٦)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٩٢٩-١/ ٢٩٣).

وعوارضها؛ لِأَن كل محنةٍ لَا بُدَّ لَهَا من تَأْثِير الْهم، وَإِن كَانَت يسيرَةً، وَمَن غفر الله ذَنبه سَلِم مِن مِحَنِ الْآخِرَة لِأَنَّهُ لَا يوبق العَبْد فِيهَا إِلَّا ذنُوبه"(١).

والحديث فيه حثٌ على الإكثار من الصلاة والسلام على مسك الختام محمدٍ ﷺ.

والحديث يبين أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ فيها شفاءٌ ودواءٌ لذوي الهموم وأصحاب الذنوب، ولذا فلنحرص ونثابر على هذه العبادة العظيمة.

يقول الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله تعالى: "إن الصلاة على النبي ﷺ عبادةٌ عظيمةٌ يغفل عنها المسلم، ويفوت عليه أجر عظيم، فلابد أن نذكر أنفسنا وأبناءنا وأصحابنا بهذه العبادة، وأن ننشرها، ونحرص عليها، وأن نعلمها إن في ذلك لخير عظيم".

وقال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى**: "لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله ق؛ فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب".

❍ صيغ الصلاة على النبي ﷺ:

إن صيغ الصلاة على النبي ﷺ متعددة، ووردت في أحاديث كثيرة، وهي الأفضل والأكمل، ومنها:

عَنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (صـ٤٩) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، ط/ دار القلم - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا السَّلاَمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ** »(٢).

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»(٣).

عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى**

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات-باب الصلاة على النبي ﷺ-٦٣٥٧-٨/ ٧٧)، ومسلم (كتاب الصلاة-باب الصلاة على النبي ﷺ-٤٠٦-١/ ٣٠٥).

(٢) رواه البخاري (كتاب الدعوات-باب الصلاة على النبي ﷺ-٦٣٥٨-٨/ ٧٧).

(٣) رواه مسلم (كتاب الصلاة-باب الصلاة على النبي ﷺ-٤٠٥-١/ ٣٠٥).

مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١).

وجاء في فتاوى موقع الإسلام سؤال وجواب: " والأولَى التنويع بين هذه الصِّيغ الواردة - بأنْ يأتي بهذه تارةً وبغيرها تارةً أخرى-؛ اتِّباعًا للسُّنَّة والشَّريعة، ولئلا يؤدِّي لُزُوم إحدى الصِّيَغ إلى هَجر الصِّيغ الأخرى الثابتة، ولما في ذلك من الفوائد الكثيرة الأخرى التي لا تتحصَّل بالمواظبة على إحدى الصِّيغ دون الأخرى. لكن ينبغي الانتباه إلى أنَّه لا يُشرَع الجمع والتلفيق بين هذه الألفاظ لتخرجَ في صيغةٍ واحدةٍ مجموعةٍ منها؛ بل هو مخالِفٌ للسُّنَّة النبوية؛ كما قرَّره جمعٌ مِن أهل العِلم(٢).

قال الحافظ ابن حجر: وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى الِاجْتِزَاءِ بِكُلِّ لَفْظٍ أَدَّى الْمُرَادَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ .

أما داخل الصَّلاة؛ فينبغي الاقتصار على المأثور الوارِد، وعدم النَّقص عنه احتياطا للسُّنَّة والدِّين، واتِّباعا للوارد عنه عليه الصلاة والسلام.

أما في خارج الصلاة فقال الشيخ ابن باز: "فلو قال المؤمن عند ذكر النبي ﷺ: ﷺ، أو عليه الصلاة والسلام فلا أعلم حرجًا في ذلك".

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات-بابٌ هل يُصلَّى على غير النبي ﷺ-٣٣٦٩-٤/ ١٤٦).
(٢) فتح الباري (١١/ ١٦٦)، ينظر: "مجموع الفتاوى" لابن تيميَّة (٢٢/ ٣٣٥، ٤٥٨، ٢٤/ ٢٤٢، ٢٤٧)، و"جلاء الأفهام" لابن القيِّم (ص ٣٧٣)، و"قواعد ابن رجب" (ص ١٤)، و"الشرح الممتع" لابن عثيمين (٢/ ٥٦، ٦٥، ٣/ ٢٩، ٩٨)".

❍ مواطن الصلاة على النبي ﷺ:

أولًا: بعد الأذان: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(١).

ثانيًا: الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ يوم الجمعة: عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ-يَقُولُونَ: بَلِيتَ-؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»(٢).

ثالثًا: عند سماع وذكر رسول الله ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صعِدَ المِنبَرَ فقال: (آمينَ آمينَ آمينَ) قيل: يا رسولَ اللهِ إنَّكَ حينَ صعِدْتَ المِنبَرَ

---

(١) رواه مسلم (كتاب الصلاة-باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل له الوسيلة-

(٢) رواه أحمد (مسند أوس بن أوس الثقفي-١٦١٦٢-٢٦/ ٨٤)، وأبو داود (كتاب الصلاة-باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة-١٠٤٧-١/ ٢٧٥)، والنسائي (كتاب الجمعة-إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة-١٣٧٤-٣/ ٩١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٩٦٢-٤/ ٢١٤).

قُلْتَ: آمينَ آمينَ آمينَ قال: «**إنَّ جِبريلَ أتاني فقال: مَن أدرَك شهرَ رمضانَ ولَمْ يُغفَرْ له فدخَل النَّارَ فأبعَده اللهُ قُلْ: آمينَ، فقُلْتُ: آمينَ، ومَن أدرَك أبوَيْهِ أو أحَدَهما فلَمْ يبرَّهما فمَاتَ فدخَل النَّارَ فأبعَده اللهُ قُلْ: آمينَ فقُلْتُ: آمينَ، ومَن ذُكِرْتَ عندَه فلَمْ يُصَلِّ عليكَ فمات فدخَل النَّارَ، فأبعَده اللهُ، قُلْ: آمينَ، فقُلْتُ: آمينَ**»(١).

رابعًا: عند إطالة المجلس: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيُّما قومٍ جَلَسُوا، فَأَطَالوا الجُلوسَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا قبلَ أنْ يَذْكُرُوا اللهَ تعالى، أوْ يُصلُّوا علَى نبيِّهِ كانَتْ عليهم تِرَةٌ مِنَ اللهِ، و إنْ شاءَ عَذَّبَهُمْ، و إنْ شاءَ غفرَ لهُمْ**»(٢).

خامسًا: عند كتابة اسم النَّبيِّ ﷺ: قال سفيان الثوري: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله ﷺ، فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب.

سادسًا: بين تكبيرات العيد: عَنْ عَلْقَمَةَ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَأَبَا مُوسَى

---

(١) رواه ابن حبان (باب الأدعية-ذِكْرُ رَجَاءِ دُخُولِ الْجِنَانِ الْمُصَلِّي عَلَى الْمُصْطَفَى ﷺ عِنْدَ ذِكْرِهِ مَعَ خَوْفِ دُخُولِ النِّيرَانِ عِنْدَ إِغْضَائِهِ عَنْهُ كُلَّمَا ذَكَرَهُ-٩٠٧-٣/ ١٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥-١/ ٧٦).

(٢) رواه الطبراني في الدعاء (بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّفَرُّقِ مِنَ الْمَجَالِسِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ-١٩٢٤-٥٣٨)، والحاكم (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح-١٨٢٦-١/ ٦٧٤)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، والبيهقي في شعب الإيمان (تعظيم النبي ﷺ، وإجلاله، وتوقيره ﷺ-١٤٦٨-٣/ ١٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٣٨-١/ ٥٣١).

وَحُذَيْفَةَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ قَبْلَ الْعِيدِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْعِيدَ قَدْ دَنَا، فَكَيْفَ التَّكْبِيرُ فِيهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «تَبْدَأُ فَتُكَبِّرُ تَكْبِيرَةً تَفْتَتِحُ بِهَا الصَّلَاةَ، وَتَحْمَدُ رَبَّكَ، وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو، وَتُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَقْرَأُ وَتَرْكَعُ، ثُمَّ تَقُومُ فَتَقْرَأُ، وَتَحْمَدُ رَبَّكَ، وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو، ثُمَّ تُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ»(١).

سابعًا: فوق الصفا: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح: "إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا، وصلوا عند المقام ركعتين، ثم أتوا الصفا فقوموا من حيث ترون البيت، فكبروا سبع تكبيرات، بين كل تكبيرتين حمد لله، وثناء عليه، وصلاة على النبي ﷺ، ومسألة لنفسك، وعلى المروة مثل ذلك"(٢).

ثامنًا: عند قبر الرسول ﷺ إذا زاره: قال عبد الله بن دينار: "رأيْتُ عبدَ اللهِ بنَ

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (كتاب صلاة العيدين- بَابٌ: يَأْتِي بِدُعَاءِ الِافْتِتَاحِ عُقَيْبَ تَكْبِيرَةِ الِافْتِتَاحِ، ثُمَّ يَقِفُ بَيْنَ كُلِّ تَكْبِيرَتَيْنِ يُهَلِّلُ اللهَ تَعَالَى، وَيُكَبِّرُهُ، وَيَحْمَدُهُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ-٦١٨٦-٣/ ٤١٠)، وقال: "وَهَذَا مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ، فَتَابَعَهُ فِي الْوُقُوفِ بَيْنَ كُلِّ تَكْبِيرَتَيْنِ لِلذِّكْرِ إِذْ لَمْ يُرْوَ خِلَافُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَنُخَالِفُهُ فِي عَدَدِ التَّكْبِيرَاتِ وَتَقْدِيمِهِنَّ عَلَى الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ جَمِيعًا بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ فِعْلِ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ، وَعَمَلِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ"، وصححه الألباني في فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي (ت:٢٨٢هـ)، ط/ المكتب الإسلامي – بيروت-الطبعة: الثالثة – ١٩٧٧م) (٨٨-صـ٧٥).

(٢) رواه الجهضمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٨١-صـ٧١)، وصححه الألباني.

عمرَ يقفُ على قبرِ النبيِّ ﷺ، ويصلِّي على النبيِّ ﷺ، وأبي بكرٍ، وعُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا"(١).

وفي هذا بيان أن ما يفعله هؤلاء الذين يتمسحون بشبابيك القبر النبوي وبالقفص الحديدي الموجود هناك أنهم ضالون مبتدعون، وهذا نوع من الشرك أن تلتمس البركة من شباك القبر النبوي، ومن الحديد المصنوع المجعول حوله، وربما أخذ بعضهم من الغبار فتمسح به وهكذا يحدث الشرك في هذه الأمة، والله المستعان.

تاسعًا: المرور بآيات فيها ذكر النبي ﷺ: وقد قال الإمام أحمد: إذا مر المصلي بآية فيها ذكر النبي ﷺ، فإن كان في نفلٍ صلى عليه ﷺ، في صلاة نافلة كقيام ليل إذا قرأ الآية يصلي على النبي ﷺ، وهذا من باب التدبر للقرآن في صلاةٍ النافلة، وفي قيام الليل، كما كان عليه الصلاة والسلام إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بآية فيها ذكر الجنة سأل، وفيها ذكر النار استعاذ، وهكذا.

عاشرًا: الصلاة على النبي ﷺ بعد التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة، فعن رجل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " أنَّ السُّنَّةَ في الصَّلاةِ علَى الجنازةِ أن يُكبِّرَ الإمامُ، ثمَّ يقرأَ بفاتحةِ الكتابِ بعدَ التَّكبيرةِ الأولى سرًّا في نفسِهِ ثمَّ يصلِّي علَى النَّبيِّ ﷺ ويخلصُ الدُّعاءَ للجنازةِ في التَّكبيراتِ الثَّلاثِ لا يقرأُ في شيءٍ منهنَّ ثمَّ يسلِّمُ سرًّا في نفسِهِ حينَ ينصرفُ عن يمينِهِ، والسُّنَّةُ أن يفعلَ مَن وراءَهُ مثلَما

(١) رواه مالك في الموطأ (كتاب السهو-ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ-٥٧٤-٢/ ٢٣١)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج-باب زيارة قبر النبي ﷺ-١٠٢٧٢-٥/ ٤٠٣)، والجهضمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٨-صـ٨٠)، وصححه الألباني.

فعلَ إمامُهُ"(١).

أخطاء يجب تجنبها عند كتابة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

أولًا: خطأ لغوي: من الأخطاء كتابة كلمة "صلي" عند كتابة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بالصيغة الإبراهيمية، والواجب هو حذف حرف العلة عند الدعاء لله ﷻ؛ لأن الأفعال في هذه الحالة تُبنى على حذف حرف العِلَّة؛ فالصحيح هو الكتابة كما يلي: **"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"** ونقول: صلِّ بالتشديد والكسر في حالة الدعاء مع حذف حرف العِلَّة الياء.

وأما عند كتابتنا "ﷺ" فالموضوع يختلف؛ لأن فعل صلَّى في الماضي فإنه يبقى كما هو؛ وإعرابه: فعلٌ ماضٍ مبنيٌ على الفتح المُقدَّر على الألف منعَ من ظهوره التعذُّر، يتعذَّر أن تُلفظ فتحةً فوق الألف.

ثانيًا: خطأ اختصار الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بالرموز: وفي هذا الصَّدد تتمُّ الإشارةُ من ابن الصَّلاح في كتابه علوم الحديث، المعروف بمقدمة ابن الصلاح، في النوع الخامس والعشرين من كتابه: (في كتابة الحديث وكيفيَّة ضبط الكتاب وتقييده)؛ فقد نوَّه عن الخير في تعظيمِ الله تعالى، والثناءِ عليه جلَّ

---

(١) رواه الحاكم (كتاب الجنائز-١٣٣١-١/ ٥١٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَيْسَ فِي التَّسْلِيمَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَى الْجِنَازَةِ أَصَحُّ مِنْهُ، وَشَاهِدُهُ حَدِيثُ أَبِي الْعَنْبَسِ سَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ»، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٧٩-١/ ١٢١).

جلاله عند ذكر اسمِه تبارك وتعالى على نحو قولِنا: اللهُ ﷻ، اللهُ تبارك وتعالى، وأيضًا قام بالتأكيدِ على المحافظةِ على كتابةِ الصلاةِ والسلامِ على رسولِ الله ﷺ عند ذكرِ اسمِه ﷺ، ونوَّه لتجنب الاختصار بالرمز، أو عدم إتمامِ صيغة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

قال ابن الصلاح: "يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى كِتْبَةِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَلَا يَسْأَمَ مِنْ تَكْرِيرِ ذَلِكَ عِنْدَ تَكَرُّرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَتَعَجَّلُهَا طَلَبَةُ الْحَدِيثِ، وَكَتَبَتُهُ، وَمَنْ أَغْفَلَ ذَلِكَ حُرِمَ حَظًّا عَظِيمًا، وَقَدْ رُوِّينَا لِأَهْلِ ذَلِكَ مَنَامَاتٍ صَالِحَةً.

وَمَا يَكْتُبُهُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ دُعَاءٌ يُثْبِتُهُ لَا كَلَامٌ يَرْوِيهِ، فَلِذَلِكَ لَا يَتَقَيَّدُ فِيهِ بِالرِّوَايَةِ، وَلَا يَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي الْأَصْلِ.

وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ، نَحْوُ (ﷻ) ، وَ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) وَمَا ضَاهَى ذَلِكَ. وَإِذَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ كَانَتِ الْعِنَايَةُ بِإِثْبَاتِهِ، وَضَبْطِهِ أَكْثَرَ"(١).

وقال الشيخ محمد المنجد حفظه الله تعالى: "ومن هنا نعلم أن اختصار البعض الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بكتابة (ص) بين قوسين، أو (ص. ل. ع. م)، يترتب عليه قلة أدب مع النبي ﷺ، ولعمري ماذا يريد صاحبه، ماذا يريد صاحب هذا الاختصار؟ أن يختصر الأجر، أن يذهب عليه الأجر؟"(٢).

---

(١) معرفة أنواع علوم الحديث=مقدمة ابن الصلاح (صـ١٨٨).

(٢) انتهى بتصرف. (التفريغ النصي لخطبة الجمعة: الصلاة على الحبيب الشفيع ق).

ومن الأمور التي يرجى مراعاتها عند كتابة "ﷺ" كتابة الجملة بدون استخدام الرسم الزخرفي، فهذا الرسم الزخرفي يظهر فيه لفظ الجلالة بحجم خط صغير مقارنة بباقي الجملة، ولتعظيم ذكر الله تعالى يرجى كتابة الجملة كاملة بدون استخدام الرسم الزخرفي، فهذا أقرب لتعظيم كتابة لفظ الجلالة[١].

❊

(١) مقال بقلم: أ. حسين أحمد عبد القادر.

الفصل الرابع
صلاح البال في بيوت الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

انظر أيها الأخ الكريم إلى فضل الله عز وجل! فالمؤمن مطمئنٌ بالله سبحانه، والكافر متحيرٌ، حتى وإن أظهر الطمأنينة، وإن أظهر راحة البال، فقلبه متحيرٌ، ولذلك تجد أعلى نسبةٍ من الانتحار عند هؤلاء الكفار، والمسلمون أقل نسبة منهم، ومستحيل أن يوجد من المسلمين من هو متدينٌ بدين الله عز وجل: يعرف الكتاب، ويعرف السُنَّة ويفعل ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٢)، أما البعيد الغافل عن ذكر الله فهذا قلبه مضطربٌ ومتحيرٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ**

---

(١) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر-٢٦٩٩-٤/ ٢٠٧٤).

(٢)[الرعد:٢٨].

بِهِ نَسَبُهُ»(١).

فالذين يجتمعون في بيت من بيوت الله تعالى، ويدرسون كتابه سبحانه، تنزل عليهم السكينة والطمأنينة، ويجعل الله ﷻ قلوبهم مستريحة مطمئنة، قال ﷺ: «وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ» أي: يغشيهم الله سبحانه وتعالى بالرحمة، فرحمة الله تنزل عليهم وتغطيهم، قال ﷺ: «وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» أي: أحاطت بهم الملائكة، وقال ﷺ: «وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، وهذا فضلٌ عظيمٌ أن يذكرك الله سبحانه لكونك تحضر درس علمٍ لكتاب الله، أو لسنة رسول الله ﷺ(٢).

❀ ❁ ❀

(١) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر-٢٦٩٩-٤/ ٢٠٧٤).

(٢) شرح كتاب الجامع لأحكام الصيام وأعمال رمضان (٨/٢٣) للشيخ الطبيب أحمد حطيبة (دروسٌ صوتيةٌ مفرغةٌ).

الفصل الخامس

صلاح البال بالصلاة

الصلاة لها أثرها النافع في صلاح البال، وعلاج الأمراض النفسية للإنسان، فهي أعظم صور الإيمان العملي، وقد سماها الله إيمانًا فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)، فهي صورةٌ مُثلى لصلة العبد بربه، حيث يقف بين يديه يناجيه، ويتأهل لنزول رحمته وفضله، وهذا هو أساس صلاح النفس، وخلاصها من آفاتها، وشفائها من أمراضها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ ﴾(٢).

ولقد كان من عظيم أثرها وكبير شأنها أن النبي ﷺ: كان إذا حزبه أي أمر اشتد عليه صلى.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى»(٣).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ،**

---

(١) [البقرة: ١٤٣].

(٢) [العنكبوت:٤٥].

(٣) رواه أحمد (حديث حذيفة بن اليمان عن البي ﷺ-٢٣٢٩٩-٣٨/ ٣٣٠)، وأبو داود (كتاب الصلاة-باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل-١٣١٩-٢/ ٣٥)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١١٩٢-٥/ ٦٥).

وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(١).

فمن مقاصد الصلاة: انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وإراحة البال: عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: قَالَ مِسْعَرٌ أُرَاهُ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا**»(٢).

فعلم بذلك أن الصلاة تفرج بها الكروب، وتقر بها العيون، وترتاح لها النفوس، ولذلك أمر الله تعالى بالاستعانة بها مع الصبر، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣).

وإنما يحصل للعبد الخشوع في الصلاة ، بحسب قوة إيمانه وتقواه، وسلامة قلبه من الذنوب والخطايا، ومن حضر كل صلاةٍ بتوبةٍ جديدةٍ صادقةٍ، حصل له من الخشوع، وحضور القلب، وانشراح الصدر، وراحة البال في الصلاة شيءٌ عظيمٌ لا يعرفه حق المعرفة إلاّ من جّربه، وهو أفضل نعيم الدنيا، ومفتاح كل نعيم الآخرة.

---

(١) رواه أحمد (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه-١٢٢٩٣-١٩/ ٣٠٥)، والنسائي (كتاب عشرة النساء-باب حب النساء-٣٩٣٩-٧/ ٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٩٨-١/ ٥٩٤).

(٢) رواه أحمد (أحاديث رجالٍ من أصحاب النبي ﷺ-٢٣٠٨٨-٣٨/ ١٧٨)، وأبو داود (كتاب الأدب-٤٩٨٥-٤/ ٢٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢-٢/ ١٣٠٧).

(٣) [البقرة: ١٥٣].

الفصل السادس

صَلاحُ البَالِ بالصِّدْقِ

قال أحد الحكماء: الكذّاب لصٌّ؛ لأنه يسرق عقلك.

وقال أحدهم: صدق اللسان أول السعادة، والخرس خيرٌ من الكذب.

ومدح أحدهم الصدق فقال: لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق.

وذم أحد الشعراء الكذب فقال:

وما شيءٌ إذا فكّرتَ فيه ... بأذهبَ للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه ... وأبعدَ بالبهاء من الرجال

وقال بليغ متمكّن: الصادقُ مصونٌ جليلٌ، والكاذبُ مَهينٌ ذليلٌ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[1].

---

(١) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩] وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ-٦٠٩٤-٨/ ٢٥)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله-٢٦٠٧٠٤/ ٢٠١٢).

والصدق جماعُ كل خيرٍ، وأصلُ كل فضيلةٍ، فمنه ينتج الحبُ، والمودةُ، والثقة، والصوابُ، وراحة البالُ، والأمنُ والأمانُ.

والكذبُ جماعُ كلِّ شرٍ، وأصلُّ كل ذمٍ؛ لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، فعنه تصدر النميمة التي هي أصل البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحةٌ، ولذلك قيل: من قلَّ صدقه قلَّ صديقه.

﴿ ❁ ﴾

الفصل السابع

صلاح البال بالصبر

قال ابن المقفع الأديب: "الصبر على الأعمال يخففها: إذا تراكمت عليك الأعمال، فلا تلتمس الرَّوْح (الراحة) في مدافعتها، بالروغان منها، فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها (إنجازها)، وإن الصبر عليها هو الذي يخففها عنك، والضجر هو الذي يراكمها عليك"(١).

الدعوة إلى الله، والأمر الصبر:

في أولى الآيات نزولًا على نبينا محمدٍ ﷺ أمره الله ﷻ فيها بالصبر، فقال جلَّ شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾(٢).

قال ابن كثير: " اجْعَلْ صَبْرَكَ عَلَى أَذَاهُمْ لِوَجْهِ رَبِّكَ ﷻ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: اصْبِرْ عَطِيَّتَكَ لِلَّهِ تَعَالَى"(٣).

فإذا كان الداعية صابرًا في دعوته نال راحة البال وطمأنينة القلب وقوة اليقين

---

(١)الأدب الصغير والأدب الكبير (صـ١٢٠) عبد الله بن المقفع (ت:١٤٢هـ)، ط/ دار صادر – بيروت.

(٢) [المدثر١-٦].

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦٤).

والمضي في دعوته دون أن يصرفه صارفٌ أو يمنعه مانعٌ، أما إذا فقد الصبر فإنه يضعف ويفتر عن القيام بالدعوة.

❍ الصبر سبيل الخير للمؤمن:

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١): فإذا آمن العبد بذلك اطمأن قلبه، وصلح باله.

فوز الصابرين بمعية رب العالمين، وبها الأمن، والأمان، وصلاح البال:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢)، هذه المعيّة المذكورة ليس المراد منها معيّة الإحاطة و العلم فحسب، بل معيّة التأييد و النصرة و المنَعة و الغلَبة.

المعية التي تورث صاحبها سكينة النفس وراحة البال، والثقة الغامرة في تأييد ذي العزة والجبروت والقوة والملكوت.

ولما كانت معية الله متحققةً للصابر بمقتضى هذه الآية كان النصر حليفَه ولا شك، فالصبر و النصر رفيقا درب، وفرعا غصن، ورضيعا لبان.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟**» فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «**احْفَظِ اللهَ**

---

(١) رواه مسلم (كتاب الزهد والرقائق-بابٌ المؤمن أمره كله خير-٢٩٩٩-٤/ ٢٢٩٥).
(٢) [البقرة:١٥٣]، [الأنفال:٤٦].

يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»(١).

***

(١) رواه أحمد (مسند عبد الله بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-٢٨٠٣-١٨/٥)، وقال فيه الشيخ أحمد شاكر: "حديثٌ صحيحٌ".

الفصل الثامن

صلاح البال بالاستخارة، والاستشارة

الاستخارة سببٌ من أسباب حصول صلاح البال ولو في الشيء المستخار فيه، ويدل على ذلك دعاء الاستخارة في تقدير وتيسير الخير والمباركة فيه أو في صرف الشر عنك وصرفك عنه؛ فالإنسان بطبعه إذا أصابه الخير فرح به واطمأن قلبه وصلح باله، فكيف إذا كان مع ذلك حصول البركة؟ فمن البركة: حصول صلاح البال في الشيء المستخار فيه، وكذلك بانصراف الشر عنك، فإنك حينئذٍ تزداد يقينًا وشكرًا وذكرًا، فيطمئن قلبك فيصلح بالك، وكيف إذا كان مع ذلك أن صرفك عن الشر؟ -إذا كانت نفسك تهواه قبل الاستخارة-، فكم من شرٍ مصروفٍ عنك، وما أنت بصارفٍ نفسك عنه، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ،**

---

(١)[البقرة: ٢١٦].

وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِى -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِى وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّى وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي - قَالَ- وَيُسَمِّى حَاجَتَهُ»[١].

فالاستخارة فيها مخرجٌ من الحيرة والشّكّ وهي مدعاة للطّمأنينة وراحة البال[٢].

وكلما أكثر العبد من الاستخارة ورأى ثمارها في زيادة حصول الخير أو زيادة الشر المصروف عنه، ازداد باله صلاحًا؛ حتى يصبح قلبه معلقًا بها، فحينئذٍ فلن يقدم على شيء بإذن الله إلا بعد أن يستخير ربه، ومثل هذا الإكثار يدخل في عموم تتابع الحسنات، وعلامة على حسن ضبطها وإتقانها وقبولها[٣].

واشتشارة الآخرين فيها استفادةٌ من خبراتهم، وانتفاعٌ بتجاربهم، وعدم الوقوع في أخطائهم، فيطمئن القلب، ويهدأ البال لما المرء مقبلٌ عليه.

قال الماوردي: "اعْلَمْ أَنَّ مِنْ الْحَزْمِ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ أَنْ لَا يُبْرِمَ أَمْرًا وَلَا يُمْضِيَ عَزْمًا إلَّا بِمَشُورَةِ ذِي الرَّأْيِ النَّاصِحِ، وَمُطَالَعَةِ ذِي الْعَقْلِ الرَّاجِحِ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالْمَشُورَةِ نَبِيَّهُ ﷺ مَعَ مَا تَكَفَّلَ بِهِ مِنْ إرْشَادِهِ، وَوَعَدَ بِهِ مِنْ تَأْيِيدِهِ، فَقَالَ

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات-باب الدعاء عند الاستخارة-٦٣٨٢-٨/ ٨١).

(٢) موسوعة نضرة النعيم (٢/ ٢٠٠).

(٣) صلاة الاستخارة أحكام مهمة جدًا لإتقانها (صـ٥٣-٥٤) سند بن علي بن أحمد البيضاني.

تَعَالَى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾(١).

قَالَ قَتَادَةُ: أَمَرَهُ بِمُشَاوَرَتِهِمْ تَأَلُّفًا لَهُمْ وَتَطْيِيبًا لِأَنْفُسِهِمْ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَمَرَهُ بِمُشَاوِرَتِهِمْ لِمَا عَلِمَ فِيهَا مِنْ الْفَضْلِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَمَرَهُ بِمُشَاوَرَتِهِمْ لِيَسْتَنَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَتْبَعَهُ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ وَإِنْ كَانَ عَنْ مَشُورَتِهِمْ غَنِيًّا.

وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمَشُورَةُ حِصْنٌ مِنْ النَّدَامَةِ، وَأَمَانٌ مِنْ الْمَلَامَةِ**» .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نِعْمَ الْمُؤَازَرَةُ الْمُشَاوَرَةُ، وَبِئْسَ الِاسْتِعْدَادُ الِاسْتِبْدَادُ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ تَرِدُ عَلَيْهِ الْأُمُورُ فَيُسَدِّدُهَا بِرَأْيِهِ، وَرَجُلٌ يُشَاوِرُ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ وَيَنْزِلُ حَيْثُ يَأْمُرُهُ أَهْلُ الرَّأْيِ، وَرَجُلٌ حَائِرٌ بِأَمْرِهِ لَا يَأْتَمِرُ رُشْدًا وَلَا يُطِيعُ مُرْشِدًا.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إنَّ الْمَشُورَةَ وَالْمُنَاظَرَةَ بَابَا رَحْمَةٍ، وَمِفْتَاحَا بَرَكَةٍ لَا يَضِلُّ مَعَهُمَا رَأْيٌ، وَلَا يُفْقَدُ مَعَهُمَا حَزْمٌ.

وَقَالَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ: مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ لَمْ يُشَاوِرْ، وَمَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَانَ مِنْ الصَّوَابِ بَعِيدًا.

وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: الْمُشَاوِرُ فِي رَأْيِهِ نَاظِرٌ مِنْ وَرَائِهِ.

---

(١)[آل عمران: ١٥٩].

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: الْمُشَاوَرَةُ رَاحَةٌ لَك وَتَعَبٌ عَلَى غَيْرِك.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مِنْ حَقِّ الْعَاقِلِ أَنْ يُضِيفَ إلَى رَأْيِهِ آرَاءَ الْعُقَلَاءِ، وَيَجْمَعَ إلَى عَقْلِهِ عُقُولَ الْحُكَمَاءِ، فَالرَّأْيُ الْفَذُّ رُبَّمَا زَلَّ، وَالْعَقْلُ الْفَرْدُ رُبَّمَا ضَلَّ.

وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:

إذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنْ ... بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمِ

وَلَا تَجْعَلْ الشُّورَى عَلَيْك غَضَاضَةً ... فَإِنَّ الْخَوَافِيَ قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ"[١]

❊

(١) أدب الدنيا والدين (صـ٣٠٠).

الفصل التاسع
صَلاحُ الْبَالِ بالهِدَايَةِ

قال الله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾(١) فالهداية هي السبيل لصلاح البال.

فلا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة، ولا بركة، ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله، والسير في طريق الهداية.

والرجوع إلى الله له طريق واحدٌ، وهو العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم، إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها، والتحاكم إليه وحده في شؤونها، وإلا فهو الفساد في الأرض، والشقاوة للناس، والارتكاس في الحمأة، والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾(٢).

إن التزام طريق الهداية والاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلةً، ولا تطوعًا، ولا موضع اختيار، إنما هو الإيمان ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ

(١) [محمد:٢].

(٢) [القصص:٥٠].

وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ ﴾، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾(١).

❀ ❀ ❀

(١) [الجاثية:١٨-١٩].

الفصل العاشر

صلاح البال في الأخوة في الله

إنَّ أساس قضية "الأخوة" صفاء القلب لله، هذا الصفاء الذي يثمر طمأنينة الفؤاد، وراحة البال، وهدوء الضمير، فلا نرتقب خوف الغدر، وحسد الأعين، وأذى الأيدي، وكيد القلوب، وحقد النفوس، إنها ظلال الحب في الله لا أخوة المصالح، وصداقة المنافع التي شاعت في هذا العصر، نحتاج إلى أخٍ كالمرآة الصافية، يُقيل كل منا الآخر من عثراته، يحوطني وأحوطه من ورائه، يقيمني وأقيمه، يعينني وأعينه، فأين هذه الأخوة ؟!!

مـن أيـن لـي والمنـى ليسـت بنافعـةٍ   خـلٌ أرى فيـه أغراضـي وأوطـاري؟
يمسُّـه الخطـبُ قَلْبـي ثـم يصرفُـــــهُ   عنـي ولـو خـاضَ فيـه لُجَّـةَ النـارِ[1]

❍ ثمرات الأخوة:

لو صحت لنا الأخوة الإيمانية المرجوة، لو سعينا في زرع بساتينها في قلوبنا لأثمرت فينا حياةً أخرى غير تلك التي نحياها، فإنَّ القلوب تحيا وتترابط وتتآلف فيورثها الله من النعيم ما لا يستشعره إلا من ذاقه، **فمن ذلك:**

١ – أن يتذوق حلاوة الإيمان فيحيا حياة السعداء:

---

(١) الأخوة أيها الإخوة (صـ٣) للشيخ محمد حسين يعقوب.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»(١).

٢- أن يحيطه الله تعالى برحمته، ويقيه عاديات وشدائد يوم القيامة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٢).

٣- أن الله عَزَّ وَجَلَّ يظله بظله يوم القيامة:

فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظله إلا ظله: «**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»(٣).

٤- أن يرزق العبد محبة الله:

عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ بالشَّامِ، فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإيمان-باب حلاوة الإيمان-١٦-١/ ١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان-٤٣-١/ ٦٦).

(٢) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-٢٦٩٩-٤/ ٢٠٧٤).

(٣) رواه البخاري (كتاب الأذان-باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد-٦٦٠-١/ ١٣٣)، ومسلم (كتاب الزكاة-باب فضل إخفاء الصدقة-١٠٣١-٢/ ٧١٥).

رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ، وَقَالَ إِسْحَاقُ: بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: آللهِ. فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: آللهِ. فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ ﷻ: «**وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**»(١).

٥- صفاء السريرة ونقاء القلب:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ؓ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»(٢).

فإنَّ الحب في الله يدل على كمال الدين، ويثمر ذلك من صفاء السريرة واتقان العمل والخوف من الله، وتقديس كتبه وحب سنة نبيه ما يزيد الإيمان ويبعث على نقاء وسلامة القلب.

٦- اطمئنان القلب والأمن من أهوال يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد (حديث معاذ بن جبل-٢٢٠٣٠-٣٦-٣٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣١-٢/ ٧٩٨).

(٢) رواه أبو داود (كتاب السنة-باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه-٤٦٨١-٤/ ٢٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٥-٢/ ١٠٣٤).

(٣)[الزخرف:٦٧].

كيف نعمق أواصر الأخوة؟

أولًا: حسن الظن وقبول الظاهر.

ثانيًا: الإغضاء وعدم الاستقصاء.

ثالثًا: النصيحة للإصلاح.

رابعًا: إنهاء الجدال والمراء حالاً.

خامسًا: إعدام الاختلاف.

سادسًا: سد باب النقل، ورد قالة السوء.

سابعًا: استعمال الرحمة، والرفق، وخفض الجناح.

ثامنًا: دوام الصلة، والتزاور في الله.

تاسعًا: قضاء الحوائج، وتفقد الإخوان.

عاشرًا: بذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى[1].

❀ ❁ ❀

---

(١) الأخوة أيها الإخوة (صـ٥١) للشيخ محمد حسين يعقوب.

الفصل الحادي عشر
صلاح البال في أداء العمل في وقته، وعدم تأجيله

نحفظ جيدًا الحكمة المشهورة: "لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد".

إذا أجّلت وسوّفت، فإن العمل سوف يتراكم عليك، وأنت لا تعرف ما سيأتي به الغد، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**».

قال ابن عثيمين: "هذه كلمات من ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ والمعنى: اعمل العمل قبل أن تصبح، ولاتقل غدًا أفعله؛ لأن منتظر الصباح إذا أمسى يؤخر العمل إلى الصباح، وهذا غلط، فلا تؤخر عمل اليوم لغد.

وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ أي اعمل وتجهّز، وهذا أحد المعنيين في الأثر.

---

(١) [لقمان:٣٤].

أو المعنى: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاح لأنك قد تموت قبل أن تصبح. وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاء لأنك قد تموت قبل أن تمسي. وهذا في عهدنا كثير جدًا، انظر إلى الحوادث كيف نسبتها؟ تجد الرجل يخرج من بيته وهو يقول لأهله هيؤوا لي الغداء، ثم لا يتغدى، يصاب بحادث ويفارق الدنيا، أو يموت فجأة، وقد شوهد من مات فجأة(١).

ستنعم براحة البال إذا بدأت يومك دون عمل متراكم من اليوم السابق. وهناك عادة حميدة وهي أن تنجز العمل حال تسلّمه في موقعه إذا كان يستغرق خمس دقائق أو أقل، أما إذا كان يستغرق أكثر من خمس دقائق فأدخله في الجدول حسب أولوياته .

هذه القاعدة الذهبية يمكن أن تجعلك من أعظم المنجزين لأعمالهم في أوقاتها المناسبة لها(٢).

---

(١)شرح الأربعين النووية (صـ٣٩١) لابن عثيمين، ط/ دار الثريا للنشر.
(٢) الوقت وأهميته في حياة المسلم (صـ٨٣) علي بن نايف الشحود.

الفصل الثاني عشر

صلاح البال بالورع

قال الخطابي: "ما شككت فيه فالورع اجتنابه، وهو على ثلاثة أقسام:

واجب، ومستحب، ومكروه، فالواجب: اجتناب ما يستلزم ارتكاب المحرم، والمندوب اجتناب معاملة من أكثر ماله حرام، والمكروه: اجتناب الرخص المشروعة[(١)].

وقد أرشد الشارع إلى اجتناب ما لا يتيقن المرء حله:

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**»[(٢)].

وفي الباب عن أنس عند أحمد وعن ابن عمر عند الطبراني وعن أبي هريرة وواثلة بن الأسقع ومن قول ابن عمر وابن مسعود وغيرهما.

قَالَ **حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ**: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَهْوَنَ مِنَ الوَرَعِ دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا

---

(١) ينظر معالم السنن (٣/ ٥٨).

(٢) رواه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-بابٌ-٢٥١٨-٤/ ٦٦٨)، وقال: "وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ"، والنسائي (كتاب الأشربة-الحث على ترك الشبهات-٥٧١١-٨/ ٣٢٧)،

لاَ يَرِيبُكَ»(١).

عَنْ شُرَيْحٍ، قَالَ: «يَا عَبْدَ اللهِ، دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَوَاللهِ لَا يَدَعُ عَبْدٌ لِلَّهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَيَجِدُ فَقْدَهُ»(٢).

عَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ، حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ**»(٣).

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ الْعَمَلِ الْوَرَعَ وَالتَّفَكُّرَ»(٤).

عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «مَثَلُ الْإِيمَانِ كَشَجَرَةٍ فَأَصْلُهَا الشَّهَادَةُ وَسَاقُهَا وَوَرَقُهَا كَذَا وَثَمَرُهَا الْوَرَعُ وَلَا خَيْرَ فِي شَجَرَةٍ لَا ثَمَرَ لَهَا وَلَا خَيْرَ فِي إِنْسَانٍ لَا وَرَعُ لَهُ»(٥).

قَالَ مَالِكٌ: قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: إِنَّ قَوْمًا يُصَلُّونَ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: لَيْسَتْ هَذِهِ عِبَادَةٌ، إِنَّمَا الْعِبَادَةُ الْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ، وَالْفِكْرُ فِي أَمْرِ اللهِ(٦).

---

(١) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب البيوع-باب تفسير المشبهات-٣/ ٥٣).

(٢) رواه معمرٌ في جامعه (باب الأمانة، وما جاء فيها-٢٠١٩٣-١١/ ١٥٧)، وابن المبارك في الزهد (٢/ ١١)..

(٣) رواه ابن ماجه (كتاب الزهد-باب الورع والتقوى-٤٢١٥-٢/ ١٤٠٩)،

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٢٨٥-١/ ٩٦).

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٦٣٥-١/ ٣١٦).

(٦) رواه أبو داود في الزهد (٤١٤-صـ٣٤٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةَ ذَهَبٍ فقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ عَنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ أَرْضًا وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ ذَهَبًا وَقَالَ الَّذِي بَاعَ الْأَرْضَ إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا قَالَ فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ فقَالَ أَحَدُهُمَا غُلَامٌ وقَالَ الْآخَرُ جَارِيَةٌ فقَالَ أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَتَصَدَّقَا**»[1].

فتأمل إلى ورع وأمانة كلٍّ من الرجلين: حيث خشي البائع أن يكون ما وجده المشتري له فحسب فتورع عن أخذه، وتورع المشتري أن يأخذ ما وجده خشية أن يكون حقًّا لصاحب العقار، فالله أكبر ما أزكاها من أخلاق.

قال الغزالي: "الورع له أربع مراتب:

الأولى: الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة، وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية، وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر.

الثانية: ورع الصالحين، وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات.

قال ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**»[2]، وقال ﷺ: «**الإثم حزاز**

(١) رواه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء-باب حديث الغار-٣٤٧٢-٤/ ١٧٤)، ومسلم (كتاب الحدود-باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين-١٧٢١-٣/ ١٣٤٥)، وابن حبان (باب الورع والتوكل- ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ لِلْمَرْءِ اسْتِعْمَالَ التَّوَرُّعِ فِي أَسْبَابِهِ دُونَ التَّعَلُّقِ بِالتَّأْوِيلِ وَإِنْ كَانَ لَهُ ذَلِكَ-٧٢٠-٢/ ٤٩٦).

(٢) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

القلوب»(١).

الثالثة: ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام.

قال ﷺ: «**لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ مخافة ممَّا بِهِ بَأْسٌ**»(٢) حتى يدع ما لا بأس به مما به بأس. وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفةً من الانجرار إلى الغيبة، والتورع عن أكل الشهوات خيفةً من هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة المحظورات.

الرابعة: ورع الصديقين، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفًا من صرف ساعةٍ من العمر إلى ما لا يفيد زيادةَ قربٍ عند الله ﷻ، وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرامٍ.

فهذه الدرجات كلها خارجةٌ عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى، وهو ورع الشهود والقضاء، وما يقدح في العدالة، والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لوابصة: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ**»(٣).

---

(١) رواه بلفظ: "حواز" موقوفًا على ابن مسعود: أبو داود في الزهد (١٢٥-صـ١٣٤)، والطبراني في الكبير (٨٧٤٨-٩/ ١٤٩)، ورواه البيهقي بلفظ: "جواز" (تحريم الفروج، وما يجب من التعفف عنها-٥٠٥١-٧/ ٣٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦١٣-٦/ ٢٢٣)، وقال: ويروى " الإثم حزاز القلوب بزايين، الأولى مشددة، وهي فعالٌ من الحز".

(٢) سبق تخريجه.

(٣) إحياء علوم الدين (١/ ١٩)، وحديث وابصة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا وَابِصَةُ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي**
=

وقد أشار البخاري إلى أن الوساوس ونحوها ليست من الشبهات. فقال: "باب من لم ير الوساوس ونحوها من المشبهات"(١).

قال ابن حجر: "هذه الترجمة معقودةٌ لبيانِ ما يكرهُ من التنطع في الورع"(٢).

والنصوص التي تحض على الورع، **وتبين فضله كثيرةٌ نذكر منها ما يلي**:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ**»(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَذْهَبَ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبَ، ثُمَّ يَأْتِيَ بِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهُ فَيَأْكُلَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، وَلَأَنْ يَأْخُذَ تُرَابًا فَيَجْعَلَهُ فِي فِيهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِي فِيهِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ**»(٤).

= **النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**» رواه أحمد (حديث وابصة بن معبد الأسدي-١٨٠٠٦-٢٩-٥٣٣)، والدارمي (كتاب البيوع-بابٌ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك-٢٥٧٤-٣/ ١٦٤٩)، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب-١٧٣٤-٢/ ١٥١).

(١) صحيح البخاري (٣/ ٥٤).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢٩٥).

(٣) رواه البخاري (كتاب الزكاة-باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٧٠-٢/ ١٢٣).

(٤) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-٧٤٩٠-١٢/ ٤٥٩)، والحديث صحيح دون قوله: "ولأن يأخذ.." فهي معلة بعنعنة ابن إسحاق، وضعفه الألباني هذه الزيادة في ضعيف الترغيب والترهيب (١٠٧٥-١/ ٢٦٩).

وعَنْ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ البَأْسُ**»(١).

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «**لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ**»(٢).

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زوج النّبيّ ﷺ حين قال لها أهل الإفك ... الحديث، وفي آخره: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «**يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ**» ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ»(٣).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كِخْ كِخْ**» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-٢٤٥١-٤/ ٤٣٤)، وابن ماجه (كتاب الزهد-باب الورع والتقوى-٤٢١٥-٢/ ١٤٠٩)، والحاكم (كتاب الرقائق-٧٨٩٩-٤/ ٣٥٥)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"،

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (كتاب الإيمان-باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»-١/ ١٠)،

(٣) رواه البخاري (كتاب الشهادات-باب تعديل النساء بعضهن بعضًا-٢٦٦١-٣/ ١٧٣)، ومسلم (كتاب التوبة-بابٌ في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف-٢٧٧٠-٤/ ٢١٢٩-

(٤) رواه البخاري (كتاب الزكاة-باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ وآله-١٤٩١-٢/ ١٢٧)، =

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً، فَأُلْقِيهَا**»(١).

وعَنْ نَافِعٍ، مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ: "سَمِعَ صَوْتَ، زَمَّارَةِ رَاعٍ فَوَضَعَ أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، وَعَدَلَ رَاحِلَتَهُ عَنِ الطَّرِيقِ"، وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَافِعُ أَتَسْمَعُ؟، فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَيَمْضِي حَتَّى، قُلْتُ: لَا فَوَضَعَ يَدَيْهِ، وَأَعَادَ رَاحِلَتَهُ إِلَى الطَّرِيقِ، وَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَسَمِعَ صَوْتَ زَمَّارَةِ رَاعٍ فَصَنَعَ مِثْلَ هَذَا»(٢).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ»(٣). وهذا من ورعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

= ومسلم (كتاب الزكاة-باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم-١٠٦٩-٢/ ٧٥١).

(١) رواه البخاري (كتابٌ في اللقطة-بابٌ إذا وجد تمرةً في الطريق-٢٤٣٢-٣/ ١٢٥)، ومسلم (كتاب الزكاة- باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم-١٠٧٠-٢/ ٧٥١).

(٢) رواه أحمد (مسند عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-٤٥٣٥-٨/ ١٣٢)، وابن ماجه (كتاب النكاح-باب الغناء والدف-١٩٠١-١/ ٦١٣)، وحسنه الشيخ أحمد شاكر.

(٣) رواه البخاري (كتاب المناقب-باب أيام الجاهلية-٣٨٤٢-٥/ ٤٣).

❍ من فوائد الورع:

١-الورع بتجنب ما فيه شبهة، وما اختلط فيه الحلال بالحرام يبعث الطمأنينة في القلب بفعل ما ينبغي، وترك ما لا ينبغي.

٢-الورع من أعلى مراتب الإيمان، وأفضل درجات الإحسان.

٣-يحقّق للمؤمن راحة البال، وطمأنينة النّفس.

❧ ❋ ❧

الفصل الثالث عشر
صلاح البال بالتوبة إلى الله

التوبة واجبة من كل ذنب، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[١]، وتأمل كيف أمر الله المؤمنين جميعًا بالتوبة وعلق عليها فلاحهم فقال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢].

قال ابن الجوزي: "إخواني: بادروا بالتوبة من الذنوب، واقتفوا آثار التوّابين، واسلكوا مسالك الأوّابين، الذين نالوا التوبة والغفران، وأتعبوا أنفسهم في رضا الرحمن، فلو رأيتهم في ظلم الليالي قائمين، ولكتاب ربهم تالين، بنفوس خائفة، وقلوب واجفة، قد وضعوا جباههم على الثرى ورفعوا حوائجهم لمن يرى ولا يرى:

وأنشدوا:

ألا قف ببابي عند قرع النوائب   وثق بي تجدني خير خلّ وصاحب
ولا تلتفت غيري فتصبح نادما   ومن يلتفت غيري يعش خائب"[٣]

(١)[التحريم: ٨].
(٢)[النور: ٣١].
(٣) بحر الدموع (صـ٢٥).

وينبغي تجديد التوبة مرة بعد مرة؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١).

وعَنِ الْأَغَرِّ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(٢).

هذا حال رسول الله ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ، وهو يكثر من الاستغفار والتوبة، فكيف بحالنا نحن أصحاب الذنوب والخطايا، والعيوب والرزايا، فما أحوجنا إلى التوبة، فيها يغفر الله الذنوب، ويُريح القلوب، ويستر العيوب، ويكشف الكروب.

❖ **من فوائد التوبة:**

١-التوبة تبعث على شرح الصدر، وصلاح البال.

٢-التّوبة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣-سبب حبّ الله تعالى ورضاه؛ لأنّ الله يحبّ التّوّابين ويحبّ المتطهّرين.

٤-سعة رحمة الله تعالى للتّائب.

٥-ضعف الإنسان لكون الخطيئة جزءا منه.

٦-عموم وشمول مغفرة الله ورحمته لكلّ ذنب تاب العبد منه وإن

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات-باب استغفار النبي ﷺ في اليوم-٦٣٠٧-٨/ ٦٧).

(٢) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-٢٧٠٢-٤/ ٢٠٧٥).

كان شركا.

٧-حرمة المسلم (عرضه وماله) فلا تقبل التّوبة من حقوق العباد إلّا بأن يأخذ حقّه أو يعفو.

٨-يتجلّى الله على التّائب برضوانه وإحسانه.

٩-يقبل الله على التّائب أضعاف إقبال عبده عليه بطاعته.

١٠- تسبّب التّوبة ذهاب الضّيق وإزالة الهمّ.

١١- الرّجاء في العفو والتّوبة ما دامت الرّوح في الجسد إلى طلوع الشّمس من مغربها، وقبل الغرغرة.

١٢- وجوب التّوبة على العموم وعلى الخصوص والمبادرة بها.

١٣- المعاصي سواد والتّوبة جلاؤها[١].

فاللهم ارزقنا توبةً تصلح بها بالنا، وتغفر بها ذنوبنا، وتشرح بها صدورنا، وترضى بها عنا يا أرحم الراحمين.

❊

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٤/ ١٢٩٥).

الفصل الرابع عشر
صلاح البال بالدعاء

الالتجاء إلى الله ﷻ وكثرة الدعاء من أعظم الأسباب لصلاح البال، واستقامة القلب، وذهاب الهمِّ والغمّ.

إن الدعاء يزيد في الإيمان والتوحيد، وحياة القلب، ويجعله متعلقًا بالله تعالى محبةً ورغبةً، ويفتح له بابًا عظيمًا من لذيذ المناجاة، وحلاوة الإيمان، وبشاشته، وبرد اليقين، وراحة البال، وطمأنينة النفس، وانشراح الصدر، وغير ذلك.

وقد وردت الكثير من الأدعية في السنة النبوية الشريفة عن الرسول ﷺ التي تريح البال، وتفرج الهم، وتشرح الصدر، ومنها:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**»(١).

---

(١) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل-٢٧٢٠-٤/ ٢٠٨٧).

٢- وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(١).

٣- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: «**يَا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟**» قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ «**قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي(٢).

٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «**التَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ**» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ**

---

(١) رواه أحمد (حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلده-٢٠٤٣٠-٣٤-٧٥)، وأبو داود (كتاب الأدب-باب ما يقول إذا أصبح-٥٠٩٠-٤/ ٣٢٤)، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة-١٠٤١٢-٩/ ٢٤١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨-١/ ٦٣٨).

(٢) رواه أبو داود (كتاب الصلاة-بابٌ في الاستعاذة-١٥٥٥-٢/ ٩٣)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٧٢-٢/ ١٠٢).

وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»(١).

(**ضَلْعِ الدَّيْنِ**) أَيْ ثِقَله وَشِدَّته وَذَلِكَ حِين لَا يَجِدُ مَنْ عَلَيْهِ الدَّيْن وَفَاءَهُ لَا سِيَّمَا مَعَ الْمُطَالَبَة. (**وَغَلَبَة الرِّجَال**): أَيْ قَهْرهمْ وَشِدَّة تَسَلُّطهمْ عَلَيْهِ. وَالْمُرَاد بِالرِّجَالِ الظَّلَمَة أَوْ الدَّائِنُونَ.

ومن محاسن ديننا أن شرع لنا دعاءً نقوله عند العطاس، والعطاس نعمةٌ من الله ﷻ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ، فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ**»(٢)، فبه نحمد الله لأ، وبه نتراحم، ونسأل الله ﷻ الهداية وصلاح البال:

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»(٣).

٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير-بابٌ من غزا بصبي للخدمة-٢٨٩٣-٤/ ٣٦).

(٢) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب-٦٢٢٣-٨/ ٤٩).

(٣) رواه البخاري (كتاب الأدب-بابٌ إذا عطس كيف يشمت-٦٢٢٤-٨/ ٤٩).

(٤) رواه البخاري (كتاب الدعوات-باب الدعاء عند الكرب-٦٣٤٥-٨/ ٧٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-٢٧٣٠-٤/ ٢٠٩٣).

٧- عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْوةُ ذي النُّونِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فإنَّها لم يَدْعُ بها مُسلمٌ ربَّه في شيءٍ قَطُّ إلَّا استَجابَ له**»(١).

٨- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ -أَوْ فِي الْكَرْبِ-؟ اللهُ اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(٢).

٩- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ما أصابَ أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزنٌ فقال: اللَّهمَّ إنِّي عَبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أمتِك، ناصِيَتي بيدِكَ، ماضٍ فيَّ حكمُكَ، عدْلٌ فيَّ قضاؤكَ، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هوَ لكَ سمَّيتَ بهِ نفسَك، أو أنزلْتَه في كتابِكَ، أو علَّمته أحدًا من خلقِك، أو استأثرتَ بهِ في علمِ الغيبِ عندَك، أن تجعلَ القُرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ صَدري، وجَلاءَ حَزَني، وذَهابَ هَمِّي، إلَّا أذهبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ همَّهُ، وأبدلَه مكانَ حَزنِه فرحًا، قالوا: يا رسولَ اللهِ! يَنبغي لنا أَن نتعلَّمَ هؤلاءِ الكلماتِ؟ قال: أجَلْ، ينبغي لمَن سمِعَهنَّ أن يتَعلمَهنَّ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-١٦٦٢-٣/ ٦٦)، والترمذي (أبواب الدعوات-٣٥٠٥-٥/ ٥٢٩)، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة-١٠٤١٧-٩/ ٢٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٩٣-١/ ٦٣٧)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٦٤٤-٢/ ١٣٠).

(٢) رواه أبو داود (كتاب الصلاة-بابٌ في الاستغفار-١٥٢٥-٢/ ٨٧)، وابن ماجه (كتاب الدعاء-باب الدعاء عند الكرب-٣٨٨٢-٢/ ١٢٧٧)، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة-١٠٤١٠-٩/ ٢٤١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٦٤-٥/ ٢٥٥).

(٣) رواه أحمد (مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-٣٧١٢-٦/ ٢٤٦)، وابن حبان (باب =

أدعية لراحة البال والقلب:

« اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى، اللهم لك الحمد عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، اللهم لك الحمد على الإسلام، اللهم لك الحمد على أن هديتنا، اللهم لك الحمد والشكر على جميع النعم التي أنعمت بها علينا».

«رب امنحني من سعة القلب، وإشراق الروح، وقوة النفس، ما يعينني على ما تحبه من عبادك؛ من مواساة الضعيف والمكسور والمحروم والملهوف والحزين، واجعل ذلك سلوة حياتي، وسرور نفسي، وشغل وقتي، وقرة عيني».

«اللهم اقسم لي من خشيتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغني به جنتك، ومن اليقين ما تهون به على مصائب الدنيا».

«اللهم إني أستغفرك من جميع الذنوب والخطايا، ما علمت منها وما لم أعلم، اللهم اجمعنا في جناتك جنات النعيم، ولا تفرقنا وأهلنا وأحبائنا بعد الممات يا رب العالمين».

«اللهم اجعلني من الصابرين، اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم قوي إيماني وارحمني يا أرحم الراحمين، اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه».

«رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا

=

الأدعية-ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه، وإبداله إياه فرحًا-٩٧٢-٣/ ٢٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢-٢/ ١٧١).

قولي. اللهم أبعد عني رفقاء السوء، اللهم جنبني الفواحش والمعاصي، اللهم اغفر لي ذنبي، وطهّر قلبي، وارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين».

❍ من فوائد الدعاء:

١- سرعة الفرج وتفريج الكرب.

٢- إلقاء الهمّ على الرّبّ لحسن الظّنّ بالقرب.

٣- سلاح يتّقى به العدوّ وسوء القضاء.

٤- يجلب المصالح ويدفع المفاسد.

٥- يشغل العبد بذنبه وعيبه عن عيب غيره.

٦- مداومة الشّعور بالضّعف والحاجة، فلا يزال يدعو حتّى ينال حاجته.

٧- يعدّ من أجلّ أنواع العبادة، فيقصد لذاته كما يقصد لقضاء الحاجة ولدفع المضرّة.

٨- يدعو المسلم إلى التعرّف على الآداب الشّرعيّة.

٩- يشعر المسلم بأنّه في معيّة الحقّ دومًا[١].

❊

---

(١) موسوعة نضرة النعيم (٥/ ١٩٤٤).

الفصل الخامس عشر

صلاح البال بالعلم

إن الحياة لا تضن على الرجل الكريم الذي يبذل نفسه في سبيل العلم بما يضمن له راحة البال، وهدوء الضمير، وكرامة النفس، ومتاع العيش، ومن فوق ذلك كله ما يستشعره من سعادة لا تعد لها سعادة في كل لحظة من لحظات حياته العلمية الموفقة.

فالعلم هو أقرب الطرق إلى أعظم اللذات، وكل ما سوى الله مفتقر إلى العلم، فالخلق والأمر مصدرهما علم الرب وحكمته، وما قامت السموات والأرض إلا بالعلم، وما بعثت الرسل إلا بالعلم، وما أنزلت الكتب إلا بالعلم، ولا عُبد الله وحده وحُمد وأُثني عليه ومُجد إلا بالعلم، ولا عُرف الحلال من الحرام إلا بالعلم، ولا عُرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم.

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومحبته وطاعته، والتقرب إليه، وابتغاء الوسيلة إليه أمر مقصود لذاته، والله يستحقه لذاته.

وهو سبحانه المحبوب لذاته، الذي لا تصلح العبادة والمحبة والذل والخضوع والتأله إلا له، فهو يستحق ذلك؛ لأنه أهل أن يُعبد، ولو لم يخلق جنة ولا نارًا، ولو لم يضع ثوابًا ولا عقابًا.

فهو سبحانه يستحق غاية الحب والطاعة والثناء والمجد والتعظيم لذاته،

ولما له من أوصاف الكمال والجلال والجمال.

وحبه ﷻ والرضا به وعنه، والذلة، والخضوع له، والتعبد هو غاية سعادة النفس وكمالها، والنفس إذا فقدت ذلك، كانت بمنزلة الجسد الذي فقد روحه[١].

قال ابن القيّم: "وَاسْتَشْهَدَ اللهُ ﷻ بِأَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَقَرَنَ شَهَادَتَهُمْ بِشَهَادَتِهِ وَشَهَادَةِ مَلَائِكَتِهِ. وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ تَعْدِيلُهُمْ. فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَسْتَشْهِدُ بِمَجْرُوحٍ.

وَمِنْ هَاهُنَا -وَاللهُ أَعْلَمُ- يُؤْخَذُ الْحَدِيثُ الْمَعْرُوفُ «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَتَأْوِيلَ الْمُبْطِلِينَ»[٢].

وَهُوَ حُجَّةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ. وَنُورُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ. وَقَائِدُهُمْ وَدَلِيلُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ. وَمُدْنِيهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِ.

وَيَكْفِي فِي شَرَفِهِ: أَنَّ فَضْلَ أَهْلِهِ عَلَى الْعِبَادِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى

---

(١) موسوعة فقه القلوب (٢/ ١٥٠٩) للتويجري.

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (كتاب الشهادات-بَابُ: الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ يُسْأَلُ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَيَقُولُ: كُفُّوا عَنْ حَدِيثِهِ ، لِأَنَّهُ يَغْلَطُ أَوْ يُحَدِّثُ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ ، أَوْ أَنَّهُ لَا يُبْصِرُ الْفُتْيَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: " لَيْسَ هَذَا بِعَدَاوَةٍ وَلَا غِيبَةٍ ، إِذَا كَانَ يَقُولُهُ لِمَنْ يَخَافُ أَنْ يَتَّبِعَهُ فَيُخْطِئَ بِاتِّبَاعِهِ ، وَهَذَا مِنْ مَعَانِي الشَّهَادَاتِ-٢٠٩١١-١٠/ ٣٥٣)، والبزار (مسند أبي حمزة أنس بن مالك-٩٤٢٣-١٦/ ٢٤٧)، وقال: "وخالد بن عمرو هذا مُنْكَر الحديث قد حدث بأحاديث عن الثوري وغيره لم يتابع عليها، وهذا مما لم يتابع عليه، وإنما ذكرناه لنبين العلة فيه"، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨-١/ ٨٢).

سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ لَهُمْ أَجْنِحَتَهَا، وَتُظِلُّهُمْ بِهَا، وَأَنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ، وَحَتَّى النَّمْلُ فِي جُحْرِهَا، وَأَنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرَ"(١).

وقال بعضهم: "من طلب العلم لوجه الله لم يزل مُعانًا، ومن طلبه لغير الله لم يزل مُهانًا".

وقال بعضهم: "الجاهل صغيرٌ وإن كان شيخًا، والعالم كبيرٌ وإن كان حدثًا واستشهدوا بقول القائل:

تعلّم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهل
وإنّ كبير القوم لا علم عنده ... صغيرٌ إذا التفّت إليه المحافل

من فوائد العلم:

١- به يعرف الله ويعبد ويوحّد.

٢- أساس صحّة الاعتقادات والعبادات.

٣- طلب العلم عبادة.

٤- هو طريق الوصول إلى الجنّة.

٥- يكسب صاحبه الخشية لله.

٦- يكسب صاحبه التّواضع للخلق.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤١).

٧- ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره ممّن علّمه.

٨- يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه.

٩- يورث صاحبه أعلى المراتب بعد الأنبياء.

١٠- يرفع الوضيع ويعزّ الذّليل ويجبر الكسير.

١١- هو دليل حبّ الخير للآخرين لحرص صاحبه على إخراج النّاس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

١٢- به توصل الأرحام وتؤدّى الحقوق.

قَصِيْدةٌ في الحَثِّ على طَلَبِ العِلْمِ:

يا تارِكًا لِمَرَاضِي اللهِ أَوطَانًا ... وسالِكًا في طَرِيقِ العِلمِ أَحْزَانَا

كُنْ باذِلَ الجدِّ في عِلْم الحديثِ ... تَنَلْ كَلَّ العُلومِ وَكُنْ بالأصْلِ مُشْتَاقًا

فالعِلْمُ أَفْضَلُ مَطْلُوبٍ وطالبُهُ ... مِن أَكمَلِ الناسِ مِيزانًا وَرُجْحانَا

والعِلمُ نُورٌ فكُنْ بالعلمِ مُعْتَصِمًا ... إنْ رُمْتَ فَوْزًا لَدَى الرحمن مَولانَا

وهو النَّجَاةُ وفيهِ الخيرُ أُجْعمُهُ ... والجَاهلُون أَخَفُّ الناسِ مِيزانَا

والعِلمُ يَرفَعُ بَيتًا كان مُنْخَفِضًا ... والجهلُ يَخْفِضُهُ لو كان ما كانَا

وأرفعُ الناسِ أهلُ العِلمِ مَنْزِلةً ... وأوضعُ النَاسِ مَنْ قد كان حَيْرانَا

لا يَهْتدي لِطَرِيقِ الحقِّ مِنْ عَمَهٍ ... بل كانَ بالجهلِ مِمَّن نال خُسرانَا[1]

(١) مجموعة القصائد الزهديات (١/ ٦٨) أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، ط/ مطابع الخالد للأوفسيت- الرياض، =

فاللهم علمنا من دينك ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، وأنر بالعلم بصائرنا وبصيرتنا، وأصلح بالنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالعلم والتوحيد حياتنا يا كريم يا منان يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

=

الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

الفصل السادس عشر

صلاح البال بالاستغفار

إنَّ منْ أسبابِ راحةِ البالِ، استغفار ذي الجلال[١].

قال تعالى على لسان نبي الله نوح ﷺ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾.

فمن أكثر من الاستغفارِ، رأى الفرَحَةَ وراحةَ البالِ، والرزق الحلالَ، والذريةَ الصالحةَ، والغيثَ الغزيرَ.

قال الله ﷻ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»[٢].

---

(١) لا تحزن (صـ٢٣٣٣) عائض بن عبد الله القرني، ط/ مكتبة العبيكان.

(٢) رواه أحمد (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب-٢٢٣٤-٤/ ١٠٤)، وأبو داود (كتاب الصلاة-بابٌ في الاستغفار-١٥١٨-٢/ ٨٥)، وابن ماجه (كتاب الأدب-باب الاستغفار-٣٨١٩-٢/ ١٢٥٤)، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة-الإكثار من الاستغفار-ثواب ذلك-١٠٢١٧-٩/ ١٧١)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٠٥-٢/ ١٤٢).

وعليكَ بسيِّدِ الاستغفار، عَنْ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ ﵁: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» قَالَ: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[١].

يقول ابنُ تيمية: "إنَّ المسألة لتغلقُ عليَّ، فأستغفرُ الله ألف مرةٍ أو أكثر أو أقلَّ، فيفتحُها اللهُ عليَّ"[٢].

❍ **فوائد الاستغفار:**

١-الاستغفار يجلب الغيث المدرار للمستغفرين ويجعل لهم جنّاتٍ ويجعل لهم أنهارًا.

٢-الاستغفار يكون سببا في إنعام الله ﷿ على المستغفرين بالرّزق من الأموال والبنين.

٣-تسهيل الطّاعات، وكثرة الدّعاء، وتيسير الرّزق.

٤- زوال الوحشة الّتي بين الإنسان وبين الله.

٥-المستغفر تصغر الدّنيا في قلبه.

---

(١) رواه البخاري (كتاب الدعوات-باب أفضل الاستغفار-٦٣٠٦-٨/ ٦٧).

(٢) وقفات بهية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (صـ٥) لأبي يزن حمزة بن فايع الفتحي.

٦- ابتعاد شياطين الإنس والجنّ عنه.

٧-يجد حلاوة الإيمان والطّاعة.

٨-حصول محبّة الله له.

٩-الزّيادة في العقل والإيمان.

١٠- تيسير الرّزق وذهاب الهمّ والغمّ والحزن.

١١- إقبال الله على المستغفر وفرحه بتوبته.

١٢- وإذا مات تلقّته الملائكة بالبشرى من ربّه.

١٣- إذا كان يوم القيامة كان النّاس في الحرّ والعرق، وهو في ظلّ العرش.

١٤- إذا انصرف النّاس من الموقف كان المستغفر من أهل اليمين مع أولياء الله المتّقين.

١٥- تحقيق طهارة الفرد والمجتمع من الأفعال السّيّئة

١٦- دعاء حملة عرش ربّنا الكريم له.

❁



الباب الثالث

صلاح البال بالآداب ومحاسن الأخلاق

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول

صلاح البال بحسن الخلق مع الناس

منْ عندَه أَدَبٌ جمٌّ، وذوقٌ سليمٌ وخُلُقٌ شريفٌ، أسعدَ نفسَه وأسعدَ الناسَ، ونال صلاحَ البالِ والحالِ.

فصاحب الخلق الحسن في راحةٍ حاضرةٍ، ونعيمٍ عاجلٍ؛ فإن قلبه مطمئنٌ، ونفْسَه ساكنةٌ، وذلك مادة الراحة العاجلة، وطيب العيش.

كما أن صاحب الخلق السيئ في شقاءٍ حاضرٍ، وعذابٍ مستمرٍ، ونزاعٍ ظاهريٍ وباطنيٍ مع نفسه، وأولاده، ومخالطيه، مما يشوش عليه حياته، ويكدر عليه أوقاته، مع ما يترتب على ذلك فوات الآثار الطيبة، والتعرض لضدها.

فمن حسن خلقه طابت معيشته، ودامت سلامته، وتأكدت في الناس محتبه[1].

❍ من فضائل حسن الخلق:

الامتثال لأمر الله، وطاعة للرسول ﷺ، والاقتداء بالرسول ﷺ وهو عبادة عظيمة، ورفعة للدرجات، وأعظم ما يُدخل الجنة، ويورث كسب القلوب، وتيسير الأمور، ومدعاة للذكر الحسن، والسلامة من شر الخلق لأن صاحب

---

(١) سوء الخلق (صـ٨٧) محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، ط/ درا بن خزيمة.

الخُلق الحسن لا يقابل الإساءة بالإساءة وإنما يقابلها بالصفح والعفو والإعراض وربما قابلها بالإحسان، والقرب من مجلس النبي ﷺ يوم القيامة، ومحبة الله، وأثقل شيء في الميزان يوم القيامة، وزيادة الأعمار وعمارة الديار، والتوصل للحق، وزيادة العلم، وحصول الخيرية، والوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة والإنصاف، وراحة البال وطيب العيش، وحصول الوئام والاتفاق التام في المجتمع، وبه يتمكن المرء من إصلاح ذات البين، ويستر العيوب، وغير ذلك(١).

ومن النصوص التي تدل على ما سبق:

١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا**»(٢).

٢- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**»(٣).

٣- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الجَدَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: «**لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**»(٤).

---

(١) المسلم وحقوق الآخرين (صـ٦) أبو فيصل البدراني.

(٢) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل-٦٠٣٥-٨/ ١٣).

(٣) رواه الترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في حسن الخلق-٢٠٠٢-٤/ ٣٦٢)، وقال: "حديثٌ حسنٌ صحيحٌ".

(٤) رواه الترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في حسن الخلق-٢٠١٦-٤/ ٣٦٩)، =

٤- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(١).

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «**الفَمُ وَالفَرْجُ**»(٢).

٦- عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا خَفِيفَتَانِ عَلَى الظَّهْرِ وَأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ غَيْرِهِمَا؟ قال: بلى يا رسول اللهِ قَالَ: عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الْخَلائِقُ بِمِثْلِهِمَا»(٣).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**»(٤).

=

وقال: "حديثٌ حسنٌ صحيحٌ".

(١) رواه أبو داود (كتاب الأدب-بابٌ في حسن الخلق-٤٧٩٨-٤/ ٢٥٢).

(٢) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-٩٠٩٦-١٥/ ٤٧)، والترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في حسن الخلق-٢٠٠٤-٤/ ٣٦٣)، وقال: "حديثٌ صحيحٌ غريبٌ"، وابن ماجه (كتاب الزهد-باب ذكر الذنوب-٤٢٤٦-٢/ ١٤١٨).

(٣) رواه البزار (مسند أبي حمزة أنس بن مالك-٧٠٠١-١٣/ ٣٥٩)، وأبو يعلى (ثابت البناني عن أنس-٣٢٩٨-٦/ ٥٣)، وقال محققه: "إسناده ضعيف"، والطبراني في الأوسط (٧١٠٣-٧/ ١٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (فصلٌ في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، وترك الخوض فيه-٤٥٩١-٧/ ٢٠).

(٤) رواه أحمد (مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-٢٥٢٥٩-٤٢-١٥٣)، وصححه

=

فحسن الخلق فيه خير الدنيا والآخرة، فاللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنها سيئها إلا أنت.

۞

=

الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥١٩-٤٨).

الفصل الثاني

صلاح البال بالتفاؤل

دعا الشرع الحنيف إلى الفأل ونهى عن التشاؤم والتطير، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**» **قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ:** «**الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**»(١).

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب التفاؤل، ويكره التشاؤم:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ**»(٢).

وفي رواية: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»(٣).

وفي رواية: «**لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (كتاب الطب-باب الطيرة-٥٧٥٤-٧/ ١٣٥)، ومسلم (كتاب الآداب-باب الطيرة والفأل، وما يكون فيه من الشؤم-٢٢٢٣-٤/ ١٧٤٥).

(٢) رواه البخاري (كتاب الطب-باب الفأل-٥٧٥٦-٧/ ١٣٥).

(٣)رواه البخاري (كتاب الطب-باب لا عدوى-٥٧٧٦-٧/ ١٣٩)، ومسلم (كتاب السلام-باب الطيرة والفأل، وما يكون فيه من الشؤم-٢٢٢٤-٤/ ١٧٤٦).

(٤) رواه مسلم (كتاب السلام-باب الطيرة والفأل، وما يكون فيه من الشؤم-٢٢٢٤-٤/ ١٧٤٦).

الفأل قد فسره النبي ﷺ بأنه الكلمة الطيبة، والكلمة الحسنة كما في الحديث السابق، وقد كان النبي ﷺ يعجبه الفأل «**ويعجبني الفأل**»؛ وذلك لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها، وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات، يكون ذلك من باب حسن الظن بالله تعالى، فحقيقة الفأل أنه حسن ظنٍّ بالله تعالى، كأن يريد الإنسان سفرًا أو تجارة مثلاً فيسمع من يقول: يا غانم أو يا رابح، فتقع هذه الكلمة في قلبه فيزداد بها سروره ويتفاءل بها، وهذه الكلمة التي سمعها ليست هي التي دفعته للمضي فيما أراد من الأصل، بل هو عازم أولًا على الفعل لكن لما سمع هذه الكلمة ازداد تفاؤله وحسن ظنه بربه جل وعلا، فالتفاؤل يشرح الصدر ويؤنس العبد ويذهب الضيق الذي يوجبه الشيطان ويسببه في قلب العبد، فكان التفاؤل بذلك حسنًا، والنفوس مفطورة على حب سماع الكلمة الطيبة عند عزيمتها على الفعل ليزداد بذلك فرحها وسرورها وحسن ظنها بربها جل وعلا، ولذلك قال ﷺ: «**وأحسنها الفأل**».

ولذلك لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا، وَالْعَاقِبَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (كتاب الشروط- بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ-٢٧٣١-٣/ ١٩٣).

(٢) رواه مسلم (كتاب الرؤيا-باب رؤيا النبي ﷺ-٢٢٧٠-٤/ ١٧٧٩).

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَتَطَيَّرُ مِنَ شَيْءٍ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَرْضًا سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا، فان كان حسنا، رؤي البشر في وجهه، وان كان قبيحا رؤي ذلك في وجهه»(١).

وذكر البيهقي في السنن الكبرى سماه: بَابُ: "مَنْ سَمَّى الْمَرْأَةَ قَارُورَةً، وَالْفَرَسَ بَحْرًا عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ، أَوْ سَمَّى الْأَعْمَى بَصِيرًا عَلَى طَرِيقِ التَّفَاؤُلِ"، ثم ساق بإسناده:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ، وَنِسَاؤُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِذَا حَادٍ أَوْ سَائِقٌ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ، قَالَ: فَحَدَا الْحَادِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ، وَيْحَكَ بِالْقَوَارِيرِ**»(٢).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: فَزِعَ النَّاسُ، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ بَطِيئًا ثُمَّ خَرَجَ يَرْكُضُ وَحْدَهُ، فَرَكِبَ النَّاسُ يَرْكُضُونَ خَلْفَهُ، فَقَالَ: «**لَنْ تُرَاعُوا، إِنَّهُ لَبَحْرٌ**»(٣).

---

(١) رواه ابن حبان (كتاب الحظر والإباحة-باب الأسماء والكنى- ذِكْرُ خَبَرٍ ثَانٍ يُصَرِّحُ بِأَنَّ اسْتِعْمَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ مَا وَصَفْنَاهُ كَانَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَاؤُلِ لَا التَّطَيُّرِ-٥٨٢٧-١٣/ ١٤٢).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (كتاب الشهادات-"مَنْ سَمَّى الْمَرْأَةَ قَارُورَةً ، وَالْفَرَسَ بَحْرًا عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ ، أَوْ سَمَّى الْأَعْمَى بَصِيرًا عَلَى طَرِيقِ التَّفَاؤُلِ"-٢٠٨٤٨-١٠/ ٣٣٧)، والحديث في الصحيحين: رواه البخاري (كتاب الأدب-باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، وما يكره منه-٦١٤٩-٨/ ٣٥)، ومسلم (كتاب الفضائل-باب في رحمة النبي ﷺ بالنساء، وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن-٢٣٢٣-٤/ ١٨١١).

(٣) رواه البيهقي في الكبرى (كتاب الشهادات- مَنْ سَمَّى الْمَرْأَةَ قَارُورَةً ، وَالْفَرَسَ بَحْرًا عَلَى
=

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى الْبَصِيرِ الَّذِي فِي بَنِي وَاقِفٍ نَعُودُهُ**»، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى. كَذَا قَالَ(١).

فتأمل أخي الكريم كيف انصرف ﷺ إلى أحسن الألفاظ، وعدل عما يناقضها تفاؤلًا واستبشارًا، فصلى الله وسلم على المعلم والمؤدب الذي حثنا على مكارم الأخلاق في الأقوال والأفعال، وجميل الخلال ﷺ.

وكما حثَّ النبي ﷺ على التفاؤل، فقد حذر من التطير والتشاؤم:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ**»(٣).

=
طَرِيقِ التَّشْبِيهِ ، أَوْ سَمَّى الْأَعْمَى بَصِيرًا عَلَى طَرِيقِ التَّفَاؤُلِ"-٢٠٨٤٩-١٠/ ٣٣٧)، والحديث رواه البخاري (كتاب الأدب-باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل-٦٠٣٣-٨/ ١٣).

(١)رواه البيهقي في الكبرى (كتاب الشهادات- مَنْ سَمَّى الْمَرْأَةَ قَارُورَةً ، وَالْفَرَسَ بَحْرًا عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ ، أَوْ سَمَّى الْأَعْمَى بَصِيرًا عَلَى طَرِيقِ التَّفَاؤُلِ"-٢٠٨٥١-١٠/ ٣٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢١-٢/ ٥٢).

(٢) رواه أبو داود (كتاب الطب-بابٌ في الطيرة-٣٩١٩-٤/ ١٨)، والبيهقي في الكبرى (كتاب القسامة-باب العيافة والطيرة والطرق-١٦٥٢١-٨/ ٢٤٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩٩-١/ ٢٩)،

(٣) رواه البخاري (كتاب الطب-باب لا هامة-٥٧٥٧-٧/ ١٣٥)، ومسلم (كتاب السلام-
=

وعلى الرغم من نهي النبي ﷺ فإننا نجد بعض المسلمين يتشاءمون ببعض الأشخاص، والشهور، والأيام، كشهر شوال، وصفر، ويوم الأربعاء، سيما الأخيرة من شهر صفر، حيث لا يتزوجون فيه، ولا يسافرون، ولا يفرعون عملًا فيه، خاصةً في آخر أربعاء منه، إلى غير ذلك من هذا الخرفات التي تقدح في عقيدة المرء.

قَالَ النَّوَوِيُّ: "الْفَأْلُ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا يَسُوءُ وَفِيمَا يَسُرُّ وَأَكْثَرُهُ فِي السُّرُورِ وَالطِّيَرَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الشُّؤْمِ وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ مَجَازًا فِي السُّرُورِ"(١).

قال ابن حجرٍ: "وَكَأَنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ وَأَمَّا الشَّرْعُ فَخَصَّ الطِّيَرَةَ بِمَا يَسُوءُ وَالْفَأْلُ بِمَا يَسُرُّ وَمِنْ شَرْطِهِ أَنْ لَا يُقْصَدَ إِلَيْهِ فَيصير من الطَّيَرَة"(٢).

قال ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الفرق بين الفأل والطّيرة أنّ الفألَ من طريق حسن الظّنّ بالله، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كرهت»(٣).

قال ابن حجر: "قال الحليميّ: "كان النّبيّ ﷺ يعجبه الفأل؛ لأنّ التّشاؤم سوء ظنّ بالله تعالى بغير سبب محقّق. والتّفاؤل حسن ظنّ به، والمؤمن مأمور بحسن الظّنّ بالله تعالى على كلّ حال.

=

باب لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر-٢٢٢٠-٤/ ١٧٤٣).

(١) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٥)، وانظر: علم الأخلاق الإسلامية (صـ٩٠) مقداد يالجن محمد علي، ط/ دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

(٣) ذكره ابن حجرٍ في الفتح (١٠/ ٢١٥).

وقال الطّيبيّ: معنى التّرخّص في الفأل والمنع من الطّيرة هو أنّ الشّخص لو رأى شيئا فظنّه حسنًا محرّضًا على طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه بضدّ ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضيّ فهو الطّيرة الّتي اختصّت بأن تستعمل في الشّؤم، والله أعلم"(١).

من فوائد التفاؤل:

١- حسن الظّنّ بالله تعالى.

٢- يجلب السّعادة إلى النّفس والقلب.

٣- ترويح للمؤمن وسرور له.

٤- في الفأل تقوية للعزائم، ومعونة على الظّفر، وباعث على الجدّ.

٤- في التّفاؤل اقتداءٌ بالسّنّة المطهّرة، وأخذ بالأسوة الحسنة حيث كان المصطفى ﷺ يتفاءل في حروبه وغزواته.

❊

(١) فتح الباري (١٠/ ٢١٥).

الفصل الثالث

صلاح البال بالاشتغال وقت الفراغ بعملٍ صالحٍ، أو علمٍ نافع

من أسباب السعادة: الاشتغال بعملٍ من الأعمال الصالحة، أو علمٍ من العلوم النافعة.

وهو من أعظم الأسباب التي تدفع القلق الناشئ عن توتر الأعصاب، واشتغال القلب من المكدرات، فإن الاشتغال بهذه الأعمال دينيةً كانت أم دنيويةً تُلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه، وربما ينسى تلك الأسباب التي أوجبت له الهم والغم، ففرحت نفسه وازداد نشاطه، وهذا السبب مشترك بين المؤمن وغيره، ولكن المؤمن يمتاز بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلمه أو يعلمه، ويعمل الخير الذي يعلمه إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان شغلًا دنيويا وعادة دنيوية أصحبها النية الصالحة، وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله، فذلك أثره الفعال في دفع الهموم والغموم والأحزان، فكم من إنسان ابتلي بالقلق وملازمة الأكدار فأحلت به الأمراض المتنوعة فصار دواؤه الناجع نسيانه السبب الذي أكدره وأقلقه، واشتغاله بعمل من مهماته، وينبغي أن يكون الشغل الذي يشتغل فيه مما تأنس به النفس وتشتاقه، فإن هذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع.

أخي القارئ الكريم اشغل وقتك بما ينفعك في أمور دينك ودنياك، ولا تجعل لك وقت فراغ، بل ينبغي أن يكون وقتك كله مشغولًا، إما بصلاةٍ، أو

صيامٍ، أو قراءةٍ للقرآن، أو اتباعِ جنازةٍ، أو عيادة مريضٍ، أو صلة رحمٍ، أو إصلاحٍ بين متخاصمين، أو حضورٍ لمحاضرةٍ أو درسٍ مفيدٍ، أو حضور لمنتدياتٍ فكريةٍ واجتماعيةٍ نافعةٍ، أو بلهوٍ ولعبٍ بريءٍ مباحٍ، أو غيرها من الأمور التي تعود بالنفع عليك في دينك وقلبك وفكرك وجسدك، كل ذلك يعين على راحة البال وطمأنينة القلب وانشراح الصدر، ويدفع القلق والهم والغم[١].

❊

(١)الإيمانُ والعملُ الصالحُ سَببُ النَّجاحِ والفلاحِ (صـ٦٧) جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.

الفصل الرابع

صلاح البال بشكر ذي الجلال ﷻ

قال تعالي: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ والشكر هو الاعتراف بالنعمة، والثناء علي الله بها، والإنفاق منها في سبيله.

أما الزيادة من الله تعالي فهي واسعة: زيادة في النعمة، وزيادة التوفيق في شكرها، وزيادة الحياة الطيبة بها من صلاح البال، وسكينة النفس وطمأنينة القلب، والرضى والقناعة مع الإيمان بالقدر، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

أما كفر النعمة فعذاب الله شديد في الدنيا والآخرة، ومن أمثلة عذاب الدنيا ما يلي:

* الحرمان من الحياة الطيبة، وإحلال المعيشة الضنك محلها.

* ذهاب النعمة أو حشوها بالأنكاد والمنغصات.

* محق البركة فيها فلا تستعمل في شيء إلا كان وبالًا عليه، فتتسلط عليه امرأته ويصير ولده عدوًّا له، أو يضيع بالمخدرات والعلاقات النسائية وغير ذلك، أو يقع في خلطة محترفي الإجرام والنصب، ثم يتسلطون عليه، ويذيقونه من القهر والذل ألوانًا تنتهي به إلي حياة السجون، وآلاف الأنواع من العذاب

التي نراها في دنيا البخلاء الذين يكنزون الذهب والفضة والأموال، ولا ينفقونها في سبيل الله.

ولذلك حثنا نبينا ﷺ على الشكر في أحاديث كثيرةٍ، **منها ما يلي:**

١-عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١).

٢-عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٢).

٣-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»(٣).

٤-عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا

---

(١) رواه أحمد (حديث معاذ بن جبل-٢٢١١٩-٣٦/ ٤٢٩)، وأبو داود (كتاب الصلاة-بابٌ في الاستغفار-١٥٢٢-٢/ ٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩٢/ ١٣٢٠).

(٢) رواه مسلم (كتاب الزهد والرقائق-باب المؤمن أمره كله خير-٢٩٩٩-٤/ ٢٢٩٥).

(٣) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-٧٥٠٤-١٢/ ٤٧٢)، وأبو داود (كتاب الأدب-بابٌ في شكر المعروف-٤٨١١-٤/ ٢٥٥)، والترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك-١٩٤٥-٣٣٩)، وقال: "هذا حديثٌ صحيحٌ"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٤١-٢/ ١١١٤).

تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»(١).

٥-عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ «**إِذَا جَاءَهُ أَمْرُ سُرُورٍ أَوْ بُشِّرَ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ**»(٢).

❍ من فوائد الشكر:

١- من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ إنّه نصف والنّصف الآخر الصبر.

٢- اعتراف بالمنعم والنعمة.

٣- سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد.

٤- لا يكون باللّسان فقط بل اللّسان يعبّر عمّا في الجنان وكذلك يكون بعمل الجوارح والأركان.

٥- كثرة النّعم من المنعم لا يمكن أن يؤدّي الإنسان حقّها إلّا بالشّكر عليها.

٦- يكسب رضا الرّبّ ومحبّته.

٧- الإنسان الشّكور قريب من النّاس حبيب إليهم.

---

(١) رواه البخاري (كتاب تفسير القرآن-بَابُ ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح: ٢]-٤٨٣٧-٦/ ١٣٥)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار-٢٨٢٠-٤/ ٢١٧٢).

(٢) رواه أبو داود (كتاب الجهاد-بابٌ في سجود الشكر-٢٧٧٤-٣/ ٨٩)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها-باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر-١٣٩٤-١/ ٤٤٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠١-٢/ ٨٥٨).

٨- فيه دليل على سموّ النّفس ووفور العقل.

٩- الشّكور قرير العين، يحبّ الخير للآخرين ولا يحسد من كان في نعمة.

١٠- شكر النعم يجلب صلاح البال.[١]

❊

(١) موسوعة نضرة النعيم (٦/ ٢٤١٩).

الفصل الخامس

صلاح البال بالجهاد، والنصر على الأعداء

كان من دعاء نبينا محمدٍ ﷺ: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**»(١).

فقوله: «**وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ**»: أي: وانصرني على من ظلمني وتعدّى عليَّ، وهذا تخصيص بعد العموم في قوله أولاً: «**وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ**»، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «دعاء عادل، لا دعاء معتدٍ، يقول: انصرني على عدوّي مطلقًا»، وهو يدلّ على أهمية النصرة، والظفر على من اعتدى وبغى بغير حقّ؛ لما في ذلك من سرور القلب، وطمأنينة النفس، وراحة

---

(١) رواه أحمد (مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب-١٩٩٧-٣/ ٤٥٢)، وأبو داود (كتاب الصلاة-باب ما يقول الرجل إذا سلَّم-١٥١٠-٢/ ٨٣)، والترمذي (أبواب الدعوات-بابٌ-٣٥٥١-٥/ ٥٥٤)، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ"، وابن ماجه (كتاب الدعاء-باب دعاء رسول الله ﷺ-٣٨٣٠-٢/ ١٢٥٩)، وفيه: "قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيُّ: قُلْتُ لِوَكِيعٍ: أَقُولُهُ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥-١/ ٦٥٦).

البال من وقاية الأعداء، والثقة بقدرة الله تعالى ونصره.

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ**»(١).

قال المناوي: «عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ» بقصد إعلاء كلمة الله «فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ» أي سببٌ من الأسباب الموصلة إليها، وإطلاق الباب على مثل ذلك سائغٌ شائعٌ كما بينه الراغب، «يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ» من صدور المؤمنين"(٢).

وليُعلم أيها القارئ الكريم أن جهاد النفس والهوى من أعظم أنواع الجهاد:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾(٣).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: "أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ الْهَوَى".

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "أَعَزُّ الْعِزِّ الِامْتِنَاعُ مِنْ مِلْكِ الْهَوَى".

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: "خَيْرُ النَّاسِ مَنْ أَخْرَجَ الشَّهْوَةَ مِنْ قَلْبِهِ، وَعَصَى هَوَاهُ

---

(١) رواه أحمد (حديث عبادة بن الصامت-٢٢٧١٩-٣٧/ ٣٩٢)، والحاكم (كتاب الجهاد-٢٤٠٤-٢/ ٨٤)، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، والبيهقي في الكبرى (كتاب السير-باب أصل فرض الجهاد-١٧٧٩٩-٩/ ٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٦٣-٢/ ٧٥٠).

(٢) فيض القدير (٤/ ٣٣٩).

(٣)[النازعات: ٤٠-٤١].

فِي طَاعَةِ رَبِّهِ".

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: "مَنْ أَمَاتَ شَهْوَتَهُ، فَقَدْ أَحْيَا مُرُوءَتَهُ".

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: "رَكَّبَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ عَقْلٍ بِلَا شَهْوَةٍ، وَرَكَّبَ الْبَهَائِمَ مِنْ شَهْوَةٍ بِلَا عَقْلٍ، وَرَكَّبَ ابْنَ آدَمَ مِنْ كِلَيْهِمَا؛ فَمَنْ غَلَّبَ عَقْلَهُ عَلَى شَهْوَتِهِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَلَى عَقْلِهِ فَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ".

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: "مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ، وَأَحْرَاهُمْ بِالظَّفَرِ فِي مُجَاهَدَتِهِ؟ قَالَ: مَنْ جَاهَدَ الْهَوَى طَاعَةً لِرَبِّهِ، وَاحْتَرَسَ فِي مُجَاهَدَتِهِ مِنْ وُرُودِ خَوَاطِرِ الْهَوَى عَلَى قَلْبِهِ".

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ:

قَدْ يُدْرِكُ الْحَازِمُ ذُو الرَّأْيِ الْمُنَى   بِطَاعَةِ الْحَزْمِ وَعِصْيَانِ الْهَوَى[١]

فمن جاهد نفسه وهواه فاز برضا مولاه، وسعِد في دنياه وأخراه، وأصلح الله باله، وحقق له مناه، فاللهم أعنا على أنفسنا، ولا تكلنا إليها طرفة عينٍ برحمتك يا أرحم الراحمين.

✾

(١) أدب الدنيا والدين (صـ٣٢) للماوردي.

الفصل السادس

صلاح البال بالبر

قال الله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾:

البر اسمٌ جامعٌ للخير، ويأتي بمعنى الإحسان إلى الوالدين والأقربين، كما يأتي بمعنى الصلة، وهو في استعمال الشرع: كلمة جامعة لكل أصناف الخير، ويُراد منه ما هو زائد عن حدود التقوى، فهو مرتبةٌ فوق التقوى، ودون مرتبة الإحسان.

والرجل البارُّ رجل وفِيٌّ عطوفٌ مُخلِص في محبَّته، ويظهر أثر برِّه في تعامله مع والديه، وأقاربه، وجيرانه، وضيوفه، ومعارفه، ومعارف والديه، وأيتام المسلمين. ويتميز سلوك البارّ بالمداومة على الصلة؛ بالزيارة وبشاشة الوجه، والاستمرار في بذل المعروف، والإنفاق على الأرحام والمعارف، والإيثار على النفس، وهذا ما يجعله ينعم بصلاح البال.

وقد فسر رسول الله ﷺ البر بكونه يجمع محاسن الأخلاق، فَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**»(١) أي:

---

(١) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب تفسير البر والإثم-٢٥٥٣-٤/ ١٩٨٠).

التخلُّق بالأخلاق الحسنة مع الخلق والخالق، والمراد هنا المعروف، وهو طلاقة الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى، وأنه يحب للناس ما يحب لنفسه.

وقد جعل رسول الله ﷺ البرَّ هو فعل الطاعات، وجعله في مقابل الإثم الذي هو في فعل المعاصي والسيئات، وذلك في نصوصٍ عديدةٍ، مفسَّرة مرة باطمئنان النفس إلى الحلال الطيب، الذي لا شبهة فيه فقال: «**الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**»(١)، وفي رواية: «البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب»(٢).

ووصف ابن حجر النفس البارَّة بأنها: المطمئنة الموهوبة نورًا، يُفرِّق بين الحق والباطل، والصدق والكذب.

ولأن درجة البرِّ من أعلى الدرجات، فلا يصل إليها المسلم إلا بعد مجاهدة للنفس، وإيثار للآخرة على علائق الدنيا وزينتها، ولذلك قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾(٣)، حتى لا يكون للقلوب تعلُّق إلا بما عند الله، ولتخلص النفوس لبارئها، وعندئذٍ يعلو مقامها عند الله.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ: «يَا

---

(١) رواه أحمد (حديث وابصة بن معبد الأسدي-١٨٠٠٤-٢٩/ ٥٣٢)، وضعفه الشيخ أحمد شاكر، والدارمي (كتاب البيوع-باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك-٢٥٧٥-٣/ ١٦٤٩)،

(٢) رواه أحمد (حديث أبي ثعلبة الخشني-١٧٧٤٢-٢٩/ ٢٧٩).

(٣) [آل عمران:٩٢].

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ اللهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾(١)»(٢).

فالبَرُّ تقيٌّ كريمٌ على الله، ومن كان كريمًا على الله كان كريمًا على عباده الصالحين والعقلاء، ولذلك يقول بعض الحكماء: لا تصادق عاقًّا فإنه لن يبَرَّك، وقد عقَّ من هو أوجب حقًّا منك عليه.

ومن أوجب البر الإحسان إلى الأقرب فالأقرب، وليس أقرب من الوالدين، وقد أمرنا بالإحسان إليهما، وبمصاحبتهما بالمعروف، وبشكرهما، وبالصبر عليهما، وعدم التضجر منهما، وبالتواضع لهما، وحسن الحديث معهما، والدعاء لهما، وهذا ما سنتناوله في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

❀ ❁ ❀

(١)[الحجرات: ١٣].
(٢) رواه الترمذي (أبواب تفسير القرآن-بابٌ ومن سورة الحجرات-٣٢٧٠-٥/ ٣٨٩)، وابن حبان (كتاب الحج-باب دخول مكة-باب جواز طواف المرء على راحلته-٣٨٣٨-٩/ ١٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٠٣-٦/ ٧١٩).

الفصل السابع

صلاح البال ببر الوالدين

اهْتَمَّ الإِسْلاَمُ بِالْوَالِدَيْنِ اهْتِمَامًا بَالِغًا، وَجَعَلَ طَاعَتَهُمَا وَالْبِرَّ بِهِمَا مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ، وَنَهَى عَنْ عُقُوقِهِمَا وَشَدَّدَ فِي ذَلِكَ غَايَةَ التَّشْدِيدِ.

كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾(١)، فَقَدْ أَمَرَ سُبْحَانَهُ بِعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَجَعَلَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ مَقْرُونًا بِذَلِكَ، وَالْقَضَاءُ هُنَا: بِمَعْنَى الأَمْرِ وَالإِلْزَامِ وَالْوُجُوبِ.

كَمَا قَرَنَ شُكْرَهُمَا بِشُكْرِهِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢) فَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الإِيمَانِ، وَلِلْوَالِدَيْنِ عَلَى نِعْمَةِ التَّرْبِيَةِ.

وَقَال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَقَدْ شَكَرَ اللهَ تَعَالَى، وَمَنْ دَعَا لِوَالِدَيْهِ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ فَقَدْ شَكَرَهُمَا.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَال أَحَبُّ إِلَى اللهِ

---

(١) [سورة الإسراء/ ٢٣،٢٤].

(٢) [سورة لقمان:١٤].

ﷺ؟ قَال: «**الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا**» قَال: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَال: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**» قَال: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَال: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي(١).

فَأَخْبرَ ﷺ أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَل الأَعْمَال بَعْدَ الصَّلاَةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ دَعَائِمِ الإِسْلاَمِ.

وَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْجِهَادِ؛ لِأَنَّ بِرَّهُمَا فَرْض عَيْنٍ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهِ، وَلاَ يَنُوبُ عَنْهُ فِيهِ غَيْرُهُ. فَقَدْ قَال رَجُلٌ لاِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَغْزُوَ الرُّومَ، وَإِنَّ أَبَوَيَّ مَنَعَانِي. فَقَال: «**أَطِعْ أَبَوَيْكَ، فَإِنَّ الرُّومَ سَتَجِدُ مَنْ يَغْزُوهَا غَيْرَكَ**»(٢).

وَالْجِهَادُ فِي سَبِيل اللهِ فَرْض كِفَايَةٍ إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْض سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ فَرْض عَيْنٍ، وَفَرْض الْعَيْنِ أَقْوَى مِنْ فَرْضِ الْكِفَايَةِ.

فمن أراد صلاح البال فعليه ببر والديه سيجني ثمرة بره في نفسه وحاله واستقراره وطمأنينته، وفي أولاه فيورثهم البر، إذا أردنا من أولادنا أن يبرونا، فهذا يتطلب منا المسارعة إلى بر الوالدين، كما نصح بذلك رسول الله ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ، تَعِفَّ**

(١) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب قول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت:٨]-٥٩٧٠-٨/ ٢)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال-٨٥-١/ ٨٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (كتاب الجهاد-الرجل يغزو ووالداه حيان، أله ذلك؟-٣٣٤٥٩-٦/ ٥١٧)، والمروزي في البر والصلة (٧١-صـ٣٦)، تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، ط/ دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

نِسَاؤُكُمْ، وَبَرُّوا آبَاءَكُمْ، تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ»(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ**»(٢).

والطريق السليم أيها القارئ الكريم لتقويم الطفل، وسلوكه سلوك الأبرار، وسيره بشكل سوي سير الأخيار، هو أن نعدِّل من سلوكنا نحن الكبار، وأن نغير من علاقتنا مع والدينا، نحو: البر، والطاعة، والابتعاد عن العقوق بشتى ألوانه وصوره، لذلك حال الوالدين جرى إلى الأبناء بالشعور، وبلا شعور، وهي سنَّةٌ إلهيةٌ كما أخبر النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبِرُّ لَا يَبْلَى، وَالْإِثْمُ لَا يُنْسَى، وَالدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ**»(٣).

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «اعْبُدُوا اللهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَعَدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلًا يَكْفِيكُمْ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى»(٤).

ثم إن بر الوالدين مما أقرته الفطر السوية، واتفقت عليه الشرائع السماوية، وهو خلق الأنبياء، ودأب الصالحين.

---

(١) رواه الحاكم (كتاب البر والصلة-٧٢٥٨-٤/ ١٧٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٧١٥-١/ ٥٤٤).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (من اسمه أحمد-١٠٠٢-١/ ٢٩٩)، ورواه أيضًا عن جابرٍ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٢٩-٣٤٣).

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١٣٢-١/ ١٩٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٥٧٦-٤/ ٧٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (كتاب الزهد-كلام أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-٣٤٥٨٠-٧/ ١١٠)،

كما أنه دليل على صدق الإيمان، وكرم النفس، وحسن الوفاء.

وبر الوالدين من محاسن الشريعة الإسلامية؛ ذلك أنه اعتراف بالجميل، وحفظ للفضل، وعنوان على كمال الشريعة، وإحاطتها بكافة الحقوق.

بخلاف الشرائع الأرضية التي لا تعرف للوالدين فضلا، ولا ترعى لهما حقا، بل إنها تتنكر لهما، وتزري بهما.

وها هو العالم الغربي بتقدمه التكنولوجي شاهد على ذلك؛ فكأن الأم في تلك الأنظمة آلة إذا انتهت مدة صلاحيتها ضرب بها وجه الثرى.

وقصارى ما تفتقت عنه أذهانهم من صور البر أن ابتدعوا عيدا سنويا سموه: (عيد الأم) .

حيث يقدم الأبناء والبنات في ذلك اليوم إلى أمهاتهم طاقات الورد معبرين لهن عن الحب والبر.

هذا منتهى ما توصلوا إليه من البر، يوم في السنة لا غير! أين الرعاية؟ أو أين الترحم؟ أو أين الوفاء؟ !

لا علم لهم بتلك المعاني الشريفة الفاضلة، ولا حظ لها عندهم.

أما حق الوالدين في الإسلام فقد مر بك شيء منه، وليس ذلك فحسب، بل إن الإسلام نهى عن العقوق، وحذر منه أشد التحذير، فهو كبيرة من الكبائر، وهو قرين للشرك(١).

---

(١)عقوق الوالدين: أسبابه - مظاهره - سبل العلاج (صـ٣-٥) محمد بن إبراهيم بن أحمد =

فالواجب على كل مسلم ومسلمة العناية ببر الوالدين، والإحسان إليهما، ولا سيما عند الكبر والحاجة إلى العطف والبر والخدمة، مع الحذر كل الحذر من عقوقهما والإساءة إليهما بقول أو عمل.

نسأل الله ﷻ أن يرحم من مات من آبائنا وأمهاتنا، وأن يبارك في أعمار الأحياء منهم، وأن يجعلنا ﷻ من البارّين بآبائنا وأمهاتنا أحياءً وأمواتًا، وأن يُصلح بالنا ببرنا بآبائنا وأمهاتنا إنه بكل جميلٍ كفيلٌ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❀ ❁ ❀

=

الحمد، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

الفصل الثامن
صلاح البال بصلاح الأبناء

من الأسباب الجالبة لصلاح البال صلاح الأبناء، فإن السعيد الذي يُصلح الله ﷻ له أولاده، فإن صلاح الأبناء غايةُ الـمُنى، ودعاءُ الصالحين، وقرةُ عين عباد الرحمن، فينبغي للآباء أن يحرصوا كل الحرص على صلاح أبنائهم، وأن يدعوا لهم دائمًا وأبدًا بالصلاح في الدين والدنيا؛ فإن دعوة الآباء لأبنائهم مستجابةٌ بفضل الله عز وجل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»(١).

وقد كان من عادة الأنبياء والصالحين الدعاء لذرياتهم، فقد قال إبراهيم الخليل ﵇: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ ﴾(٢).

---

(١) رواه أحمد (مسند أبي هريرة ﵁-٧٥١٠-١٢/ ٤٧٩)، وأبو داود (كتاب الصلاة-باب الدعاء بظهر الغيب-١٥٣٦-٢/ ٨٩)، والترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في دعوة الوالدين-١٩٠٥-٤/ ٣١٤)، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ"، وابن ماجه (كتاب الدعاء-باب دعوة الوالد، ودعوة المظلوم-٣٨٦٢-٢/ ١٢٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣١-١/ ٥٨٢).

(٢) [البقرة:١٢٨].

وبيَّن سبحانه ما ينبغي أن يكون عليه حال الوالد من الدعاء لذريته، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ ﴾(١).

قال الألوسي: "أي اجعل الصلاح ساريًا في ذريتي راسخًا فيهم"(٢).

عن شَقِيقٌ قَالَ: كَان عَبد اللهِ يُكثر أنْ يَدعُو بِهؤلاءِ الدَّعواتِ ربنَّا أَصلح بَيننَا واهدِنَا سَبيلَ الإسلامِ ونَجِّنا مِن الظُلَمَات إِلَى النُور، واصرِف عَنَّا الفَواحِشَ مَا ظَهر مِنها ومَا بَطن وبَارك لَنا فِي أَسماعِنا وأَبصارِنا وقُلوبِنا وأَزواجِنا وذُرياتِنا، وتُب عَلينا إنَّك أَنت التَّوابُ الرَّحِيم، واجعَلنا شَاكِرين لِنعمَتِك مُثنِينَ بِها قَائِلين بِها وأتممهَا عَلينا(٣).

إن من نعمة الله على عبده المؤمن أن يرزقه أبناءً صالحين يكونون قرة عينٍ له في الدنيا: قرة عينٍ في صغره، وقرة عينٍ في كبره، وذخرًا له بعد وفاته، وقرة عينٍ في الآخرة، كما حكى الله عن أوليائه وأصفيائه إذ يقولون: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾.

قال ابن كثير: "يَعْنِي: الَّذِينَ يَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ مَنْ يُطِيعُهُ وَيَعْبُدُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

---

(١)[الأحقاف:١٥].

(٢) تفسير الألوسي=روح المعاني (١٣/ ١٧٦).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (بابٌ-٦٣٠-صـ٢٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنُونَ مَنْ يَعْمَلُ بِالطَّاعَةِ، فتقرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ صَبَاحَةً وَلَا جَمَالًا وَلَكِنْ أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا مُطِيعِينَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ -وَسُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ -فَقَالَ: أَنْ يُرِي اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ مِنْ زَوجَتِهِ، وَمِنْ أَخِيهِ، وَمِنْ حَمِيمِهِ طَاعَةَ اللهِ. لَا وَاللهِ مَا شَيْءٌ أَقَرَّ لِعَيْنِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَنْ يَرَى وَلَدًا، أَوْ وَلَدَ وَلَدٍ، أَوْ أَخَا، أَوْ حَمِيمًا مُطِيعًا لِلَّهِ عَجَّلَ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ قَالَ: يَعْبُدُونَكَ وَيَحْسُنُونَ عِبَادَتَكَ، وَلَا يَجُرُّونَ عَلَيْنَا الْجَرَائِرَ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: يَعْنِي: يَسْأَلُونَ اللهَ لِأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ"[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾[٣] أَيْ: سَاوَيْنَا بَيْنَ الْكُلِّ فِي الْمَنْزِلَةِ، لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ، وَمَا نَقَصْنَا

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٢).

(٢) رواه مسلم (كتاب الهبات-باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته-١٦٣١-٣/ ١٢٥٥).

(٣)[الطُّور:٢١].

الْعَالِيَ حَتَّى يُسَاوِيَ الدَّانِيَ، بَلْ رَفَعْنَا النَّاقِصَ فِي الْعَمَلِ، فَسَاوَيْنَاهُ بِكَثِيرِ العمل، تفضلا منا ومنة.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ سَأَلَ عَنْ أَبِيهِ وَابْنِهِ وَأَخِيهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا طَبَقَتَكَ فِي الْعَمَلِ فَيَقُولُ: إِنِّي إِنَّمَا عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ. فَيُلْحَقُونَ بِهِ فِي الدَّرَجَةِ، ثُمَّ تَلَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾(١).

وقال ابن كثير: "يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وَامْتِنَانِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ وَإِحْسَانِهِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ فِي الْإِيمَانِ يُلحقهم بِآبَائِهِمْ فِي الْمَنْزِلَةِ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوا عَمَلَهُمْ، لِتَقَرَّ أَعْيُنُ الْآبَاءِ بِالْأَبْنَاءِ عِنْدَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَيَجْمَعُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، بِأَنْ يَرْفَعَ النَّاقِصَ الْعَمَلِ، بِكَامِلِ الْعَمَلِ، وَلَا يَنْقُصَ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِهِ وَمَنْزِلَتِهِ، لِلتَّسَاوِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَاكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾.

قَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّة، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٣١).

(٢) رواه الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء مرفوعًا (سعيد بن جبير-آثاره في =

وَقَالَ العَوْفِي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَقُولُ: وَالَّذِينَ أَدْرَكَ ذُرِّيَّتَهُمُ الْإِيمَانُ فَعَمِلُوا بِطَاعَتِي، أَلْحَقْتُهُمْ بِإِيمَانِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْلَادُهُمُ الصِّغَارُ تَلْحَقُ بِهِمْ.

وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ ذَاكَ مُفَسَّرٌ أَصْرَحَ مِنْ هَذَا، وَهَكَذَا يَقُولُ الشَّعْبِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَإِبْرَاهِيمُ، وقَتَادَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ. وَقَدْ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ:

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَمَدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ زَاذَانَ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: سألتْ خَدِيجَةُ النَّبِيَّ ﷺ، عَنْ وَلَدَيْنِ مَاتَا لَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمَا فِي النَّارِ**». فَلَمَّا رَأَى الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهَا قَالَ: «**لَوْ رَأَيْتِ مَكَانَهُمَا لَأَبْغَضْتِهِمَا**». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَوَلَدِي مِنْكَ. قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ». قَالَ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَأَوْلَادَهُمْ فِي النَّارِ**». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(١).

هَذَا فَضْلُهُ تَعَالَى عَلَى الْأَبْنَاءِ بِبَرَكَةِ عَمَلِ الْآبَاءِ، وَأَمَّا فَضْلُهُ عَلَى الْآبَاءِ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ الأبناء، فقد قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ:

حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُود، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ**

= التفسير-٤/ ٣٠٢)، وقال: "غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عَمْرٍو وَسَعِيدٍ تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ".

(١) رواه أحمد (مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-١١٣١-٢/ ٣٤٩)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٧٩١-١٢/ ٦٤١).

لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»(١).

إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَلَهُ شَاهِدٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»"(٢).

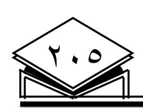
فنسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن يصلح أبنائها، وأن يجعلهم قرة عينٍ لنا في الدنيا والآخرة، وأن يصلح بالنا بصلاحهم، إن ربي على شيءٍ قدير، وهو بكل جميلٍ كفيل.

❊

---

(١) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رضي الله عنه-١٠٦١١-١٦/ ٣٥٧)، وابن ماجه (كتاب الأدب- باب بر الوالدين-٣٦٦٠-٢/ ١٢٠٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٩٨- ٤/ ١٢٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٣-٤٣٤)، والحديث سبق تخريجه.



الفصل التاسع

صلاح البال بصلاح البيت

صلاح البيت يكون باستقامة أهله على شرع الله ﷻ، فاذا استقام أهل البيت على شرع الله ﷻ أصلح الله بالهم، وشرح صدرهم.

فعلى المسلم أن يجتهد فيما يصلح دنياه، كما يجتهد في صلاح دينه، وصلاح أهل بيته، فأهل البيت لهم حقٌّ كبير عليه، بأن يجتهد في إصلاحهم وتوجيههم إلى الخير؛ لقول الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾(١).

فعلى المسلم أن يجتهد في إصلاح بيته: بإصلاح أهل بيته، وهم زوجته وأولاده الذكور والإناث، وإخوانه، فجميع أهل البيت يجتهد في تعليمهم وتوجيههم وإرشادهم، وتحذيرهم مما حرم الله؛ لأنه مسئولٌ عنهم بين يدي الله ﷻ يوم القيامة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا،**

(١) [التحريم:٦].

وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

فعلينا أن نجتهد في صلاحهم من جهة الإخلاص لله في جميع الأعمال، والصدق في متابعة رسول الله ﷺ، والإيمان به، ومن جهة الصلاة وغيرها مما أمر الله به سبحانه، ومن جهة البعد عن محارم الله.

فعلى كل واحد من الرجال والنساء النصح في أداء ما يجب عليه، فالمرأة عليها أن تجتهد والرجل كذلك؛ إذ صلاح البيوت من أهم الأمور، قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾، وقال سبحانه عن نبيه إسماعيل: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾.

فينبغي التأسي بالأنبياء والأخيار، والعناية بأهل البيت، وعدم الغفلة عنهم، ليطمئن المرء على بيته، وأهل بيته فيهنأ براحة البال، اللهم أصلح بيوتنا، وأصلح بالنا يا جواد يا كريم.

❊

(١) رواه البخاري (كتابٌ في الاستقراض، وأداء الديون، والحجر، والتفليس-٢٤٠٩-٣/ ١٢٠)، ومسلم (كتاب الإمارة-باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم-١٨٢٩-٣/ ١٤٥٩).

الفصل العاشر

علاقة صلاح البال بالعمل الصالح

وعد الله ﷻ الذين يعملون الصالحات بتكفير السيئات، وصلاح البال، والحياة الطيبة، والجزاء الحسن، والجزاء الحسن للمؤمن في الدنيا أن يرزقه الله الطمأنينة وصلاح البال، وطيب الحياة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(٢).

وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(٣) فمن آمن بالله وأقبل عليه بالعمل الصالح كانت له في الدنيا الحياة الطيبة والسعادة الحقيقية كما قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(٤).

قال ابن القيم: "وَفُسِّرَتِ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنَ

---

(١)[محمد:٢].

(٢)[النحل:٩٧].

(٣)[الرعد:٢٨].

(٤)[طه:١٢٣-١٢٤].

الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ، وَالْآيَةُ تَتَنَاوَلُ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ نَكِرَةً فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، فَإِنَّ عُمُومَهَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ رَتَّبَ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِهِ، فَالْمُعْرِضُ عَنْهُ لَهُ مِنْ ضَنْكِ الْمَعِيشَةِ بِحَسَبِ إِعْرَاضِهِ، وَإِنْ تَنَعَّمَ فِي الدُّنْيَا بِأَصْنَافِ النِّعَمِ، فَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْوَحْشَةِ وَالذُّلِّ وَالْحَسَرَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ الْقُلُوبَ، وَالْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ وَالْعَذَابِ الْحَاضِرِ مَا فِيهِ، وَإِنَّمَا يُوَارِيهِ عَنْهُ سَكَرَاتُ الشَّهَوَاتِ وَالْعِشْقِ وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، وَإِنْ لَمْ يَنْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ سُكْرُ الْخَمْرِ، فَسُكْرُ هَذِهِ الْأُمُورِ أَعْظَمُ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ، فَإِنَّهُ يَفِيقُ صَاحِبُهُ وَيَصْحُو، وَسُكْرُ الْهَوَى وَحُبِّ الدُّنْيَا لَا يَصْحُو صَاحِبُهُ إِلَّا إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ فِي عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ، فَالْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ لَازِمَةٌ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ فِي دُنْيَاهُ وَفِي الْبَرْزَخِ وَيَوْمَ مَعَادِهِ، وَلَا تَقَرُّ الْعَيْنُ، وَلَا يَهْدَأُ الْقَلْبُ، وَلَا تَطْمَئِنُّ النَّفْسُ إِلَّا بِإِلَهِهَا وَمَعْبُودِهَا الَّذِي هُوَ حَقٌّ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ، وَاللهُ تَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

فَضَمِنَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَزَاءَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَالْحُسْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَهُمْ أَطْيَبُ الْحَيَاتَيْنِ، فَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدَّارَيْنِ.

وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ

---

(١)[سُورَةُ النَّحْلِ: ٩٧].

وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾(١).

وَنَظِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾(٢).

وقال جلَّ شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

جعلنا الله من المستقيمين على شرعه، وأن يعننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يصلح بالنا، ويحسن ختامنا إن ربي سميع الدعاء.

❊

(١)[سُورَةُ النَّحْلِ: ٣٠].
(٢)[سُورَةُ هُودٍ: ٣].

الفصل الحادي عشر

صلاح البال بالمودة والرحمة بين الزوجين

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(١).

يلاحظ أن كتاب الله أتبع خلق الإنسان بخلق الزوجة، لأن بها يتم الأنس وينتظم العيش ويزدهر العمران، فهل أحدٌ غير الله يستطيع أن يجعل من الزوج والزوجة، رغم اختلاف طبيعة تكوينهما العضوي والنفسي والعاطفي، شخصيةً واحدةً متكاملةً، في ازدواجها سر وحدتها، وهذا المعنى هو الذي يوحي به قوله تعالى هنا في تأكيد الوحدة والألفة بين الزوج والزوجة: ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾، على غرار قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾، ويوحي به قوله تعالى أيضا في التعريف بسر الزوجية الدفين، حيث يصبح الفرد زوجا، والزوج فردا، عندما يقول: ﴿ لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾، و﴿ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ طمأنينة القلب، وراحة البال، ومفتاح السعادة، كما يوحي به قوله تعالى هنا في تحديد نوع العلاقة العاطفية بين الزوج والزوجة: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، و﴿ٱلْمَوَدَّةَ﴾ شعورٌ هادئٌ نبيلٌ، متسمٌ بالعمق والصدق والدوام، لا شعور سطحي ثائر وعابر، كالهشيم تذروه الرياح، و﴿ ٱلرَّحْمَةً ﴾ هي العروة الوثقى التي تربط

(١) [الروم:٢١].

بين الزوجين بعضهما مع بعض، وتربط بينهما، وبين من له عليهما أو لهما عليه حقٌ من الحقوق: حقوق الأبوة، وحقوق البنوة، فبالرحمة المتبادلة والتعاطف المزدوج يشتد التلاحم، لمواجهة الشدائد والملمات، ويسهل تخطي العقبات، والتغلب على الأزمات.

ونظرًا لما يتوقف عليه استيعاب هذه المعاني الرئيسية التي تنبني عليها الحياة الزوجية، من تأملٍ وتدبيرٍ وتعمقٍ، جاء التعقيب عليها بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

فالزواج في الخلق آيةٌ، وهو من الله نعمةٌ، ويفتح أبواب الرزق، ويحفظ الله به نصف الدين، وعقده ميثاقٌ غليظٌ، وهو يحفظ الشرف، ويمنع ابتذال الجنس، ويحقق المصالح لكل من الرجل والمرأة من غض البصر، وتحصين الفرج، وسرور النفس، وراحة البال، وحفظ الصحة، ووجود الذرية.

إن الرجل يريد استحسان الناس له، واعترافًا بقدره وقيمته، ويتعطش إلى أن يكون ذا شأنٍ في دنياه الصغيرة، ويرغب في أن يكون أصدقاؤه ومعارفه وزوجته مسرفين في تقديرهم له، مبذرين في مديحهم إياه، فليمنح زوجته ما يحب أن يُمنحه، فَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٢).

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير (٥/ ٢٩) محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان-بابٌ من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه-١٣- ١/ ١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير-٤٥-١/ ٦٧).

خاصة إذا أراد أن يحظى براحة البال في حياته الزوجية؛ وليس عليه أن يعَيَّن (دبلوماسيًا) لكي يستخدم هذا المبدأ، بل إنه يستطيع أن يفعل به فعل السحر في كل يوم مع زوجته، فعبارات مثل: (هل تسمحي أن تأتيني بكذا..) أو (هل من الممكن أن تفعلي كذا..) و(آسف لإزعاجك) و(شكرًا لك)، وغيرها من العبارات تفعل فعل السحر في نفس الزوجة، وتقطر الزيت في عجلة الحياة اليومية التي تدور متشابهة في سأم وملل.

وكذلك فليمدح مثلاً الطريقة التي تدبر بها زوجته المنزل، وليمدح طبخها، فقد كان أبناء الطبقة الراقية في عهد القيصرية الروسية إذا استحسنوا طعامًا أصروا على أن يؤتى بالطاهي أمامهم ليسبغوا عليه شكرهم وتقديرهم! أفليست الزوجة أحق بالشكر والتقدير من طاهٍ روسي؟!

وكذلك فليجاهر الرجل بتقدير الملابس والهندام الذي أرهقت زوجته نفسها في إحكامه لتروق في نظره، فالمرأة تبذل جهدًا كبيرًا في سبيل ظهورها المظهر الذي يروق لزوجها.

ولا يتحول من السخط إلى التقدير، من الانتقاد إلى المدح فجأة ودون تمهيد، بل يحضر لها الليلة شيئًا من الزهور أو الحلوى، وأفضل من هذا أن يحضر لها كذلك ابتسامةً مشرقةً، وبعض العبارات المخلصة.

كلُّ رجلٍ يستطيع أن يغري امرأته على أن تفعل من أجله أيَّ شيءٍ لو أنه أهداها بين الفينة والفينة شيئًا من الهدايا التي لا تكلف مالاً يُذكر مكافأةً لها على حسن تدبيرها للبيت، أو إجادة طهوها لطعامه.

وكلُّ رجلٍ يستطيع أن يجعل زوجته لا ترضى أن تستبدل ثوبها بأحدث

مبتكرات (الموضة) لو أنه يقول لها: (كم يبدو جمالك رائعًا وضاءًا في هذا الثوب)؛ فكيف بالله يتكاسل الرجل عن بذل الجهود في سبيل هنائه العائلي؟ وكيف يعزف عن الكفاح من أجل السعادة في الزواج، وهو يركب الصعب، ويخوض الأهوال في سبيل أن يكسب بعض المال؟! فأيهما أجلب للسعادة: أكداس من المال، أم حياة زوجية قائمة على الوفاق والوئام؟!

فعلى الزوج أن يهتم بهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا ولا يهمله بحجة زوال الكلفة بينه وبين زوجته، أو لأنهما قد أنجبا البنين والبنات، أو لأنهما كبرا في السن، أو لأنه قد أمَّن لزوجته كل وسائل الرفاهية ورغد العيش.

إن كلمات الحب والعطف والحنان والشكر والتقدير عند المرأة أغلى من الذهب والمجوهرات، والملابس والسيارات، وكل ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات؛ لأن هذه الأشياء غذاءٌ ومتعةٌ للجسم، وتلك الكلمات غذاءٌ للروح، وفرحةٌ للقلب.

ولا شك أن الرجل حين يفعل ذلك فإنه يتقي النار، وينال الأجر من الله ﷻ فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(١)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب طيب الكلام-٦٠٢٣-٨/ ١١)، ومسلم (كتاب الزكاة-الزكاة-باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجابٌ من النار-١٠١٦-٢/ ٧٠٤).

(٢) رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير-باب من أخذ بالركاب ونحوه-٢٩٨٩-٤/ ٥٦)، =

قال ابن بطال: "الكلام الطيب مندوبٌ إليه، وهو من جليل أفعال البر؛ لأن النبي ﷺ جعله كالصدقة بالمال، ووجه تشبيهه ﷺ الكلمة الطيبة بالصدقة بالمال هو أن الصدقة بالمال تحيا بها نفس المتصدق عليه ويفرح بها، والكلمة الطيبة يفرح بها المؤمن، ويحسن موقعها من قلبه، فاشتبها من هذه الجهة، ألا ترى أنها تذهب الشحناء، وتجلى السخيمة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] والدفع بالتي هي أحسن قد يكون بالقول كما يكون بالفعل"[2].

نسأل الله ﷻ أن يملأ بيوتنا مودةً وسكينةً ورحمة، وأن يجعلها أسعد البيوت وأهناها، وأن يؤلف بين الأزواج، وأن يمنع عنهم الخلاف والشقاق، وأن يُصلح بالنا بالحُب والوفاق، سبحانه الملك الرحيم الخلاق ﷻ.

❀ ❁ ❀

= و(كتاب الأدب-باب طيب الكلام-٨/ ١١)، ومسلم (كتاب الزكاة-باب بيان أن اسم الصدقة يقع على نوعٍ من المعروف-١٠٠٩-٢/ ٦٩٩).

(١) [فصلت:٣٤].

(٢) شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٢٥).

الفصل الثاني عشر
صلاح البال في العفاف

وعد الله تبارك وتعالى أهل العفة والحافظين فروجهم بالجنة والخلود فيها ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾(١).

وقد سأل هرقل أبا سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ»(٢).

وكان من دعاء نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**»(٣).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ**

---

(١)[المؤمنون:٥-١١].

(٢) رواه البخاري (باب بدء الوحي-٧-١/ ٨)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير-باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام-١٧٧٣-٣/ ١٣٩٣).

(٣) رواه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار-باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل-٢٧٢١-٤/ ٢٠٨٧).

لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»[١].

فحين تعف نفسك عن الحرام وتحفظ جوارحك ينطبق عليك وعد الله تبارك وتعالى، ووعد المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى باستحقاق الجنة وضمانها، فهل لديك مطلب أغلى من الجنة ؟!

اسأل العالم الذي يقضي وقته في العلم والتعليم، اسأل العابد الذي ينصب في عبادة ربه، اسأل المجاهد الذي يرخص نفسه في سبيل الله، اسأل الذي يضحي بنفسه لإحقاق الحق وإبطال الباطل، اسأل الداعية الذي يواصل سهر الليل بكدّ النهار، ويقيمه همّ الدعوة ويقعده، اسأل هؤلاء جميعًا لم يصنعون ذلك؟ سيجيبونك بإجابة واحدة (نريد الجنة) إنها مطلب السائرين إلى الله ﷻ مهما تنوعت بهم السبل.

كما أن العفاف طريقٌ لتذليل الصعاب، وتفريج الكروب، وإزاحة العقبات كما في حديث الغار، وفيه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا»**.

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق-باب حفظ اللسان-٦٤٧٤-٨/ ١٠٠).

فتأمل أخي القارئ كيف فرَّج الله عنه وعن أخويه كربًا عظيمًا كاد أن يصل بهم إلى الموت، لما توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة فتقرب أولهم ببره بأبويه، وتقرب الثاني بالعفاف عن الحرام، وتقرب الثالث بالأمانة وأداء الحقوق إلى أصحابها.

فمن عفَّ عن الحرام فرَّج الله كربه، ويسَّر أمره، وأراح قلبه.

والمرء الذي يسير وراء شهوته المحرمة يعاني عذابًا، وجحيمًا لا يطاق، أما من يعف نفسه فيعيش طمأنينةً، وراحة بالٍ، إن الهمَّ الذي يشغله ليس الهم الذي يشغل سائر الناس، والتفكير الذي يسيطر عليه ليس التفكير الذي يسيطر على سائر الناس، ولا عجب في ذلك، فالله تبارك وتعالى هو الذي خلق الإنسان، وهو أعلم به، وخلقه لعبادته وطاعته، ومن ثَمَّ فلن يعيش الحياة السوية المستقرة ما لم يستقم على طاعة الله تبارك وتعالى، فالسيارة التي صنعت لتسير في الطرق المعبدة يصعب أن تسير في غيرها، والقطار الذي صنع ليسير على القضبان حين ينحرف عن مساره لا يستطيع المسير. وهكذا الإنسان فهو إنما خلق لعبادة الله وطاعته، فإذا انحرف عن هذا الطريق اضطربت حياته، وعانى من المشكلات، ولذا فأهل الكفر والإلحاد أقل الناس استقرارًا وطمأنينة، وكلما اقترب العبد من الإيمان والطاعة ازداد استقرارًا وطمأنينة[1].

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا العفة والعفاف، وأن يجعلنا من الذين هم لفروجهم حافظون.

---

(١) كيف تواجه الشهوة: محمد عبد الله الدرويش.

الفصل الثالث عشر
صلاح البال بالإحسان إلى الجيران

لقد اهتم الشرع الحنيف بالجار اهتمامًا عظيما؛ قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾(١).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(٢).

إن الإحسان إلى الجار وإكرامه أمر مطلوب شرعًا، وللجار على جاره حقٌّ عظيم في الأديان كلها والشرائع والأوضاع كافة.

ولكن للأسف الشديد كثيرٌ من الناس اليوم لا يعرف جاره، ولا يسأل عنه، أو يتفقد أحواله، وبعضهم لا يهتمون بحق الجوار، ولا يأمن جيرانُهم من شرورهم، فتراهم دائمًا في نزاعٍ معهم، وشقاقٍ، واعتداءٍ على الحقوق، والنصوص في بيان إكرام الجار وحفظ حقوقه كثيرة، والترهيب من أذى الجار وفيرة.

---

(١)[النساء: ٣٦].

(٢) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب الوصاة بالجار-٦٠١٥-٨/ ١٠)، ومسلم عن عائشة وابن عمر (كتاب البر والصلة والآداب-باب الوصية بالجار والإحسان إليه-٢٦٢٤-٢٦٢٥-٤/ ٢٠٢٥).

الجارُ: القريب منك في المنزل له منزلة وحق، سواء كان الجوار علوي أو سفلي، أو جانبي، ويشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب وابن البلد، والنافع والضار، والقريب والأجنبي، والأقرب دارًا والأبعد.

وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام إن كان مسلمًا، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويهنئه بالفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع من السطح على عوراته، ولا يضايقه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له عن عوراته، وينعشه من صرعته إذا نابته، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ويتلطف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه(١).

عن أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**حَقُّ المسلِمِ عَلَى المسلِمِ سِتٌّ"، قِيلَ: مَا هُن يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: "إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلم عَلَيهِ، وَإِذا دَعَاكَ فَأَجِبهُ، وَإِذا استنصَحَكَ فَانصَح لَهُ، وَإِذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتهُ، وَإِذَا مَرِضَ فعُدهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعه**»(٢).

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالوا: يا رسول الله ما حَقُّ الجار على الجار؟ قال: "إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن مَرِضَ عُدتَهُ، وإن احتاج

---

(١) موسوعة الأخلاق (صـ٣٧٢) خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، ط/ مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

(٢) رواه مسلم (كتاب الآداب-باب من حق المسلم للمسلم رد السلام-٢١٦٢-٤/ ١٧٠٥).

أعطيته، وإن افتقر عُدتَ عليه، وإن أصابه خير هَنَّيْتَهُ، وإن أصابته مصيبة عَزَّيته، وإذا مات اتَّبَعْتَ جنازتَهُ، ولا تستطيل عليه بالبناء، فَتَحْجُب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذيه بريح قِدْرِك، إلا أن تَغْرِف له، وإن اشتريت فاكهةً، فأهد له، وإن لم تَفْعَل فأدخلها سِرًّا، ولا تُخْرِج بها ولدك؛ لِيُغِيظ بها ولده"(١). والحديث ضعيفٌ، لكن معانيه حسانٌ، فتأمله، واعمل به.

وليعلم القارئ الكريم أن الجار القريب أولى بالمعروف من الجار البعيد، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**»(٢).

أَيْ: من كان باب داره قريبًا من باب دارك فهو شريكك، فإذا دخلت دارك وفي يدك شيء فهو يراك لأنه قريب منك، أما البعيد فلا يرى، وقد تدخل مستخفيًا، ولكن بعدما تصعد رائحة الأكل فيشمه الجار القريب فسيحتاج، فالنبي ﷺ يعلمك أن القريب أولى بالمعروف(٣).

وليعلم الأخ الكريم كذلك أن خير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**»(٤).

---

(١) ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب البر والصلة وغيرهما-١٥٣٤-٢/ ٨٤) للألباني.

(٢) رواه البخاري (كتاب الشفعة-بابٌ أي الجوار أقرب-٢٢٥٩-٣/ ٨٨).

(٣) شرح رياض الصالحين (١٣/ ١٢) للشيخ الطبيب أحمد حُطيبة (دروسٌ صوتية).

(٤) رواه أحمد (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-٦٥٦٦-١١/ ١٢٦)، والترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في حق الجوار-١٩٤٤-٤/ ٣٣٣)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ
=

فمن فضائل الأعمال تفقد الجيران والإحسان إليهم والوصاية بهم خيرًا، وتفريج كرباتهم إذا احتاجوا إلى مساعدة الإنسان أو الوقوف معهم، وبذلك وصى رسول الله ﷺ من الصحابة ما وصاه: «إذا طبخ المرق أن يكثر منه حتى يتعهد منه الجيران»، فالإحسان إلى الناس خاصة من كان قريبًا من الإنسان كجيرانه يحسن إليهم، ولا يسيء، ويكرمهم ولا يهين، ولا يرون منه إلا الخير، ولا يذكرهم إلا بخير، إن رأى منه سراء شكر لله ﷻ أن وفقه للجار الصالح، وإن رأى ضراء صبر واحتسب الأجر عند الله[1].

فمن أحسن إلى جاره، وأكرمه، ولم يؤذه أكرمه الله بصلاح البال، اللهم اجعلنا خير الجيران لجيراننا، وأصلح بالنا، وحسِّن ختامنا يا أرحم الراحمين.

❊

= حَسَنٌ غَرِيبٌ"، والدارمي (كتاب السير-بابٌ في حسن الصحبة-٢٤٨١-٣/ ١٥٨٣)، والبخاري في الأدب المفرد (باب خير الجيران-١١٥-صـ٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٠-١/ ٦٢٠).

(١) شرح الترمذي للشنقيطي (٥٩/ ٣٢).

الفصل الرابع عشر

صلاح البال بصلة الأرحام

اعلم- رعاك الله- أيها العاقل الودود أن خِلال المكارم كثيرة، وشُعب الإيمان متعددة، وإن من أحسن هذه الخلال صلة الأرحام، والإحسان إليهم وصلتهم في المقال والفعال، وبذل الأموال.

قال الله ذو الجلال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(١).

ولا يخفى على كل ذي لُبٍّ أن المتغيرات الاجتماعية في ظل المتغيرات الحياتية، ووسائل الاتصال الحديثة نتج عنها بعض التغيير على الكيان الأسري من ضعف التواصل، وقلة الاجتماع، وكثرة القطيعة، مع ضعف الوازع الديني، وإذا استمر هذا التصدع في الأسرة أوشك أن يؤثر ذلك في التماسك الاجتماعي، وعندما ضعف الترابط الأسري كثرت الجرائم، وزادت المشكلات، وارتفعت نسب الطلاق، وأُقيمت القضايا في المحاكم، وبهذا قلَّ التواصل بين الأرحام، وكثرت القطيعة حتى غدت ظاهرة التفكك الأسري ظاهرة العصر، وزادت نسب العقوق في الناس لأقرب الناس، فهناك آباء يعقون الأبناء، وأبناء يعقون

(١)[النساء: ١].

الآباء، وإذا كان هذا عند أقرب النَّاس فما بالنا بباقي الأرحام وذوي القربى.

ولـمَّا كانت صلةُ الرحمِ من الأهمية بمكان، فرضها الله في جميع الأديان السماوية السابقة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾(١).

وتُعتبرُ صلة الرحم من الواجبات التي أخل بها كثيرٌ من الناس، والتي بتركها تتقطع أواصر الأسر، وتتسع دائرة القطيعة، وتنحلُّ بها قوى المجتمع حتى توارثها بعض الأبناء عن الآباء.

وليتنبه القاطع بما عليه من خطر عاقبة قطيعة الرحم، قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾(٢).

وليهنأ الواصلون لأرحامهم بالثواب الجزيل، والأجر الكبير من الله الجليل، قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ ﴾(٣).

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**وَأَهْلُ**

---

(١)[البقرة: ٨٣].

(٢)[محمد: ٢٣].

(٣)[الرعد:٢١-٢٢].

الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»(١).

قال الإمام الصنعاني:

"قيل: هي الرحم التي يحرم النكاح بينهما، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا حرم على الآخر، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في النكاح لما يؤدي إليه من التقاطع.

وقيل: من كان متصلًا بميراث، ويدل عليه قوله ﷺ: "ثم أدناك أدناك".

وقيل: هو من كان بينه وبين الآخر قرابة، سواء كان يرثه أو لا".

قلت: والأخير هو الراجح عند العلماء، وتطلق الرحم على الأقارب وهم كل من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لا.

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، وهم المعنيون بقول الله سبحانه وتعالى في [سورة الأنفال: ٧٥، والأحزاب/ ٦]: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ ﴾.

وأقربهم: الآباء والأمهات والأجداد والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم

---

(١) رواه مسلم (كتاب الجنة، وصفة نعيمها، وأهلها-باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار-٢٨٦٥-٤/ ٢١٩٧).

الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم، ف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**»(١).

أمَّا أقارب الزوجة: فليسوا أرحامًا لزوجها إذا لم يكونوا من قرابته، ولكنهم أرحامٌ لأولاده منها، وبالله التوفيق"(٢).

قال الشوكاني: في قول النبي ﷺ: «**وَأَحَقُّ مَا يُكْرَمُ عَلَيْهِ الرَّجُلُ ابْنَتُهُ وَأُخْتُهُ**»: "فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ صِلَةِ أَقَارِبِ الزَّوْجَةِ وَإِكْرَامِهِمْ وَالْإِحْسَانِ إلَيْهِمْ وَأَنَّ ذَلِكَ حَلَالٌ لَهُمْ وَلَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الرُّسُومِ الْمُحَرَّمَةِ إلَّا أَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْ التَّزْوِيجِ إلَّا بِهِ"(٣).

قال القاضي عياض: "ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة على الجملة، وقطعها كبيرة. والأحاديث في هذا الباب من منعه الجنة يشهد لذلك، ولكن الصلة درجات، بعضها فوق بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها ولو بالسلام كما قال -عليه الصلاة والسلام- وهذا بحكم القدرة على الصلة وحاجتها إليها، فمنها ما يتعين ويلزم، ومنها ما يستحب ويرغب فيه، وليس من لم يبلغ أقصى الصلة يسمى قاطعًا، ولا من قصر عما ينبغي له ويقدر عليه يسمى واصلًا"(٤).

---

(١) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب بر الوالدين وأنهما احق به-٢٥٤٨- ٤/ ١٩٧٤)،

(٢) موسوعة الأخلاق (صـ٣٥٣) للخراز.

(٣) نيل الأوطار (٦/ ٢٠٧).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٠).

اعلم -علمني الله وإياك- أن الصلة تختلف من شخص لآخر، وهي درجات بعضها أرفع من بعض كما تقدم ذكره، وقد أجمَلَ القول ابن أبي جمرة، فقال: "تكون صلة الرحم بالمال، وبالعون على الحاجة، وبدفع الضرر، وبطلاقة الوجه، وبالدعاء، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارًا أو فجّارًا، فمقاطعتهم في الله هي صلتهم بشرط بذل الجهد في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى"(١).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**»(٢).

قال المناوي: «صلة الرحم» أي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول إليه، فتارة يكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة، «وحسن الخلق وحسن الجوار» بكسر الجيم وضمها «يعمرن الديار» أي البلاد، «ويزدن في الأعمار» كناية عن البركة في العمر بالتوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه في آخرته أو الزيادة بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، قال ابن الكمال: في تخصيص حسن الجوار بالذكر من جملة ما ينتظمه حسن الخلق نوع

---

(١) فتح الباري
(٢) رواه أحمد (مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-٢٥٢٥٩-٤٢/ ١٥٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (صلة الرحم-٧٥٩٩-١٠/ ٣٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٦٧-٢/ ٧٠٣).

تفضيل له على سائر أفراده، والظاهر من سياق الكلام أن ذلك الفضل من جهة قوة التأثير في الأمرين المذكورين، وينبغي للبليغ أن يراعي هذه القاعدة في مواقع التخصيص بعد التعميم"(١).

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ لِلْجِوَارِ حَقًّا وَرَاءَ مَا يَقْتَضِيهِ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَفِي الْحَدِيثِ «الْجَارُ الْمُسْلِمُ ذُو الرَّحِمِ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الرَّحِمِ وَالْجَارُ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقَّانِ الْجِوَارُ وَالْإِسْلَامُ وَالذِّمِّيُّ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ حَقُّ الْجِوَارِ فَقَطْ».

وَلَيْسَ حَقُّ الْجَارِ كَفَّ الْأَذَى فَقَطْ بَلْ احْتِمَالُ الْأَذَى بَلْ لَا بُدَّ مِنْ الرِّفْقِ وَإِسْدَاءِ طَلَبِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ.

يُقَالُ الْجَارُ الْفَقِيرُ يَتَعَلَّقُ بِجَارِهِ الْغَنِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَقُولُ يَا رَبِّ سَلْ هَذَا لِمَ مَنَعَنِي مَعْرُوفَهُ وَسَدَّ بَابَهُ دُونِي".

ولصلة الرحم قيمةٌ كبيرةٌ، وفضلٌ عظيمٌ عند الله، **وفوائد جمّة، ومن ذلك:**

١-سبب في صلة الله للواصل، وقطيعته للقاطع.

٢-سبب في سعة الرزق وبركة العمر، وعمران الديار.

٣-سبب في قبول العمل، ودخول الجنة.

٤-سبب في أن الصدقة عليها صدقة وصلة.

٥-علامة من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر.

---

(١) فيض القدير (٤/ ١٩٥).

٦-سبب في حفظ حرمة الواصل، وهيبته، وكرامته.

٧-سبب في راحة البال، وطمأنينة القلب.

٨-سبب في الدعاء بالخير بظهر الغيب.

٩-سبب في الحماية من ميتة السوء.

١٠- سبب في تكفير الخطايا، ومحو الذنوب.

١١- سبب في الظفر بأعلى الدرجات في الجنة، وهكذا.

ومن غفل عن هذه الفضائل، وتلك القيمة، فإنه يتورط لا محالة في قطيعة الرحم، لأن من جهل شيئًا عاداه، كما قال الله ﷻ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾(١).

❍ آداب صلة الرحم:

والعاقل من عمل بآداب وضوابط صلة الرحم، وهي:

١ - أن تستشعر أنَّ أرحامك أولى الناس ببرك ومعروفك وخيرك وعطفك وتوجيهك؛ قال تعالى: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾(٢).

٢ - الصبر على أذاهم، وسعة الصدر معهم.

٣ - رحمة صغيرهم، وتوقير كبيرهم.

---

(١) [يونس:٣٩].

(٢)[الأنفال: ٧٥].

٤ - الابتداء بالسلام، والبشاشة عند اللقاء.

٥ - الإصلاح بين المتخاصمين، وتجنب التقاطع.

٦ - قبول أعذارهم، ونسيان عيوبهم، فهذا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يقبل اعتذار إخوانه كما في سورة يوسف.

ومن جميل ما قيل في نسيان عيوب الأقرباء قول الشاعر:

وحَسبُكَ من ذلٍّ وسوءِ صنيعةٍ مناواةُ في القربى وإن قيل: قاطعُ

ولكنْ أواسيه وأنسى عيوبَه لِتُرجِعَهُ يومًا إليَّ الرواجعُ

ولا يستوي في الحكم عبدان واصل وعبدٌ لأرحام القرابةِ قاطعُ

٧ - على المرأة التزام الحجاب وعدم إظهار الزينة؛ كما في الآية: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

٨ - عدم دخول البيوت إلا باستئذان.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟

---

(١)[النور: ٣١].

وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾(١).

٩ - الفرح بإطعام القريب والتصدق عليه إن كان مسكينًا.

قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾(٢).

١٠ - تقديم النصيحة لمن يحتاجها منهم وقبولها منهم.

١١ - كتم أسرار الأهل والمجالس بالأمانة.

١٢ - قبول هداياهم.

١٣ - نصرتهم وعدم خذلانهم، والستر عليهم.

١٤ - زيارتهم على الدوام، وبالأخص زيارة مريضهم وتشييع ميتهم.

١٥ - عدم الخلوة بغير المحارم كبنات العم والعمة والخال والخالة.

١٦ - عدم مصافحة غير المحارم.

---

(١)[النور: ٢٧].
(٢)[النور: ٦١].

١٧ - تجنب الخلطة المحرمة[١].

نسأل الله ﷻ بمنه وكرمه أن يجعلنا من الواصلين لأرحامهم، وأن يُصلح بالنا بصلتنا لأرحامنا، وأن يؤلف بين المسلمين أجمعين، إن ربي على ما يشاء قدير.

❊

(١) موسوعة الأخلاق (٣٦٢) للخراز.

الفصل الخامس عشر

صلاح البال بتحقيق السعادة

إن راحة الضمير وطمأنينته، وهدوء البال وصفاء النفس، وسرور القلب وزوال همومه وغمومه، هو المطلب الأعلى والهدف الأسمى الذي يسعى إليه كل واحد في هذه الحياة، فالناس كلهم ينشدون السعادة، ويرومون الخير والفلاح، ويرجون التوفيق في جميع أمورهم والنجاح.

لذلك بذلوا في الحصول على هذه الغاية أسبابًا متعددة، ووسائل مختلفة؛ ولكن زلَّت في هذا المطلب أقدامٌ، وذلَّت من أجله أفهامٌ، وكثرت بسببه الخواطر والأوهام، حتى ظن كثيرٌ من الناس لغفلة قلوبهم، وضعف عقولهم، وسطحية تفكيرهم، أن قمة السعادة والفلاح في الحصول على حظوظ الدنيا العاجلة، وشهواتها الفانية، ومنتهى آمالهم، وقصارى أمانيهم، الحصول على الأموال الوافرة والمساكن الفارهة، والمراكب الوفيرة، والترفع والجاه والشهرة، والتمتع بالملذات، والتفنن بالمشتهيات.

ومن الناس من توهم أن السعادة والفوز والفلاح، تكمن في السبق في مجالات التقدم المادي، والأخذ بأسباب التحضر العصري؛ فأفنوا كل أوقاتهم وأنهكوا جميع قواهم في السعي وراء هذه الأمور، ظنًا منهم أنهم بإدراكهم لها يدركون مقومات السعادة، وأسباب التقدم والصلاح، وزعموا أن هذه الأشياء الضالة المنشودة في تحقيق الفلاح، وجلب الخير، وحصول القوة والعزة، وتوفر

الطمأنينة والأمان، ولقد توهموا في ذلك، وضلوا عن سواء السبيل؛ فهذه الملذات والشهوات، متاع الحياة الدنيا ويعقبها الحساب والعقاب، وقد كانت سببًا في هلاك أممٍ سالفة، وقرونٍ ماضية، وشقاءِ وبؤسِ أممٍ حاضرة، وفئامٍ معاصرةٍ أنهكها القلق النفسي والتوتر العصبي، والخواء الروحي؛ فلم يجدوا طريقـًا للخلاص من هذه الحياة التعيسة إلا الدمار والانتحار، وصدق الله ﷻ: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾(١).

إن العبد السعيد أيها القارئ الكريم هو الذي إذا أصبح وأمسى ليس له همٌّ إلا الله وحده، وتحقيق توحيده، وإخلاص العبادة له ﷻ، والسير على هدي سيد الأنبياء محمد ﷺ، الذي أرسله ربه ﷻ لإسعاد البشرية: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(٢)

إذا كان كذلك تحمّل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وحقيقتها ومدارها في طاعة الله، والاعتصام بدينه، والرجوع إلى هدي النبي ﷺ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ: «**أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَمَرَنِي أَنْ لا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا، وَأَمَرَنِي أَنْ**

---

(١)[طه:١٢٣-١٢٤]، وانظر: الإيمانُ والعملُ الصالحُ سَببُ النَّجاحِ والفلاحِ (صـ٧٤) علي بن نايف الشحود.

(٢) [التوبة:١٢٨].

أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»(١).

وقد ذكر الإمام بن القيم: أن لسعادة العبد ثلاثة مقومات:

قال ابن القيم: "الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجو الإجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر.

فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه، ولا ينفك عبد عنها أبدًا"(٢).

قال سفيان الثوري: "ما بقي لي من نعيم الدنيا إلا ثلاث:

١ـ أخ ثقة في الله أكتسب من صحبته خيرا إن رآني زائغا قومني أو مستقيما رغبني.

٢ـ ورزق واسع حلال ليست لله عليّ فيه تبعة ولا لمخلوق عليّ فيه منه.

٣ـ وصلاة في جماعة أكفى سهوها وأرزق أجرها"(٣).

---

(١) رواه أحمد (مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه-٢١٤١٥-٣٥/ ٣٢٧)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان-باب صلة الرحم وقطعها-ذكر وصية المصطفى ﷺ بصلة الرحم ولو قطعت-٤٤٩-٢/ ١٩٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٦٦-٥/ ١٩٩).

(٢) الوابل الصيب (صـ٥).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (صـ١٩٩) لابن عبد البر.

ومن الأمور التي يستجلب بها المرء السعادة ما يلي:

١ـ العمل الصالح: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾(١).

٢ـ الزوجة التقية وفي الحديث: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ، مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ**»(٢).

وَعَنْ سعد بن أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، والجار الصالح، والمركب الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السوء، وَالْمَسْكَنُ الضيق، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ**»(٣).

٣ـ المسكن الفسيح، أو المركب الصالح: كما في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السابق، و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ سَمِعْتُ دُعَاءَكَ اللَّيْلَةَ، فَكَانَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيَّ مِنْهُ أَنَّكَ تَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي**» قَالَ: «**فَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ شَيْئًا**»(٤).

---

(١) [النحل:٩٧].

(٢) رواه أحمد (مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-١٤٤٥-٣/ ٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب النكاح وما يتعلق به-١٩١٤-٢/ ١٩٢).

(٣) رواه ابن حبان (كتاب النكاح-ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا-٤٠٣٢-٩/ ٣٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٢-١/ ٥٧١).

(٤) رواه الترمذي (أبواب الدعوات-بابٌ-٣٥٠٠-٥/ ٥٢٧)، وقال: "وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ"، =

٤ـ المركب الهنيء، كما في حديث سعد بن أبي وقاص ﵁ السابق.

٥ـ الكسب الطيب: قال رسول الله ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا**»(١).

٦ـ حسن الخلق والتودد للناس: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾(٢).

ثمرات السعادة:

١ـ تمنح الإنسان قبولًا ذاتيا وراحة نفسية.

٢ـ تساعد الإنسان على أهدافه السامية بدلًا من انشغاله بالتوافه.

٣ـ تعطي الإنسان فرصةً بأن يكون مبدعًا مخترعًا.

٤ـ ترسم البسمة على الوجه، وتدخل السرور على القلب.

٥ـ تربي الأولاد على الحياة الإيجابية، وحب الله ورسوله ﷺ.

٦ـ الإقبال على الله، والإنابة إليه، وامتلاء القلب من محبته.

٧ـ تضفي على المجتمع الفرحة، والطمأنينة، وراحة البال.

=
وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٥-١/ ٢٧١)، وضعفه في ضعيف سنن الترمذي، وقال: "ضعيف، لكن الدعاء حسن" (٨٢-١/ ٤٥٤).

(١) رواه مسلم (كتاب الزكاة-باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها-١٠١٥-٢/ ٧٠٣).

(٢) [مريم:٣١].

❍ **كيف يسير العبد إلى تحصيل السعادة؟ بأمورٍ منها:**

١ـ الإيمان بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا ورسولًا.

٢ـ معرفة أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

٣ـ تحقيق الأهداف الإيجابية سبيلٌ إلى السعادة.

٤ـ اطلب السعادة من نفسك لا من حولك.

٥ـ اعرف قدر نعم الله عليك التي تستمتع بها في كل وقتٍ وحين.

٦ـ تأمل جمال الطبيعة، ولا تنزعج بالأكدار.

٧ـ ابحث عن السعادة للآخرين.

٨ـ لا تحتفظ بالذكريات التعيسة والأيام الأليمة.

٩ـ افحص ماضيك وحاضرك، واستفد من تجارب الآخرين.

١٠ـ لا تتشاءم، ولا تيأس، وأحسن الظن بالله.

١١ـ طور أهدافك، وتخلص من القلق النفسي.

١٢ـ كن كالغيث أينما حَلّ نفع.

١٣ـ لا تنزعج بالأحلام المنامية، وعش حاضرك.

١٤ ـ الصلاة من أعظم أسباب تزكية النفس، وتقوية الإيمان، وبلوغ طريق السعادة.

وأخيرًا من اتقى ربه، وجاهد في الله حق جهاده، وزكى نفسه بطاعة مولاه،

عاش في كنف السعداء، وتلذذ بطعم الحياة، وإن لم يجد ماءً ولا كساءً.

وصدق القائل:

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد[1]

❀

(١) نقلًا عن الموسوعة العربية–موقع النجاح نت.

الفصل السادس عشر

صلاح البال بالإحسان إلى الفقراء واليتامى والمساكين

إن الإحسان إلى الفقراء واليتامى والمساكين خلقٌ كريمٌ دعا إليه ديننا الحنيف، قال جلَّ شأنه: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾(١).

قال ابن كثيرٍ: "ثُمَّ عَطَفَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ الْإِحْسَانَ إِلَى الْقَرَابَاتِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِم صَدَقَةٌ وصِلَةٌ**».

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا مَنْ يَقُومُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَمَنْ يُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، فَأَمَرَ اللهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالْحُنُوِّ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ وَهُمُ الْمَحَاوِيجُ مِنْ ذَوِي الْحَاجَاتِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَقُومُ بِكِفَايَتِهِمْ، فَأَمَرَ اللهُ بِمُسَاعَدَتِهِمْ بِمَا تَتِمُّ بِهِ كِفَايَتُهُمْ وَتَزُولُ بِهِ ضَرُورَتُهُمْ"(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ

(١) [النساء:٣٦].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٨).

قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾(١).

وقيل: الفقير: هو المحتاج الذي يسأل الناس، والمسكين: هو الذي لا يسألهم رغم حاجته(٢). وقيل غير ذلك.

قال البَدْرُ القَرافيّ: وإذا اجْتَمَعَا افْتَرَقَا، كما إذا أُوصِيَ للفُقَرَاءِ والمَساكِينِ فلا بُدَّ من الصَّرْف للنَّوْعَيْن، وإن افْتَرَقَا اجْتَمَعَا، كما إذا أُوصِيَ لأَحَدِ النَّوْعَيْن جازَ الصَّرْفُ للآخَرِ.

وَاليُتْمُ: الانفرادُ، واليَتِيم: الفَرْدُ، واليُتْمُ واليَتَمُ: فِقْدانُ الأَب.

وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: اليُتْمُ فِي النَّاسِ مِنْ قِبَل الأَب، وَفِي الْبَهَائِمِ مِنْ قِبَل الأُم، وَلَا يُقَالُ لِمَنْ فَقَد الأُمَّ مِنَ النَّاسِ يَتِيمٌ، وَلَكِنْ مُنْقَطِعٌ(٣).

قال ابن بطال: "إن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء وأكثر خشوعًا في العبادة؛ لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا".

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَى سَعْدٌ ﷺ، أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**»(٤).

---

(١) [التوبة:٦٠].

(٢)معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء (صـ٣٥٥) نزيه حماد، ط/ دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م).

(٣) لسان العرب (١٢/ ٦٤٥).

(٤) رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير–باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب–٢٨٩٦–٤/ ٣٦).

يبين لنا هذا الحديث أهمية العناية بالفقراء، وأهمية الترابط بين المسلمين، وقد قال المناوي: "أي بدعوتهم وإخلاصهم لأن عبادة الضعفاء أشد إخلاصا لخلاء قلوبهم عن التعلق بالدنيا وصفاء ضمائرهم مما يقطعهم عن الله فجعلوا همهم واحدا فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم"(١).

قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ: أَمْسَينَا مَعَ إِبْرَاهِيْمَ لَيْلَةً، لَيْسَ لَنَا مَا نَفطَرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ:

يَا ابْنَ بَشَّارٍ! مَاذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ مِنَ النَّعِيْمِ وَالرَّاحَةِ، لاَ يَسْأَلُهُم يَوْمَ القِيَامَةَ عَنْ زَكَاةٍ، وَلاَ حَجٍّ، وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلاَ صِلَةِ رَحِمٍ! لاَ تَغتمَّ، فَرِزقُ اللهِ سَيَأْتِيْكَ، نَحْنُ -وَاللهِ- المُلُوْكُ الأَغْنِيَاءُ، تعجلْنَا الرَّاحَة، لاَ نُبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ كُنَّا إِذَا أَطَعنَا اللهَ.

ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلاَتِه، وَقُمْتُ إِلَى صَلاَتِي، فَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ جَاءَ بِثَمَانِيَةِ أَرْغِفَةٍ، وَتَمْرٍ كَثِيْرٍ، فَوَضَعَهُ، فَقَالَ: كُلْ يَا مَغْمُوْمُ، فَدَخَلَ سَائِلٌ، فَأَعْطَاهُ ثَلاَثَةَ أَرغِفَةٍ مَعَ تَمْرٍ، وَأَعْطَانِي ثَلاَثَةً، وَأَكَلَ رَغِيْفَيْنِ(٢).

إن من الواجب على المسلمين العطفُ والشفقة على الأرامل والفقراء والمساكين، وكذلك العناية بالمعاقين والأيتام وفقراء العمال كالرعاة في البراري.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ**

---

(١) فيض القدير (٦/ ٣٥٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (ترجمة إبراهيم بن أدهم-٧/ ٣٩٤) للذهبي.

الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

قال النووي: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ إِلَى آخِرِهِ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاضُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ»(٢).

فالمرء إذا أحسن إلى إخوانه خاصةً أهل الحاجات كالفقراء واليتامى والمساكين يحصل التوادُّ والتراحمُ والتعاطف، ويشعر المرء بسعادةٍ في قلبه، وصلاحٍ في باله، والله الموفق.

❊

(١) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم- ٢٥٨٦-٤/ ١٩٩٩).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٩).

الفصل السابع عشر
صلاح البال بالحياء

إنَّ خلقَ الحياءِ، هو رأسُ الفضائلِ الخلقيةِ، وعمادُ الشعبِ الإيمانيةِ، وبهِ يتمُّ الدينُ، وتصلحُ الحياةُ، وتسودُ الفضيلةُ، وتنعدمُ أسبابُ الرذيلةِ.

والحياءُ عنوانُ الإسلامِ، ودليلُ الإيمانِ، ورائدُ الإنسان إلى الخيرِ.

فَمِنْ مَحَاسِنِ الدِّينِ الإِسْلامِيّ الأَمْرُ بِالْحَيَاءِ الذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَعِصْمةٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «**اسْتَحْيُوا مِن اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**» . قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَسْتَحِي وَالْحَمْدُ للهِ. قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنْ الاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكر الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا**»(١).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْء إِلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْء إِلاَّ زَانَهُ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-٣٦٧١-٦/ ١٨٧)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-بابٌ-٢٤٥٨-٤/ ٦٣٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبَانَ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الصَّبَّاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٣٥-١/ ٢٢٢).

(٢) رواه الترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في الفحش والتفحش-١٩٧٤-٤/ ٣٤٩)، =

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيْمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ**».

عَنْ زَيدِ بْنِ طَلْحَة بْنِ رُكَانَة يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لِكُلِّ دِينٍ خُلُق وَخُلُق الإِسْلاَمِ الْحَيَاء**»(١).

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَانِ**»(٣).

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**»(٤).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحِي حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ: قَدْ أَضَرَّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

=
وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".

(١) رواه ابن ماجه (كتاب الزهد-باب الحياء-٤١٨١-٢/ ١٣٩٩)، ومالك (حسن الخلق-ما جاء في الحياء-٣٣٥٩-٥/ ١٣٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٤٩-١/ ٤٣٠).

(٢) رواه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء-باب حديث الغار-٣٤٨٣-٤/ ١٧٧).

(٣) رواه البخاري (كتاب الإيمان-باب أمور الإيمان-٩-١/ ١١) بلفظ: «بضعٌ وستون»، ومسلم (كتاب الإيمان-باب شعب الإيمان-٣٥-١/ ٦٣)، واللفظ له.

(٤) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب الحياء-٦١١٧-٨/ ٢٩)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب شعب الإيمان-٣٧-١/ ٦٤).

ﷺ: «**دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيْمَانِ**»(١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا»(٢).

فاتقين الله يا نساء المؤمنين، والزَمْنَ العفاف والحياء فذلك خير وأبقى.

يـــابْنَتِي إِنْ أردْتِ آيـــةَ حُسْـــنٍ ... وجَمـــالًا يَـــزِينُ جِسْـــمًا وعَقْـــلاَ

فانْبِـــذِي عـــادةَ التَّبَـــرجِ نَبْـــذًا ... فجمـــالُ النُّفـــوسِ أسْـــمَى وأعْلَـــى

واجعَلِـــي شِـــيمةَ الْحَيَـــاءِ خِمـــارًا ... فَهْـــوَ بِالْغَـــادة الكَريمـــة أَوْلَـــى

لـــيس لِلْبِنْـــت في السَّـــعادة حَـــظٌّ ... إن تَنَـــاءَى الحيـــاءُ عَنْهـــا ووَلَّـــى

والْبَسِـــي مِـــنْ عَفَـــاف نَفْسِـــكِ ثوْبًـــا ... كـــلُّ ثـــوبٍ سِـــوَاه يَفْنَـــى ويَبْلَـــى

❊

(١) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب الحياء-٦١١٨-٨/ ٢٩)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب شعب الإيمان-٣٦-١/ ٦٣).

(٢) رواه البخاري (كتاب المناقب-باب صفة النبي ﷺ-٣٥٦٢-٤/ ١٩٠)، ومسلم (كتاب الفضائل-باب كثرة حيائه ﷺ-٢٣٢٠-٤/ ١٨٠٩).



الباب الرابع

صلاح البال في جانب المعاملات وغيرها

وفيه عدة فصول:

الفصل الأول

صلاح البال بالقصاص

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾(١).

قال ابن كثيرٍ: " يَقُولُ تَعَالَى: وَفِي شَرْعِ الْقِصَاصِ لَكُمْ -وَهُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ- حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ لَكُمْ، وَهِيَ بَقَاءُ الْمُهَج وصَوْنها؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ القاتلُ أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَّ عَنْ صَنِيعِهِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ حَيَاةُ النُّفُوسِ. وَفِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ: القتلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ. فَجَاءَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي الْقُرْآنِ أَفْصَحُ، وَأَبْلَغُ، وَأَوْجَزُ.

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: جَعَلَ اللهُ الْقِصَاصَ حَيَاةً، فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ يُرِيدُ أَنْ يقتُل، فتَمْنَعُهُ مَخَافَةَ أَنْ يُقتل.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، ﴿ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ يَقُولُ: يَا أُولِي الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالنُّهَى، لَعَلَّكُمْ تَنْزَجِرُونَ فَتَتْرُكُونَ مَحَارِمَ اللهِ وَمَآثِمَهُ، وَالتَّقْوَى: اسْمٌ جَامِعٌ لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ"(٢).

فِي القِصَاصِ رَاحَةُ البَالِ، وَصِيَانَةُ النَّاسِ مِنِ اعتِدَاءِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضِهِم

---

(١) [البقرة:١٧٩].

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤٩٢).

الآخَرِ؛ لأَنَّ مَعْرِفَةَ النَّاسِ أَنَّ مَنْ قَتَلَ يُعَاقَبُ بِالقَتْلِ، تَحْمِلُهُمْ عَلَى الارتِداعِ عَنِ القَتْلِ، فَتُصَانُ حَيَاةُ النَّاسِ، وَحَيَاةُ مَنْ يُفَكِّرُ بِالقَتْلِ.

وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى بِالنِّداءِ أَرْبَابَ العُقُولِ لِلدَّلاَلَةِ عَلَى أَنَّ الذِينَ يَفْهَمُونَ قِيمَةَ الحَيَاةِ، وَيُحَافِظُونَ عَلَيهَا هُمُ العُقَلاَءُ.

وَإِذا تَدَبَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ الحِكْمَةَ مِنْ شَرْعِ القِصَاصِ حَمَلَهُمْ ذلِكَ عَلَى اتِّقَاءِ الاعتِدَاءِ، وَالكَفِّ عَنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ[1].

فنسأل الله ﷻ أن يحقن دماء المسلمين في كل مكان، وأن ينصر دينه، وأن يحفظنا بحفظه، فهو خيرٌ حافظًا، وهو أرحم الراحمين.

❊

(١) أيسر التفاسير (١/ ١٨٦) أسعد حومد.

الفصل الثاني

صلاح البال باطمئنان القلب

تأتي الطمأنينة في القرآن الكريم سكينةً معنوية، فيها راحة البال، وهدوء النفس والقلب.

وقد جاء الفعل منها في القرآن الكريم ثماني مرات، خمس منها بصريح الإسناد إلى القلوب في سياق البشرى بنصر المؤمنين:

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾(١)، ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾(٢).

والقلوب تجد الراحة بالإيمان بذكر الله ذي الجلال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)

وقد التمس إبراهيم من راحة القلب واطمئنانه بزيادة الإيمان بالله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾(٤).

---

(١)[آل عمران:١٢٦].

(٢)[الأنفال ١٠].

(٣)[الرعد ٢٨].

(٤)[البقرة ٢٦٠].

واقترنت الطمأنينة بالأمن في قوله ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾(١) وعدم الخوف من العدو في الحرب في قوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾(٢).

وهي في آية الفجر صفة للنفس، قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾(٣)، إيذانًا صريحًا بأن العبرة في الطمأنينة بسكينة النفس، وهذا يعفينا من التعرض لما أثار الكلاميون والفلاسفة والمجسمة من جدلٍ حول هذه النفس المطمئنة، مما فصله الفخر الرازي في تفسيره.

فهل تكون طمأنينة للجسم إذا أعوزتها راحة النفس واطمئنان القلب؟ إن الأمر هنا لا يخرج عن مألوف حس العربية الأصيل في كل الأفعال التي تعرف بأفعال القلوب، كالخشوع والثقة والإيمان واليقين.

وكما اقترنت طمأنينة القلب بالبشرى في آيتي آل عمران والأنفال ، وبحسن المآب في آية الرعد ، وبالأمن من الخوف في آيتي النحل والنساء، جاءت النفس المطمئنة هنا مقترنة بالرضى، في سياق البشرى بحسن المآب، بعد كل الذي سبق من آيات الاعتبار بمصير الطغاة ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ

(١)[النحل ١١٢].
(٢)[النساء ١٠٣].
(٣) [الفجر:٢٧-٣٠].

﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ ومن نذير ووعيد لمن أغواهم حب المال، وفتنتهم النعمة، وأعمتهم الأثرة فضلوا ضلالًا بعيدًا.

فطمأنينة القلب وراحته وسعادته إنما تكون في طاعة الله ﷻ، والإيمان به، واتباع رسوله محمدٍ ﷺ، فإذا اطمأن القلب سعد صاحبه بالرضى والسكينة وصلاح البال.

فاللهم أنعم علينا بالراحة والطمأنينة، والسعادة والسكينة، فأنت خير مسئول، وأفضل مأمول، وأنت الغفور الشكور يا أرحم الراحمين.

❀ ❀ ❀

الفصل الثالث

صلاح البال بشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر

لقد تضمنت سورة الشرح أسبابًا عظيمةً لسعادة القلب وصلاح البال، قال ربنا ﷻ مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝ ﴾[1].

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾: ألم نفسح ونبسط ونوسع لك يا محمد ﷺ صدرك، حتى وسع مناجاة الحق، ودعوة الخلق، بما أودعنا فيه من الحكمة والإيمان والنبوة، وأزلنا عنه ضيق الجهل.

والعرب تطلق سعة الصدر وعظمه على الحلم والقوة، فهو كناية عن السرور وانبساط النفس وراحة البال وسعة الأفق، وهو استفهام تقرير، أي قد شرحنا وأفسحنا.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾: وَضَعْنا: حططنا وأزلنا وخففنا عنك. وِزْرَكَ: حملك الثقيل. أَنْقَضَ: أثقل، حتى سمع له نقيض أي صوت، وهذا كقوله:

---

(١) [الشرح:١-٨].

﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١). وليس المراد بالذنوب المعاصي والآثام ، فإن الرسل معصومون من ارتكاب الذنوب، وإنما المراد ما فعله اجتهادًا مما هو خلاف الأولى، كإذنه للمنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك، وأخذ الفداء من أسرى بدر، وعبوسه في وجه الأعمى، ونحو ذلك. وقيل: المراد من قوله: ﴿ وِزۡرَكَ ﴾ تخفيف أعباء النبوة والرسالة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها، وأداء واجباتها وحفظ حقوقها، فسهل الله تعالى ذلك عليه، وحط عنه ثقلها، بأن صارت يسيرةً له.

﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾: بالنبوة وغيرها، كأن جعلتك تُذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ﴾: الشدة والضعف والفقر ونحوها من المضايقات ﴿يُسۡرًا﴾: سهولةً وتوفيقًا للاهتداء والطاعة، وقد قاسى النبي ﷺ من كثيرٍ من الكفار، وعانى منهم الشدائد، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم ﷺ.

﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ ﴾ من أداء الرسالة وتبليغ الناس بها. ﴿ فَٱنصَبۡ ﴾ اتعب في الدعاء والعبادة.

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ تضرع وتوكل، واجعل رغبتك بالله في جميع شؤونك(٢).

فإذا وفق الله العبد فشرح له صدره، ووضع عنه وزره وهمَّه، ورفع له ذكره،

---

(١)[الفتح:٢].

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٣٠/ ٢٨٥) وهبة بن مصطفى الزحيلى- ط/ دار الفكر المعاصر-بيروت دمشق (١٤١٨ه).

وجعل له بين الناس ودًّا وحبًّا فقد أصلح باله، وأراح قلبه.

اللهم اشرح صدورنا، وضع عنا أوزارنا، وارفع بين العالمين ذكرنا، واجعل لنا مع كل عسرٍ يسرًا، وأقمنا على طاعتك، وأعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك. آمين.

۞

الفصل الرابع

صلاح البال بالأمن والأمان

إن الأمن والأمان نعمةٌ جليلة من ربنا المنان جلَّ جلاله، ولا يتحققان إلا بتحقيق الإيمان، فمع الإيمان يوجد الأمن والأمان، وبدونه يُعدما ويُفقدا؛ قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(٢) جملةٌ دعائيةٌ بقرينة قوله: ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ لكونهم قد دخلوا مصر حينئذٍ. فالأمر في ﴿ ٱدْخُلُواْ ﴾ للدعاء كالذي في قوله تعالى: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾(٣).

والمقصود: تقييد الدخول بـ﴿ ءَامِنِينَ ﴾، وهو مناط الدعاء.

والأمنُ: حالة اطمئنان النفس، وراحة البال، وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك، ولذلك قالوا في دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ إنه جمع في هذه الجملة جميع ما يطلب لخير البلد.

---

(١) [الأنعام:٨٢].

(٢) [يوسف:٩٩].

(٣)[الأعراف : ٤٩].

صلاح البال في الأمن في الأوطان نعمة من أجل النعم؛ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**»[(١)].

أيها القارئ الكريم إذا أعطاك ربك ﷻ الأمن والصحة فاحمد الله على نعم الله، واشكر الله على فضل الله، واعلم أنك كلما اتصلت بالله ﷻ جعل الله لك من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، ورزقك من حيث لا تحتسب.

فاللهم أدم علينا نعمة الأمان والأمان برحمتك يا كريم يا منان، يا ذا الجلال والإكرام.

ꕥ ❋ ꕥ

---

(١) رواه الترمذي (أبواب الزهد-بابٌ-٢٣٤٦-٤/ ٤٧٥)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ"، وابن ماجه (كتاب الزهد-باب القناعة-٤١٤١-٢/ ١٣٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٢-٢/ ١٠٤٤).

الفصل الخامس

صلاح البال بمحبة الناس

محبة الناس نعمةٌ جليلة، ومنةٌ عظيمة من الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١)

إن الله ﷻ هو الذي يثيب عبده المؤمن إذا آمن وعمل صالحًا بوّد الناس له، ومحبتهم، وارتفاع ذكره بينهم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾(٢).

إن تحصيل محبة الناس مبنيةٌ على محبة الله تعالى، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**»(٣).

---

(١) [الأنفال:٦٣].

(٢) [مريم:٩٦].

(٣) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب المقة (المحبة) من الله تعالى-٦٠٤٠-٨/ ١٤)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب-بابٌ إذا أحب الله عبدًا حببه لعباده-٢٦٣٧-٤/ ٢٠٣٠).

قال ابن حجرٍ: "وَالْمُرَادُ بِالْقَبُولِ فِي حَدِيثِ الْبَابِ قَبُولُ الْقُلُوبِ لَهُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمَيْلِ إِلَيْهِ وَالرِّضَا عَنْهُ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَحَبَّةَ قُلُوبِ النَّاسِ عَلامَةُ مَحَبَّةِ اللهِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا تَقَدَّمَ فِي الْجَنَائِزِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ وَالْمُرَادُ بِمَحَبَّةِ اللهِ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْعَبْدِ وَحُصُولُ الثَّوَابِ لَهُ وَبِمَحَبَّةِ الْمَلَائِكَةِ اسْتِغْفَارُهُمْ لَهُ وَإِرَادَتُهُمْ خَيرَ الدَّارَيْنِ لَهُ وَمَيْلُ قُلُوبِهِمْ إِلَيْهِ لِكَوْنِهِ مُطِيعًا لِلَّهِ مُحِبًّا لَهُ وَمَحَبَّةُ الْعِبَادِ لَهُ اعْتِقَادُهُمْ فِيهِ الْخَيْرَ وَإِرَادَتُهُمْ دَفْعَ الشَّرِّ عَنْهُ مَا أَمْكَنَ وَقَدْ تُطْلَقُ مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى لِلشَّيْءِ عَلَى إِرَادَةِ إِيجَادِهِ وَعَلَى إِرَادَةِ تَكْمِيلِهِ"(١).

قال القرطبي معلقًا على هذا الحديث: "وقد شوهد رجالٌ من المسلمين علماء صالحون كثر الثناء عليهم، وصرفت القلوب إليهم في حياتهم وبعد مماتهم، ومنهم من كثر المشيعون لجنازته، وكثر الحاملون لها، والمشتغلون بها، وربما كثّر اللّه الخلق بما شاء من الجن المؤمنين أو غيرهم، مما يكون في صور الناس"(٢).

قال الآلوسي: "أي مودةً في القلوب لإيمانهم وعملهم الصالح، والمشهور أن ذلك الجعل في الدنيا"(٣).

وقال الشوكاني «أي حبًّا في قلوب عباده يجعله لهم من دون أن يطلبوه بالأسباب التي توجب ذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب». لذلك إن من دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٦٢).
(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٢/ ٦٧).
(٣) روح المعاني=تفسير الألوسي (٨/ ٤٥٧).

قال ابن عطية: «لسان الصدق» في الآخرين هو الثناء وخلد المكانة بإجماع المفسرين، وكذلك أجاب الله دعوته، وكل أمة تتمسك به وتعظمه، وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد ق"(١).

قال القرطبي معلقًا على كلام ابن عطية: "وَقَدْ فَعَلَ اللهُ ذَلِكَ إِذْ لَيْسَ أَحَدٌ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَهُوَ يُصَلِّي عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَخَاصَّةً فِي الصَّلَوَاتِ، وَعَلَى الْمَنَابِرِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْحَالَاتِ وَأَفْضَلُ الدَّرَجَاتِ. وَالصَّلاةُ دُعَاءٌ بِالرَّحْمَةِ"(٢).

وعَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الخَوْلَانِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمْصَ، فَإِذَا فِيهِ حَلْقَةٌ فِيهَا اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَفِيهِمْ شَابٌّ أَكْحَلُ بَرَّاقُ الثَّنَايَا مُحْتَبٍ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ سَأَلُوهُ فَأَخْبَرَهُمْ فَانْتَهَوْا إِلَى خَبَرِهِ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الصَّلَاةِ. قَالَ: فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَى بَعْضَهُمْ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ انْصَرَفُوا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ دَخَلْتُ، فَإِذَا مُعَاذٌ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ قَالَ: فَصَلَّيْتُ عِنْدَهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَلَسْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ السَّارِيَةُ، ثُمَّ احْتَبَيْتُ فَلَبِثْتُ سَاعَةً لَا أُكَلِّمُهُ، وَلَا يُكَلِّمُنِي قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِغَيْرِ دُنْيَا أَرْجُوهَا أُصِيبُهَا مِنْكَ وَلَا قَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. قَالَ: فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَالَ: قُلْتُ: لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. قَالَ: فَنَثَرَ حِبْوَتِي، ثُمَّ قَالَ: فَأَبْشِرْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**» قَالَ ثُمَّ: خَرَجْتُ فَأَلْقَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ بِالَّذِي حَدَّثَنِي مُعَاذٌ فَقَالَ: عُبَادَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ:

(١) المحرر الوجيز=تفسير ابن عطية (٤/ ٢٣٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي (١٣/ ١١٣).

يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، يَعْنِي نَفْسَهُ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ**»(١).

وَعَنْ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ: كَانَ مِنَّا رَجُلٌ - مَعْشَرَ الْأَشْعَرِيِّينَ - قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَهُ الْحَسَنَةَ الْجَمِيلَةَ، مَالِكٌ أَوِ ابْنُ مَالِكٍ -شَكَّ عَوْفٌ- فَأَتَانَا يَوْمًا فَقَالَ: أَتَيْتُكُمْ لِأُعَلِّمَكُمْ وَأُصَلِّيَ بِكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِنَا، فَدَعَا بِجَفْنَةٍ عَظِيمَةٍ فَجَعَلَ فِيهَا مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ صَغِيرٍ، فَجَعَلَ يُفْرِغُ فِي الْإِنَاءِ الصَّغِيرِ عَلَى أَيْدِينَا، ثُمَّ قَالَ: «أَسْبِغُوا الْآنَ الْوُضُوءَ» . فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى بِنَا صَلَاةً تَامَّةً وَجِيزَةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَامًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَجْرَةِ الْقَوْمِ أَعْرَابِيٌّ قَالَ: وَكَانَ يُعْجِبُنَا إِذَا شَهِدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ فِينَا الْأَعْرَابِيُّ لِأَنَّهُمْ يَجْتَرِئُونَ أَنْ يَسْأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلَا نَجْتَرِئُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، سَمِّهِمْ لَنَا؟ قَالَ: فَرَأَينَا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ. قَالَ: «**هُمْ نَاسٌ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى يَتَحَابُّونَ فِي اللهِ، وَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ، مَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنُوا**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (حديث عبادة بن الصامت-٢٢٦٨٢-٣٧-٤٤٤)، ورواه الترمذي مختصرًا (أبواب الزهد-باب ما جاء في الحب في الله تعالى-٢٣٩٠-٤/ ١٧٥)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الخَوْلَانِيُّ اسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ ثَوْبَ".

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (حديث مالك أو ابن مالك-٦٨٤٢-١٢/ ٢٣٣)، وابن حبان من حديث أبي هريرة (باب الصحبة والمجالسة-ذِكْرُ وَصْفِ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ فِي الْقِيَامَةِ عِنْدَ

=

قَالَ ابن عبد البرِ: "فَمِنَ الْحُبِّ فِي اللهِ ﷻ حُبُّ أَوْلِيَاءِ اللهِ ﷻ، وَهُوَ حُبُّ الْأَتْقِيَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْهُمُ الْمُعَلِّمُونَ لِدِينِ اللهِ ﷻ الْعَامِلُونَ بِهِ[١]".

وَرَوَى ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ما تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللهِ ﷻ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ**»[٢].

وَرَوَى ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْسَلَ اللهُ ﷻ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[٣].

إن محبة الناس نعمةٌ جليلةٌ من الله ﷻ، تبعث في المرء الراحة، والطمأنينة، وراحة البال، فاللهم إنا نسألك حبَّك، وحبَّ من أحبَّك، وحُبَّ كلِّ عملٍ يقربنا إلى حبِّك، اللهم حبّبنا إلى خلقك، وحبِّب خلقك إلينا، وأدخلنا الجنة إخوانًا متحابين على سررٍ متقابلين برحمتك يا أرحم الراحمين.

❊

=
حُزْنِ النَّاسِ، وَخَوْفِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ-٥٧٣-٢/ ٣٣٢).

(١) الاستذكار (كتاب الشعر-باب ما جاء في المتحابين في الله-٨/ ٤٤٧).

(٢) رواه أبو داود الطيالسي (ثابت البناني عن أنس بن مالك-٢١٦٦-٣/ ٥٣٣)، والطبراني في الأوسط (باب من اسمه إبراهيم-٢٨٩٩-٣/ ١٩٢)، والحاكم (كتاب البر والصلة-٧٣٢٣-٤/ ١٨٩)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ".

(٣) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-بابٌ في فضل الحب في الله-٢٥٦٧-٤/ ١٩٨٨).
٤/ ١٩٨٨).

الفصل السادس

صلاح البال بسلامة الصدر وطهارة القلب من الآفات

قال الله ﷻ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ ﴾(١).

القلب السليم: هو القلب السالم من الشرك، والغلِّ، والحقد، والحسد، وغيرها من الآفات، والشبهات، والشهوات المهلكة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ**»(٢).

قال النووي: "التَّدَابُرُ: الْمُعَادَاةُ، وَقِيلَ: الْمُقَاطَعَةُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُوَلِّي صَاحِبَهُ دُبُرَهُ، وَالْحَسَدُ: تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ، وَهُوَ حَرَامٌ، وَمَعْنَى: كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، أَيْ: تَعَامَلُوا وَتَعَاشَرُوا مُعَامَلَةَ الْإِخْوَةِ وَمُعَاشَرَتِهِمْ فِي الْمَوَدَّةِ، وَالرِّفْقِ، وَالشَّفَقَةِ، وَالْمُلَاطَفَةِ، وَالتَّعَاوُنِ فِي الْخَيْرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مَعَ صَفَاءِ الْقُلُوبِ، وَالنَّصِيحَةِ بِكُلِّ حَالٍ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَفِي النَّهْيِ عَنِ التَّبَاغُضِ إِشَارَةٌ إِلَى النَّهْيِ عَنِ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ الْمُوجِبَةِ لِلتَّبَاغُضِ"(٣).

---

(١)[الشعراء:٨٨-٨٩].

(٢) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر-٦٠٦٥-٨/ ١٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب-٢٥٥٨-٤/ ١٩٨٣).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٦).

- **فضل سلامة الصدر ومنزلتها عند الله تعالى:**

صاحب القلب السليم من صفوة الله ﷻ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»(١).

- **سلامة الصدر سببٌ من أعظم أسباب قبول الأعمال الصالحة:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**»(٢).

قال ابن عبد البر: "فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ مَخْلُوقَةٌ وَأَنَّ لَهَا أَبْوَابًا وَقَدْ جَاءَ فِي الْآثَارِ الصِّحَاحِ أَنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ...، وَفِيهِ أَنَّ الْمَغْفِرَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْعَبْدِ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا؛ قَالَ اللهِ ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، وَفِيهِ أَنَّ الْمُهَاجَرَةَ وَالْعَدَاوَةَ وَالشَّحْنَاءَ وَالْبَغْضَاءَ مِنَ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ وَالسَّيِّئَاتِ الْجِسَامِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْكَبَائِرِ مَذْكُورَةً، أَلَا تَرَى أَنَّهُ اسْتَثْنَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ غُفْرَانَهَا وَخَصَّهَا بِذَلِكَ"(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه (كتاب الزهد-باب الورع والتقى-٤٢١٦-٢/ ١٤٠٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤٨-٢/ ٦٣٢).

(٢) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب النهي عن الشحناء والتهاجر-٢٥٦٥-٤/ ١٩٨٧).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد (٢١/ ٢٦٢).

فانظر كم يضيع على نفسه من الخير من يحمل في قلبه الحقد والحسد والغل؟!!

- **سلامةُ الصدر طريقٌ إلى الجنة:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لاَ يَسْقَمُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمْ الأَلُوَّةُ - قَالَ أَبُو اليَمَانِ: يَعْنِي العُودَ -، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ»(١).

قال الشوكاني: " قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أي: متوافقةٌ متطابقةٌ في الصفاءِ والجلاءِ"(٢).

وَعَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تبعهُ

---

(١) رواه البخاري (كتاب بدء الخلق-باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة-٣٢٤٦-٤/ ١١٨).

(٢) فتح القدير (١/ ٥٦٨).

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ ﷻ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ»(١).

وقد أخبر الله تعالى عن حال أهل الجنة فقال ﷻ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾(٢)، وقال جلَّ شأنه: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(٣).

---

(١) رواه أحمد (مسند أنس بن مالك ﵁-١٢٦٩٧-٢٠/ ١٢٤)، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة-١٠٦٣٣-٩/ ٣١٨)، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيحٌ على شرط الشيخين".

(٢) [الأعراف:٤٣].

(٣) [الحجر:٤٧].

وقد مدح الله ﷻ الأنصار الأبرار لـمَّا طهرت صدورهم، وزكت نفوسهم، ومدح من جاء بعدهم لـمَّا طهرت قلوبهم من الغل والحسد؛ فقال جلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

فهيا إخواني وأخواتي نطهر قلوبنا من الحقد والغل والحسد حتى نسعد بصحبة الأبرار الصالحين، ونفوز بالقرب من رب العالمين:

عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «**هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ**» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ﴾(٢).

فهلا سلمت صدورنا للمسلمين وصَفَت؟

- **أثر سلامة الصدر على الفرد والمجتمع:**

يفوز صاحب الصدر السليم بكل الفضائل التي سبق الحديث عنها

(١)[الحشر:٩، ١٠].

(٢)[يونس: ٦٢]، رواه أبو داود (كتاب البيوع-بابٌ في الرهن-٣٥٢٧-٣/ ٢٨٨)،

والنتيجة المباشرة هي:

- راحة البال والبعد عن الهموم والغموم.
- اتقاء العداوات.

أما بالنسبة للمجتمع فإنه يكون مجتمعًا متماسكًا متراصًا متكاتفًا ترفرف عليه رايات المحبة والإخاء ويصدقُ فيهم حديثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[١].

ولا يكون صلاح القلب وسلامته إلا بتحقيق التوحيد، وكمال تعلق العبد بالله عز وجل حبًا وخوفًا ورجاءً وطمعًا وتوكلاً، مع سلامته من الآفات كالحسد والحقد والغل، وهلم جرًا.

دُخل على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض وكان وجهه يتهلل! فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ يعني مع شدة مرضك وما نزل بك! فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلم في ما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا[٢].

وقال بعضهم يصف سليم القلب: مستريحُ الأحشاءِ من كلِّ ضغنٍ، باردُ الصَدرِ من غليلِ الحَسُودِ[٣].

---

(١) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم- ٢٥٨٦-٤/ ١٩٩٩).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٥٥٦.

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ٣١٧.

قال الأصمعي: رأيت أعرابيًا أتى عليه عمرٌ كثير، فقلت: أراك حسن الحال في جسدك**!** قال: نعم تركت الحسد فبقيت نفسي**!**[١].

قال الذهبي: "كَانَ ابْنُ أَبِي عقيل يَبعث مِنْ صُوْر إِلَى الشَّيْخ أَبِي إِسْحَاقَ البَدْلَة وَالعِمَامَة المُثَمَّنَة، فَكَانَ لاَ يَلْبَس العِمَامَة حَتَّى يَغسلهَا فِي دِجْلَة، وَيَقْصِد طهَارتهَا.

وَقِيْلَ: إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ نَزع عِمَامَته - وَكَانَتْ بِعِشْرِيْنَ دِيْنَاراً - وَتوضَأَ فِي دِجْلَة، فَجَاءَ لِصٌّ، فَأَخَذَهَا، وَتركَ عِمَامَةً رديئَةً بَدَلهَا، فَطَلَعَ الشَّيْخ، فَلبِسهَا، وَمَا شعر حَتَّى سَأَلُوْهُ وَهُوَ يدرّس، فَقَالَ: لَعَلَّ الَّذِي أَخَذَهَا مُحْتَاج"[٢].

وهكذا -يا إخواني- يكون حال المؤمن: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾[٣]

مبنيٌ على أنهم في الدنيا كان يبيت أحدهم على سريره وما في صدره غلٌّ لأحدٍ؛ ومشكلة كثير من الناس أن عندهم حسدًا أو غلاً أو بغضاء أو حقدًا أو غيرةً؛ فلذلك لا يرتاحون نتيجة أحد هذه العوامل.

هذا شيء طبيعي لمن لا يعمل بأمر الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[٤]

هذه آية واحدة تحل القضية: ﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾، فالفضل

---

(١) محاضرات الأدباء ١/ ٣١٧.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٥٩).
(٣)[الأعراف:٤٣].
(٤)[النساء:٥٤].

والعطاء والإيتاء من الله ﷻ، فإذا آمن العبد بأن الله ﷻ هو الذي يُعطي ويمنع، ويبسط ويقدر، ويُعزُّ ويُذلُّ، فليكن العبد راضيًا قانعًا بما أعطاه الله، أو أعطى غيره ليرتاح قلبه، ويُصلح باله.

فينبغي علينا أن نبتعد عن هذا الحسد وهذا الحقد، والغضب جمرةٌ من جمرات الشيطان، وأيضا الظلم؛ لأن الظالم لا يمكن أن يرتاح في النوم أبدًا، كيف يرتاح في نومه وسهام الليل صاعدة؟ كيف؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «**اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»(١).

ظلم وزير امرأة فأخذ بيتها ومزرعتها -كما تقول كتب التاريخ الإسلامي-، فهددته أن تشكوه إلى الله، فقال مستهزئًا: لا تنسَيْ الثلث الأخير من الليل، كثِّري من الثلث الأخير من الليل، فقامت تدعو عليه شهرًا، فابتلاه الله بحاكم فوقه، فأخذه وقطع يده، وسجنه، وكان يضربه كل يوم، كل يوم يخرجه، ويعاقبه بالجلد.

فمرت المرأة به فرأته فشكرته على وصيته وقالت:

إِذَا جَـــارَ الـــوَزِيرُ وَكَـــاتِبَاهُ   وَقاضِـي الأرضِ أَجْحَـفَ فِـي القَضَـاءِ

فَوَيْـلٌ ثُـمَّ وَيْـلٌ ثُـمَّ وَيْـلٌ لِقاضِـي   الأرضِ مِـنْ قَاضِـي السَّمَـاءِ

---

(١) رواه البخاري (كتاب المظالم والغصب-باب الاتقاء من والحذر من دعوة المظلوم-٢٤٤٨-٣/ ١٢٩)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب الأمر الإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعوة إليه-١٩-١/ ٥٠).

لا يمكن للظالم أن ينعم براحة بال، والمظلوم يدعو عليه، وعين الله لم تنم.

فاللهم طهِّر قلوبنا من النفاق، والرياء، والسمعة، والحسد، والغل، والحقد، ومن سائر الأمراض، وأصلح بالنا وحالنا بكرمك يا أكرم الأكرمين.

❊

الفصل السابع

صلاح البال بقضاء حوائج الناس

إن السعي في قضاء حوائج الناس يجلب للقلب السعادة، ويجلب له صلاح البال؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يحثُّ أصحابه على قضاء حوائج الناس:

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه: «أَنَّهُ صَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ قَعَدَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ فِي رَحَبَةِ الكُوفَةِ، حَتَّى حَضَرَتْ صَلاَةُ العَصْرِ»(٢).

وعَنْ أَبِي مَرْيَمَ الْأَزْدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا أَنْعَمَنَا بِكَ أَبَا فُلَانٍ -وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ- فَقُلْتُ: حَدِيثًا سَمِعْتُهُ أُخْبِرُكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَلَّاهُ اللهُ عز وجل شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ

---

(١) رواه البخاري (كتاب المظالم والغصب-باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه-٢٤٤٢-٣/ ١٢٨)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب تحريم الظلم-٢٥٨٠-٤/ ١٩٩٦).

(٢) رواه البخاري (كتاب الأشربة-باب الشرب قائمًا-٥٦١٦-٧/ ١١٠).

حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ، وَفَقْرِهِ» قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ، يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ»(٢).

وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم: "إنِّي أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك".

قال يونس رَحِمَهُ اللهُ:

أنزلت بالحرِّ إبراهيم مسألةً ... أنزلتها قبل إبراهيم بالله

فإن قضى حاجتي فالله يسَّرها ... هو المقدِّرها والآمر النَّاهي

كان يقال: إذا طلب العاقل إلى كريم حاجة انقضت، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع.

---

(١) رواه أحمد (حديث عمرو بن مرة الجهني-١٨٠٣٣-٢٩/ ٥٦٥)، وأبو داود (كتاب الخراج والإمارة والفيء-بابٌ فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنه-٢٩٤٨-٣/ ١٣٥)، والترمذي (أبواب الأحكام-بابٌ ما جاء في إمام الرعية-١٣٣٢-٣/ ٦١١)، وصححه الألباني (٦٢٩-٢/ ٢٠٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (زيد بن أسلم عن ابن عمر-١٣٣٣٤-١٢/ ٣٥٨)، وفي مكارم الأخلاق (باب فضل معونة المسلمين، والسعي في حوائجهم-٨٢-صـ٣٤١)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٣١٩-٧/ ٣٢٧).

كان يقال: إذا أحببت أن تطاع، فلا تسل ما لا يستطاع.

قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعق:

إنــك إن كلَّفتنــي مــا لــم أطــق ساءك مــا سـرَّك منِّـي مــن خلــق

قال رجل للأحنف: أتيتك في حاجة لا تزرؤك ولا تنكؤك. قال: إذًا لا تقضى، أمثلي يؤتي فيما لا يرزأ ولا ينكأ.

قال رجلٌ للعباس بن محمد، أو لعبد الله بن عباس: أتيتك في حاجةٍ صغيرة، قال: فاطلب لها رجلًا صغيرًا.

قيل لآخر: أتيتك في حاجة. قال: اذكرها، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات وكبيرها(١).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ عَبَّادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ**»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتبَرَّمَ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ للزَّوَالِ**»(٣).

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (صـ٦٨) لابن عبد البر.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-١٣٩٢٥-١٣/ ٢٠٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (التعاون على البر والتقوى-٧٢٥٦-١٠/ ١١٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٩٢-٤/ ٢٦٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٢٩-٧/ ٢٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (التعاون على
=

وعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ؛ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ**»(١).

فالسعي في قضاء حاجة الناس فيه رضا الله عَزَّ وَجَلَّ، ونيل القرب منه، والفوز بمعيته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**».

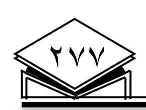
فاللهم اجعلنا من عبادك الساعين في خدمة إخوانهم، القاضين لحوائجهم، المعينين لهم على ما يُرضيك، وكن لنا عونًا، ونصيرًا، ومؤيدًا، وظهيرًا، واجعل

= البر والتقوى-٧٢٥٤-١٠/ ١١٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢١٨-٢/ ٣٥٨).

(١) رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة: الصغير (٨٦١-٢/ ١٠٦)، والأوسط (٦٠٢٦-٦/ ١٣٩)، والكبير (١٣٦٤٦-١٢/ ٤٥٣)، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (الترغيب في قضاء حوائج المسلمين وإدخال السرور عليهم وما جاء فيمن شفع فأهدي إليه-٢٦٢٣-٢/ ٣٥٩).

لنا من كل ضيقٍ فرجًا، ومن كل همٍّ مخرجًا، وارزقنا من حيث لا نحتسب، وأصلح بالنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

❊



الفصل الثامن

صلاح البال بالتخلية والتحلية

المقصود من التخلية: تطهير النفس من رذائل الأخلاق كالحسد والرياء والكبر والعجب وحب الدنيا وغيرها من الرذائل التي يذكرها علماء الأخلاق.

والمقصود بالتحلية: هو العمل بالطاعات والمبرَّات والقربات، مما يترتب عليه تحلي القلب وتزكيته بالفضائل كالعفّة والشجاعة والحكمة.

كثيرًا ما نسمع في الدّروس والخطب الدّعويّة في باب تزكية النّفس جملة «التخليّة قبل التحليّة للوصول إلى التجليّة»، فإيقاعها المتناغم وحروفها المـُنمّقة ذات السّجع البديع يستوقفنا قليلاً للتّفكر في دلالات ألفاظها وفحص معانيها!

ويُقصد بالتّخلية تطهير النفس وترقيتُها والسّمو بها من رذائل الأخلاق كالحسد والكِبر والعُجب وأدران الأعمال وغيرها.

أما التّحليّة فتعني العمل بالطاعات والقربات والفضائل التي تؤهّل القلب للوصول لمرحلة التجليّة، وهي السّمو بالروح والنّفس والعقل في سبوحات الأسرار والحكمة والملكوت.

ويرى البعض أنّ التخلية أساسٌ وشرطٌ للانتقال لمرحلة التّحلية وبدونها لا تكون النفس مستعدةً للفيوضات القدسية التي يعكسها صفاء النفس!!

وهناك اتجاهان في تفسير المقولة؛ اتّجاه يتحدث عن تخلية القلب وتطهير النّفس من الكفر والشِّرك، وتحليتها بعد ذلك بالإيمان والهداية.

أما الاتجاه الآخر في شرح المقولة وهو الغالب على ألسنة الدعاة؛ أنها تطهير النفس من الرذائل والمعاصي والذنوب تمامًا، ومن ثمّ تحليتُها بالطّاعات والقربات والعبادات!

فلا يُتَصوّر أن تتابع مراحل التخلية ثم التحلية وصولاً للتجلية بهذا الشكل المجرّد دون تمازج بين المراحل الثلاث وتداخلها وتأثير بعضها في بعض!

خلق الله سبحانه وتعالى النّفس البشرية وجبلها على المعصية والخطأ والنسيان والذنب والندم والتوبة والإنابة، وهو كذلك ما بين طاعةٍ وذنبٍ ومجاهدةٍ وزلةٍ وخطأٍ ونسيانٍ وهدايةٍ ورشادٍ ورجاءٍ ودعاءٍ يقضي حياته سائرًا إلى الله، تقيله العثرة ثم تقيمُه الصّحوة واليقظة.

فلا يُتَصوّر أن تتابع مراحل التخلية ثم التحلية وصولًا للتجلية بهذا الشكل المجرّد دون تمازجٍ بين المراحل الثلاث، وتداخلها، وتأثير بعضها في بعض.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(١).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (كتاب التوبة–بابٌ سقوط الذنوب بالاستغفار توبة–٢٧٤٩–٤/ ٢١٠٦).
(٢) رواه ابن ماجه (كتاب الزهد–باب ذكر التوبة–٤٢٥١–٢/ ١٤٢٠)، والدارمي (كتاب =

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «**حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَحَرَّمْتُهُ عَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا، كُلُّ بَنِي آدَمَ يُخْطِيءُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ وَلَا أُبَالِي**»(١).

ويفهم من الحديث الأول أنّ الله خلقنا بصفة ملازمة لنا؛ وهي الخطأ وفَتَحَ لنا أبواب التّوبة والإنابة رحمةً منه عز وجل حتى نشعر لذةَ الرّجوع بعد الأُفول.

أما في الحديث الثاني فوردت كلمة «خطّاء» وميزانها الصرفي على وزن «فعّال» أي متكرر الحدوث والتلازم ولا تنفك هذه الخصلة عن صاحبها، فهو دائم الفعل لهذا الأمر.

وطالما أن هذه الصفة دائمةٌ في البشر، فلا يُتصور صحة مشروطية التخلية للوصول إلى التحلية ومن بعدها التجلية!

فالإنسان لن يصل للكمال مهما جاهد نفسه، والحقيقة أن كمال النفس البشرية يكمن في نقصانها وزللها وتقصيرها الدائم؛ لأن الكمال ليس إلا لله، وقد جعل الله عز وجل الأفضليّة للذي يخطئ ويتوب عن من لا يخطئ أبدًا، فضلًا عن عجز الإنسان عن معرفة المرحلة التي يصل فيها يقينه إلى أنه انتهى من التخلية وتطهير القلب حتى ينتقل إلى المرحلة التالية، وهل يضمن ألا يعود إلى مرحلة ما قبل التجلية أو التخلية -لمجبوليّة نفسه على الخطأ- للبدء من جديد؟!

=

الرقاق-بابٌ في التوبة-٢٧٦٩-٣/ ١٧٩٣).

(١) رواه أحمد (حديث أبي ذرٍ الغفاري رضي الله عنه-٢١٤٢٠-٣٥/ ٣٣٢)، وأبو داود الطيالسي (أحاديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه-٤٦٥-١/ ٣٧٠).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾(١):

قال ابن القيم: "الذَّنْبَ قَدْ يَكُونُ أَنْفعَ لِلْعَبْدِ إِذَا اقْتَرَنَتْ بِهِ التَّوْبَةُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ: قَدْ يَعْمَلُ الْعَبْدُ الذَّنْبَ فَيَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَعْمَلُ الطَّاعَةَ فَيَدْخُلُ بِهَا النَّارَ، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ وَإِنْ مَشَى ذَكَرَ ذَنْبَهُ، فَيُحْدِثُ لَهُ انْكِسَارًا، وَتَوْبَةً، وَاسْتِغْفَارًا، وَنَدَمًا، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ نَجَاتِهِ، وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَلَا تَزَالُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ وَإِنْ مَشَى، كُلَّمَا ذَكَرَهَا أَوْرَثَتْهُ عُجْبًا وَكِبْرًا وَمِنَّةً، فَتَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ، فَيَكُونُ الذَّنْبُ مُوجِبًا لِتَرَتُّبِ طَاعَاتٍ وَحَسَنَاتٍ، وَمُعَامَلَاتٍ قَلْبِيَّةٍ، مِنْ خَوْفِ اللهِ وَالْحَيَاءِ مِنْهُ، وَالْإِطْرَاقِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُنَكِّسًا رَأْسَهُ خَجَلًا، بَاكِيًا نَادِمًا، مُسْتَقِيلًا رَبَّهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْآثَارِ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْ طَاعَةٍ تُوجِبُ لَهُ صَوْلَةً، وَكِبْرًا، وَازْدِرَاءً بِالنَّاسِ، وَرُؤْيَتَهُمْ بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الذَّنْبَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَقْرَبُ إِلَى النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ مِنْ هَذَا الْمُعْجَبِ بِطَاعَتِهِ، الصَّائِلِ بِهَا، الْمَانِّ بِهَا، وَبِحَالِهِ عَلَى اللهِ ﷻ وَعِبَادِهِ، وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ خِلَافَ ذَلِكَ"(٢).

وفي شرح كلام ابن القيّم قال العلماء إن دخول الجنة ليس بسبب الذنب، وإنما هو بسبب التوبة، كما قال الله تعالى عن عباده المتقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾(٣).

---

(١)[هود:١١٤].
(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠٨).
(٣)[آل عمران:١٣٦].

فالتخلية والتحلية والتجلية منظومةٌ متكاملةٌ ومتفاعلةٌ، كل مرحلةٍ فيها تخدم الأخرى، فتضع الإنسان على طريق المسير إلى الله مقرًا بذنبه غير معتمد على كثير عمله.[١]

فإذا طهر العبد أعماله من الشرك والمعاصي والمخالفات، وتزين وتحلى بالتوحيد والطاعات والمستحبات طَهُر قلبُه، وانشرح صدره، وصلُح بالُه.

فاللهم نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تُخلينا من كل ما يسخطك، وأن تُحلينا بكل ما يرضيك، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار برحمتك يا أرحم الراحمين.

❊

(١)مقال للصحفية: رانية نصر مدونة فلسطينية باحثة دراسات عليا في الإعلام.

الفصل التاسع

صلاح البال بخبيئة العمل الصالح

إن العبد إذا كانت له خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ فإنها تسبب له انشراحًا في الصدر، وصلاحًا في البال، وخشوعًا، وخضوعًا، وقربًا، وحبًا إلى الله ﷻ:

عن الخُريبي: قال: «كانوا يستَحبُّون أن يكون للرجل خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ لا تَعلَم به زوجته ولا غيرُها»(١).

وقال الزبير بن العوام رضي الله عنه: «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ تَكُونَ، لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»(٢).

وقال ابن المبارك: "قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم يستسقون في المسجد الحرام، وكنت في الناس مما يلي باب بني شيبة، إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش، قد ائتزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فصار في موضع خَفِيٍّ إلى جانبي، فسمعته يقول: إلهي أَخْلَقَتِ الوجوهَ كثرةُ الذنوبِ ومساوئُ الأعمالِ، وقد منعتنا غيث السماء لتؤدب الخليقة بذلك، فأسألك يا حليمًا ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل، اسقهم الساعة الساعة.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٤٩) للذهبي.

(٢) رواه أحمد في الزهد (زهد الزبير بن العوام رضي الله عنه -٧٧٨-صـ١١٩).

قال ابن المبارك: فلم يزل يقول: الساعة الساعة، حتى استوت بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان، وجلس مكانه يُسبّح، وأخذت أبكي، فلما قام تبعته حتى عرفت موضعه، فجئت إلى فضيل بن عياض، فقال لي: مالي أراك كئيبًا؟ فقلت: سبقنا إلى الله غيرنا، فتولاه دوننا، قال: وما ذاك؟ فقصصت عليه القصة، فصاح وسقط وقال: ويحك يا ابن المبارك خذني إليه، قلت: قد ضاق الوقت، وسأبحث عن شأنه. فلما كان من الغد صليت الغداة، وخرجت إلى الموضع فإذا شيخ على الباب قد بُسط له وهو جالس، فلما رآني عرفني وقال: مرحبًا بك يا أبا عبد الرحمن، حاجتك. فقلت له: احتجت إلى غلام أسود، فقال: نعم عندي عدة، فاختر أيهم شئت؟ فصاح يا غلام، فخرج غلام جلد، فقال: هذا محمود العاقبة، أرضاه لك، فقلت: ليس هذا حاجتي، فما زال يُخرِج إليَّ واحدًا واحدًا حتى أَخرَجَ إليَّ الغلام، فلما أبصرت به بدرت عيناي، فقال: هذا هو؟ قلت: نعم فقال ليس إلى بيعه سبيل، قلت: ولِمَ؟ قال: قد تبركت لموضعه في هذه الدار وذاك أنه لا يزرأني شيئًا، قلت: ومن أين طعامه؟ قال: يكسب من قبل الشريط نصف دانق أو أقل أو أكثر فهو قوته، فإن باعه في يومه وإلا طوى ذلك اليوم.

وأخبرني الغلمان عنه أنه لا ينام هذا الليل الطويل، ولا يختلط بأحد منهم مشغول بنفسه، وقد أحبه قلبي، فقلت له: أنصرف إلى سفيان الثوري وإلى فضيل بن عياض بغير قضاء حاجة؟ فقال: إن ممشاك عندي كبير، خُذه بما شئت. قال: فاشتريته وأخذت نحو دار فضيل، فمشيت ساعة، فقال لي: يا مولاي، قلت: لبيك، قال: لا تقل لي لبيك، فإن العبد أولى أن يلبي المولى، قلت: حاجتك يا حبيبي. قال: أنا ضعيف البدن، لا أطيق الخدمة، وقد كان لك

في غيري سعة، قد أخرج إليك من هو أجلد مني، فقلت: لا يراني الله وأنا أستخدمك، ولكني أشتري لك منزلاً وأزوجك وأخدمك أنا بنفسي، قال: فبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنت لم تفعل فيَّ هذا إلا وقد رأيت بعض متصلاتي بالله تعالى، وإلا فلِمَ اخترتني من بين الغلمان؟ فقلت له: ليس بك حاجة إلى هذا، فقال لي: سألتك بالله إلا أخبرتني، فقلت: بإجابة دعوتك، فقال لي: إني أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحًا، إن لله ﷻ خيرةً من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده، ولا يظهر عليهم إلا من ارتضى، ثم قال لي: ترى أن تقف علي قليلًا، فإنه قد بقيت علي ركعات من البارحة. قلت: هذا منزل فضيل قريب. قال: لا. ها هنا أحب إليَّ أمر الله ﷻ لا يؤخر فدخل من باب الباعة إلى المسجد فما زال يصلي حتى إذا أتى على ما أراد التفت إليّ فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل من حاجة؟ قلت: ولِمَ، قال: لأني أريد الانصراف، قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرة. قلت: لا تفعل، دعني أُسَرُّ بك. فقال لي: إنما كانت تطيب الحياة، حيث كانت المعاملة بيني وبينه تعالى فأما إذا اطلعت عليها أنت فسيطلع عليها غيرك فلا حاجة لي في ذلك، ثم خرَّ لوجهه، فجعل يقول: إلهي اقبضني إليك الساعة الساعة. فدنوت منه فإذا هو قد مات. فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزني وصغرت الدنيا في عيني"(١).

ومن كان له مع الله خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ أقرَّ الله بذلك عينه في وقت الشدائد والملمات، **كما في حديث الغار المشهور:**

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلاثَةُ**

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/ ٢٢٣) لابن الجوزي.

رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلاَ مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ، أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئُ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ،

فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»(١).

فالأول من هؤلاء ضرب مثلًا عظيمًا في البر بوالديه بقي طوال الليل والإناء على يده لم تطب نفسه أن يشرب منه ولا أن يسقي أولاده وأهله ولا أن ينغص على والديه نومهما حتى طلع الفجر.

وأما الثاني فضرب مثلًا بالغًا في العفة الكاملة حيث تمكن من حصول مراده من هذه المرأة التي هي أحب الناس إليه ولكن لما ذكرته بالله تركها وهي أحب الناس إليه ولم يأخذ شيئًا مما أعطاها.

وأما الثالث فضرب مثلًا في غاية الأمانة والنصح حيث نمى للأجير أجره فبلغ ما بلغ، وسلمه إلى صاحبه، ولم يأخذ على عمله شيئًا، فكان من جزاء هذه الأعمال الصالحة التي تعرَّفوا بها إلى الله في حال الرخاء أن الله عرفهم في حال الشدة فأنقذهم من الهلاك.

والثلاثة لم يطلع على أعمالهم إلا الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم السر والنجوى، ويسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء تحت الصخرة الصماء سبحانه وتعالى، لذلك فرَّج الله كربهم، وأزال همهم، وأصلح بالهم.

وهذه سنة الله في خلقه إلى يوم القيامة من تعرف إلى ربه في حال الرخاء عرفه في حال الشدة والبلواء، كما قال سيد الأنبياء محمد ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ**

---

(١) رواه البخاري (كتاب الإجارة-بَابُ مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ-٢٢٧٢-٣/ ٩١)، ومسلم (كتاب الرقاق-بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ-٢٧٤٣-٤/ ٢٠٩٩).

فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»[(١)].

فاللهم ارزقنا خبيئةً من عملٍ صالحٍ تفرجْ بها كربَنا، وتُفرح بها قلوبَنا، وتُصلح بها بالَنا يا جواد يا كريم.

꧁ ❋ ꧂

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (عكرمة عن ابن عباس-١١٥٦٠-١١/ ٢٢٣)، والمستدرك (ذكر عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب رضي الله عنهما-٦٣٠٣-٣/ ٦٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (الرجاء من الله تعالى-١٠٤٣-٢/ ٣٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦١-١/ ٥٦٩).

الفصل العاشر

صلاح البال بالرضا

إن الرضا بالله، والرضا عن الله يبعث في قلب المؤمن الشعور بالطمأنينة والراحة والسكينة، فكلُّ شيء في هذا الكون من الله ﷻ، فهو الذي يُعطي ويمنع، ويبسط ويقدر، ويُغني ويُفقر، ويُعز ويُذل، ويُصح ويُسقم، ويُحيي ويُميت، فإذا آمن العبد بذلك استراح قلبه، وصلُح باله، ورضي بكل شيء، وحمد ربه ﷻ على كل شيء.

تأمل قول الله ﷻ: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾(١) ما علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات في سورة الضحى؟ حيث ذكر العطاء مع الرضا!

إنَّ "سوف" دالةٌ على الاستقبال، وقد سبق أن قال تعالى: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾(٢)، وهي تدل أيضًا على الاستقبال، وجاء أيضًا باللام في ﴿ وَلَسَوْفَ ﴾ وأكده بنفس التوكيد باللام في ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ ﴾.

❊لماذا لم يحدد العطاء بشيءٍ ما، وإنما قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾؟

لقد أطلق سبحانه العطاء، ولم يحدده، إنما شمل هذا العطاء كلَّ شيء، ولم

---

(١) [الضحي:٤].

(٢) [الضحى:٥].

يخصصه بشيءٍ معينٍ إكرامًا للرسول الكريم ﷺ، وتوسيعًا للعطاء، وكذلك أطلق فعل الرضى كما أطلق العطاء، فجعل العطاء عامًا، وجعل الرضى عامًا، وذكر المعطي أيضًا، وهو الرب، وعلينا أن نتخيل كيف يكون عطاء الرب؟ والعطاء على قدر المعطي، وهذا كله فيه تكريمٌ للرسول ﷺ، كذلك في إضافة ضمير الخطاب (الكاف في ربك) تكريم آخر للرسول ﷺ.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ لماذا اختيار كلمة ﴿ فَتَرْضَىٰٓ ﴾؟

اختيار هذه الكلمة بالذات في غاية الأهمية، فالرضى هو من أجلِّ النعم على الإنسان، وهو أساس الاستقرار، والطمأنينة، وراحة البال، فإن فقد الرضى حلت الهموم والشقاء ودواعي النكد على الانسان، وإن فُقد في جانبٍ من جوانب الحياة فقدَ استقراره بقدر ذلك الجانب، ولذا جعل الله تعالى الرضى صفة أهل الجنة ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾(١)، ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾(٢)، وعدم الرضى يؤدي الى الضغط النفسي واليأس، وقد يؤدي الى الانتحار.

والتعب مع الرضى راحةٌ، والراحة من دونه نكدٌ وتعبٌ، والفقر مع الرضى غنًى، والغنى من دونه فقرٌ، والحرمان معه عطاءٌ، والعطاء من دونه حرمانٌ.

لذا فإن اختيار الرضى هو اختيار نعمةٍ من أجل النعم، ولها دلالتها في الحياة عامة، وليست خاصة بالرسول الكريم ﷺ، فإذا رضي الانسان ارتاح وهدأ باله وسكن، وإن لم يرضَ حلَّ معه التعبُ والنكدُ والهمومُ والقلقُ مع كل ما أوتي

---

(١) [الحاقة:٢١]، [القارعة:٧].

(٢) [الفجر:٢٨].

من وسائل الراحة والاستقرار.

فإن المؤمن لا يزال يسأل ربه ويطمع في فضله ويرجوه، ولا يزال مفتقرًا إليه في جلب المنافع، ودفع المضار من جميع الوجوه، إن أصابته السراء كان في مقدمة الشاكرين، وإن نالته الضراء فهو من الصابرين، يعلم أنه لا رب له غير الله يقصده ويدعوه، ولا إله له سواه يؤمله ويرجوه، ليس له عن باب مولاه تحولٌ ولا انصرافٌ، ولا لقلبه تلفتٌ إلى غيره، ولا تعلقٌ ولا انحرافٌ، لا تخرجه السراء والنعم إلى الطغيان والبطر، ولا يكون هلوعًا عند مس الضراء متسخطًا للقضاء والقدر، يتمشى مع الأقدار السارة والمحزنة بطمأنينةٍ وسكون، ويهدي الله لها قلبه لعلمه أنها تقديرُ من يقول للشيء كن فيكون، فهذا عبدٌ موفقٌ قد ربح على ربه، وقام بعبوديته في جميع التقلبات، وقد نال السعادتين راحة البال، وحسن الحال والمآل، واكتسب الخيرات، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

القناعةُ كَنْزٌ عظيمٌ، وفي الحديثِ الصحيحِ: «**ارْضَ بما قَسَمَ اللهُ لك تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ**»(٢).

ارضْ بأهلِك، بدخْلِك، بمرْكبِك، بأبنائِك، بوظيفتِك، تجدِ السعادة والطمأنينة.

---

(١) [التغابن:١١].

(٢) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رضي الله عنه-٨٠٩٥-١٣/ ٤٥٩)، والترمذي (أبواب الزهد-باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس-٢٣٠٥-٤/ ٥٥١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠-١/ ٨٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»(١)، فليس الغنى بكثرةِ العرضِ ولا بالأموالِ وبالمنصبِ، لكنَّ راحة النفسِ، ورضاها بما قَسَمَ الله.

وعن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ**»(٢).

قال أحدُهم: ركبتُ مع صاحبِ سيارةٍ من المطارِ، متوجّهًا إلى مدينةٍ من المدنِ، فرأيتُ هذا السائق مسرورًا جذِلًا، حامدًا للهِ وشاكرًا، وذاكرًا لمولاهُ، فسألْته عن أهلِه فأخبرني أنَّ عنده أسرتين، وأكثر منْ عشرةِ أبناءٍ، ودخلُهُ في الشهرِ ثمانمائةِ ريالٍ فَحَسْبُ، وعنده غُرفٌ قديمةٌ يسكنُها هو وأهلُه، وهو مرتاح البالِ، لأنهُ راضٍ بما قَسَمَ اللهُ لهُ.

فاللهم إنا نسألك الرضا بك، والرضا عنك، ورضِّنا بما قسمته لنا، وارضَ عنا، وأصلح بالنا، واهدِ نفوسنا، وأصلح أزواجنا وذرياتنا، واختم لنا بخير يا أرحم الراحمين.

❀ ❀ ❀

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق-باب الغنى غنى النفس-٦٤٤٦-٨/ ٩٥)، ومسلم (كتاب الكسوف-بابٌ ليس الغنى عن كثرة العرض-١٠٥١-٢/ ٧٢٦).
(٢) رواه الأصفهاني في حلية الأولياء (١/ ٣٦٨).

الفصل الحادي عشر

صلاح البال بالعزلة

غالبًا ما يَجِدُ المرء في اِنْعِزالِهِ عَنِ النَّاسِ راحَةَ البالِ.

إنَّ منْ معالمِ راحةِ البالِ عند العربيِّ القديمِ أنْ يَخْلُو بنفسِه في الصحراءِ، وينفرد عنِ الأحياءِ، يقولُ أحدُهم:

عـوى الـذئبُ فاستأنسـتُ بالـذئبِ   إذْ عـوى وصـوَّت إنسـانٌ فكِـدْتُ أطِيـرُ

وقد خرج أبوٍّ ذر إلى الربذةِ:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: اجْتَمَعَتْ غُنَيْمَةٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ ابْدُ فِيهَا». فَبَدَوْتُ إِلَى الرَّبَذَةِ(١).

وقال سفيانُ الثوريَّ: ودِدْتُ أني في شِعْبٍ من الشِّعابِ لا يعرفُني أحدٌ!

وذكر البخاري: بابًا سماه: بابٌ العزلة راحة من خلاط السوء، ثم ساق بإسناده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ**

---

(١) رواه أبو داود (كتاب الطهارة-باب الجنب يتيمم-٣٣٢-١/ ٩٠)، وابن ماجه (كتاب الجهاد-باب طاعة الإمام-٢٨٦٢-٢/ ٩٥٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٥٨-٢/ ١٤٨).

الشِّعَابِ: يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»(١).

وساق بإسناده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سمعْتُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ الغَنَمُ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»**(٢).

وذكر ابن ماجه في سننه بابًا سماه: باب العزلة، ثم ساق بإسناده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **«خَيْرُ مَعَايِشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً، طَارَ عَلَيْهِ إِلَيْهَا، يَبْتَغِي الْمَوْتَ أَوِ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ، وَرَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشِّعَافِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»**(٣).

وساق بإسناده عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَكُونُ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: **«هُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»**، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **«فَالْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامَهُمْ»**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ كَذَلِكَ»**(٤).

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق-باب العزلة راحةٌ من خلاط السوء-٦٤٩٤-٨/ ١٠٣).

(٢) رواه البخاري (كتاب الرقاق-باب العزلة راحةٌ من خلاط السوء-٦٤٩٥-٨/ ١٠٤).

(٣) رواه ابن ماجه (كتاب الفتن-باب العزلة-٣٩٧٧-٢/ ١٣١٦).

(٤) رواه ابن ماجه (كتاب الفتن-باب العزلة-٣٩٧٩-٢/ ١٣١٧).

فإذا حصلتِ الفتنُ كان الأسلمُ للعبدِ الفرار منها، كما فعل ابنُ عُمرَ وأسامةُ بنُ زيدٍ ومحمدُ بنُ مسلمة لما قُتِل عثمانُ(١).

فالعزلة تفرغ للمرء هدوء السر، وراحة البال: ثم هي فوق ذلك تهيئ له أسباب التفكير في نفسه، وتعينه على أن يستعرض عمله، وأن ينقده في تؤدةٍ وأناةٍ.

قال ابن قدامة: "فَإِذَا عَرَفْت فَوَائِدَ الْعُزْلَةِ وَغَوَائِلِهَا تَحَقَّقْت أَنَّ الْحُكْمَ عَلَيْهَا مُطْلَقًا خَطَأٌ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ إلَى الشَّخْصِ وَحَالِهِ وَإِلَى الْخَلْطِ وَحَالِهِ وَإِلَى الْبَاعِثِ عَلَى مُخَالَطَتِهِ وَإِلَى الْفَائِتِ بِسَبَبِ مُخَالَطَتِهِ مِنْ الْفَوَائِدِ، وَيُقَاسُ الْفَائِتُ بِالْحَاصِلِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ الْحَقُّ فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الِانْقِبَاضُ عَنْ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ الْعَدَاوَةِ، وَالِانْبِسَاطُ لَهُمْ مَجْلَبَةٌ لِقُرَنَاءِ السُّوءِ، فَكُنْ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ، وَمَنْ ذَكَرَ سِوَى هَذَا فَهُوَ قَاصِرٌ، وَإِنَّمَا هُوَ إخْبَارٌ عَنْ حَالِهِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْكُمَ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ الْمُخَالِفِ لَهُ فِي الْحَالِ"(٢).

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْيَأْسَ غِنًى، وَإِنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ حَاضِرٌ، وَإِنَّ الْعُزْلَةَ رَاحَةٌ مِنْ خُلَّاطِ السُّوءِ»(٣).

وقال أيضًا: «فِي الْعُزْلَةِ رَاحَةٌ مِنْ خُلَطَاءِ السُّوءِ»(٤).

---

(١) لا تحزن (صـ٢٧٥) للقرني.

(٢) مختصر منهاج القاصدين (صـ١١٧).

(٣) رواه ابن وهبٍ في جامعه (باب العزلة-٤١٨-صـ٥٢٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (كتاب الزهد-كلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-٣٤٤٧٧-٧/ ٩٨).

«خَالِطُوا النَّاسَ فِي مَعَايِشِكُمْ وَزَائِلُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ».

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، **قَالَ**: «نِعْمَ صَوْمَعَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ بَيْتُهُ، يَحْفَظُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَإِيَّاكُمْ وَمَجَالِسَ السُّوقِ؛ فَإِنَّهَا تُلْهِي وَتُطْغِي»(١).

وقال أيضًا: «كَانَ النَّاسُ وَرَقًا لَا شَوْكَ فِيهِ وَهُمْ الْيَوْمَ شَوْكٌ لَا وَرَقَ فِيهِ».

وَقَالَ مَكْحُولٌ: «إِنْ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ فَضْلٌ فَإِنَّ فِي الْعُزْلَةِ سَلَامَةً».

وقال الْجُنَيْدُ: «مُكَابَدَةُ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَمُكَابَدَةُ الْعُزْلَةِ أَيْسَرُ مِنْ مُدَارَاةِ الْخُلْطَةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الشَّهَوَاتِ أَيْسَرُ عَلَى قُلُوبِ الْأَبْرَارِ مِنْ طَلَبِهَا»(٢).

❍ فَوَائِدَ الْعُزْلَةِ وَهِيَ سِتٌّ:

الْأُولَى: الْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ وَالِاسْتِئْنَاسِ بِمُنَاجَاةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي فَرَاغًا وَلَا فَرَاغَ مَعَ الْمُخَالَطَةِ، فَالْعُزْلَةُ وَسِيلَةٌ إِلَى ذَلِكَ خُصُوصًا فِي الْبَدَاءَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَيَسَّرَ لَهُ بِدَوَامِ الذِّكْرِ الْأُنْسُ بِاللهِ، أَوْ بِدَوَامِ الْفِكْرِ تَحْقِيقُ مَعْرِفَةِ اللهِ، فَالتَّجَرُّدُ لِذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُخَالَطَةِ.

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التَّخَلُّصُ بِالْعُزْلَةِ عَنِ الْمَعَاصِي الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْإِنْسَانُ غَالِبًا بِالْمُخَالَطَةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ: أَحَدُهَا: فَإِنَّ عَادَةَ النَّاسِ التَّمَضْمُضُ بِالْأَعْرَاضِ،

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (بابٌ في العزلة-٢/ ٤).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (فصلٌ عن فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، وترك الخوض فيه-٤٧١٤-٧/ ٩١).

وَالتَّفَكُّهُ بِهَا. الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنَّ مَنْ خَالَطَ النَّاسَ لَمْ يَخْلُ عَنْ مُشَاهَدَةِ الْمُنْكَرَاتِ، فَإِنْ سَكَتَ عَصَى اللهَ، وَإِنْ أَنْكَرَ تَعَرَّضَ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الضَّرَرِ وَفِي الْعُزْلَةِ سَلَامَةٌ مِنْ هَذَا. الثَّالِثَةُ: الرِّيَاءُ، وَهُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي يَعْسُرُ الِاحْتِرَازُ مِنْهُ، وَأَوَّلُ مَا فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ إِظْهَارُ التَّشَوُّقِ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَخْلُو ذَلِكَ عَنِ الْكَذِبِ، إِمَّا فِي الْأَصْلِ وَإِمَّا فِي الزِّيَادَةِ، وَفِي الْعُزْلَةِ الْخَلَاصُ عَنْ هَذَا. الرَّابِعَةُ: مُسَارَقَةُ الطَّمَعِ مِنْ أَخْلَاقِهِمُ الرَّدِيئَةِ، وَهُوَ دَاءٌ دَفِينٌ قَلَّمَا يَتَنَبَّهُ لَهُ الْعُقَلَاءُ فَضْلًا عَنِ الْغَافِلِينَ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: الْخَلَاصُ مِنَ الْفِتَنِ وَالْخُصُومَاتِ وَصِيَانَةُ الدِّينِ عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا؛ فَإِنَّهُ قَلَّمَا تَخْلُو الْبِلَادُ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ وَالْخُصُومَاتِ، وَالْمُعْتَزِلُ عَنْهُمْ سَلِيمٌ.

الْفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: الْخَلَاصُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُمْ يُؤْذُونَكَ مَرَّةً بِالْغِيبَةِ وَمَرَّةً بِالنَّمِيمَةِ وَمَرَّةً بِسُوءِ الظَّنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِّ الَّتِي يَلْقَاهَا الْإِنْسَانُ مِنْ مَعَارِفِهِ، وَفِي الْعُزْلَةِ خَلَاصٌ عَنْ ذَلِكَ.

الْفَائِدَةُ الْخَامِسَةُ: أَنْ يَنْقَطِعَ طَمَعُ النَّاسِ عَنْكَ وَطَمَعُكَ عَنْهُمْ، أَمَّا طَمَعُهُمْ: فَإِنَّ رِضَاهُمْ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ، فَالْمُنْقَطِعُ عَنْهُمْ قَاطِعٌ لِطَمَعِهِمْ فِي حُضُورِ وَلَائِمِهِمْ وَإِمْلَاكَاتِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا انْقِطَاعُ طَمَعِكَ: فَإِنَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا تَحَرَّكَ حِرْصُهُ وَانْبَعَثَ بِقُوَّةِ الْحِرْصِ طَمَعُهُ، وَلَا يَرَى إِلَّا الْخَيْبَةَ فِي أَكْثَرِ الْمَطَامِعِ فَيَتَأَذَّى.

الْفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: الْخَلَاصُ مِنْ مُشَاهَدَةِ الثُّقَلَاءِ وَالْحَمْقَى وَمُقَاسَاةِ أَخْلَاقِهِمْ، وَإِذَا تَأَذَّى الْإِنْسَانُ بِالثُّقَلَاءِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَغْتَابَهُمْ، فَإِنْ آذَوْهُ بِالْقَدْحِ فِيهِ

كَافَأَهُمْ فَأَنْجَزَ الْأَمْرَ إِلَى فَسَادِ الدِّينِ، وَفِي الْعُزْلَةِ سَلَامَةٌ مِنْ ذَلِكَ[١].

فإذا لم يأمن المرء على نفسه من الاختلاط بالناس –وخاصةً في هذا الزمان– الذي كثر فيه الشر، وقلَّ الخير، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، فالأولى على المرء أن يعتزل عن الناس إلا فيما لا بدَّ منه، ففي العزلة في زمنٍ كهذا سلامةٌ للمرء من القيل والقال، وسوء الفعال، وفيها صلاحٌ لباله، وطمأنينةٌ لقلبه، والله المستعان.

ﮬ ❃ ﮬ

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (صـ١١١) لابن قدامة.

الفصل الثاني عشر

صلاح البال بعفة اللسان

إذا أراد المرء صلاح باله، واستقامة حاله، وسلامة قلبه فليحافظ على عفة لسانه، ولينطق بخير، أو ليصمت، وهذا من أسباب النجاة، وعلامة الإيمان، والأحاديث في هذا الشأن كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- عَنْ عُقْبَةَ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»(١).

٢- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَتَوَكَّلْ لِي بِمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَتَوَكَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ**»(٢).

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ

---

(١) رواه أحمد (حديث عقبة بن عامر الجهني-١٧٣٣٤-٢٨/ ٥٦٩)، والترمذي (أبواب الزهد-باب ما جاء في حفظ اللسان-٢٤٠٦-٤/ ٦٠٥)، وقال: "حديثٌ حسنٌ"، والبيهقي في الآداب (باب فضيلة الصمت، وحفظ اللسان عما لا يحتاج إليه-٢٩٦-صـ١٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٩٢-١/ ٢٩٥).

(٢) رواه الترمذي (أبواب الزهد-باب ما جاء في حفظ اللسان-٢٤٠٨-٤/ ٦٠٦)، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ"، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة-ذكر إيجاب دخول الجنة لمن حفظ لسانه عما لا يحل-٥٧٠١-١٣/ ٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠٥-٢/ ١١٢٣).

الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**» ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، قَالَ: «**الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ**»(١).

٤- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ، حَدَّثَنِي أَسْوَدُ بْنُ أَصْرَمَ الْمُحَارِبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَتَمْلِكُ يَدَكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟ قَالَ: «**أَتَمْلِكُ لِسَانَكَ؟**» قَالَ: فَمَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِي؟ قَالَ: «**فَلَا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ، وَلَا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلَّا مَعْرُوفًا**»(٢).

٥- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنُؤَاخَذُ بِمَا نَقُولُ؟ قَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ جَبَلٍ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»(٣).

٦- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: «**قُلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا

---

(١) رواه أحمد (مسند أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-٧٩٠٧-١٣/ ٢٨٧)، وابن ماجه (كتاب الزهد-باب ذكر الذنوب-٤٢٤٦-٢/ ١٤١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (باب حسن الخلق إذا فقهوا-٢٨٩-صـ١٤٩)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٢٢-صـ١٢٣).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٨٩٧-٨/ ٢٢٨)، وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة (٦٧٨٦-١٤/ ٦٥١).

(٣) رواه أحمد (حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-٢٢٠١٦-٣٦-٣٤٤)، والترمذي (أبواب الإيمان-باب ما جاء في حرمة الصلاة-٢٦١٦-٥/ ١١)، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ"، والنسائي في الكبرى (كتاب التفسير- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]-١١٣٣٠-١٠/ ٢١٤)، وابن ماجه (كتاب الفتن-باب كف اللسان في الفتنة-٣٩٧٣-٢/ ١٣١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٥-٢/ ٩١٣).

أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(١).

٧- عَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

٨- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»(٢).

٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(٣).

١٠- عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ اطَّلَعَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﵁ وَهُو يَمُدُّ لِسَانَهُ فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو إِلَى اللهِ اللِّسَانَ عَلَى حِدَّتِهِ**»(٤).

---

(١) رواه معمرٌ في جامعه (باب الإيمان والإسلام-٢٠١١١-١١/ ١٢٨) الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق).

(٢) رواه أحمد (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄-٦٤٨١-١١/ ١٩)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-٢٥٠١-٤/ ٦٦٠)، والدارمي (كتاب الرقاق-بابٌ في الصمت-٢٧٥٥-٣/ ١٧٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٧-٢/ ١٩٨٩).

(٣) رواه أحمد (مسند أبي سعيد الخدري ﵁-١١٩٠٨-١٨/ ٤٠٢)، والترمذي (أبواب الزهد-باب ما جاء في حفظ اللسان-٢٤٠٧-٤/ ٦٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١-١/ ١٢٥).

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده (مسند أبي بكرٍ الصديق ﵁-٥-١/ ١٧)، والبيهقي في شعب =

١١- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁، أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصَّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ: يَا لِسَانُ، قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوْ أَنْصِتْ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ، أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ**»(١).

١٢- عَنْ جَابِرٍ ﵁، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(٢).

قَالَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ: رَاحَةُ الْجِسْمِ فِي قِلَّةِ الطَّعَامِ وَرَاحَةُ الرّوحِ فِي قِلَّةِ الْآثَامِ وَرَاحَةُ اللّسَانِ فِي قِلَّةِ الْكَلَامِ(٣).

قَالَ بَعْض الحكماء: إِنَّمَا خلق للإِنْسَان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أَكْثَر مِمَّا يَقُول.

ودعي إِبْرَاهِيم بْن أدهم إِلَى دعوة فلما جلس أخذوا فِي الغيبة فَقَالَ: عندنا يؤكل اللحم بَعْد الخبز وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(٤).

= الإيمان (حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه-فصلٌ في السكوت عما لا يعنيه، وترك الخوض فيه-٤٥٩٦-٧/ ٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣٥-٢/ ٧١).

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٤٦-١٠/ ١٩٧)، والأصفهاني في الحلية (٤/ ١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧٢-٣/ ٥٨).

(٢) رواه البخاري (كتاب الإيمان-باب أي الإسلام أفضل-١١/ ١/ ١١)، ومسلم (كتاب الإيمان-باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل؟-٤٢-١/ ٦٦).

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٨٥).

(٤)[الحجرات: ١٢].

وَقَالَ بَعْضهم: الصمت لسان الحلم.

وَقَالَ بَعْضهم: تعلم الصمت كَمَا تتعلم الْكَلام، فَإِنْ كَانَ الْكَلام يهديك، فَإِنَّ الصمت يقيك.

وقيل: عفة اللسان صمته، وقيل: مثل اللسان مثل السبع إِن لَمْ توثقه عدا عليك.

قال سفيان بن حسين الواسطي: ذكرتُ رجلًا بسوءٍ عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا، قال: السند والهند والترك؟ قلت: لا، قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم؟! قال: فلم أعد بعدها (يعني لم يذكر أحدًا بعد ذلك بعيب).

قال أحد السلف لما أراد أن يطلق زوجته لأمرٍ ما، فقيل له: ما يسؤك منها؟ قال: أنا لا أهتك ستر زوجتي، ثم طلقها بعد ذلك، فقيل له: فلم طلقتها؟ قال: مالي وللكلام عن امرأة صارت أجنبية عني؟!

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ:، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: «الصَّمْتُ زَيْنٌ لِلْعَالِمِ، وَسِتْرٌ لِلْجَاهِلِ»(١).

وروى الإمام أحمد في "الزهد" عن يونس بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ما من أحد الناس يكون لسانه منه على بالٍ إلا رأيت ذلك صلاحـًا في سائر عمله.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (فصلٌ في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، وترك الخوض فيه-٤٧٠١-٧/ ٨٦).

وقال سفيان: قالوا لعيسى بن مريم عليهما السَّلام: دُلَّنا على عمل ندخل به الجنة، قال: لا تنطقوا أبدًا، قالوا: لا نستطيع ذلك، قال: فلا تنطقوا إلا بخير[(١)].

وقال الأوزاعي: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب»[(٢)].

فمن كفَّ لسانه، قل خطؤه، وسلِم، وسلِم منه الناس، واستراح قلبه، وعُصم دينه، وكان خير المسلمين كما قال سيد المرسلين ﷺ.

فاللهم سلِّم ألسنتنا من آفات اللسان، واجعل ألسنتنا لهِجةً بذكرك، اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك يا أكرم الأكرمين.

٭ ٭ ٭

(١) رواه ابن أبي الدنيا في "الصمت" (٤٦-٣/ ٥١٣).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في "الصمت" (٤٧-٣/ ٥١٣).

الفصل الثالث عشر

صلاح البال بالمال الحلال

إن الكسب الطيب والمال الحلال ينير القلب، ويشرح الصدر، ويورث الطمأنينة والسكينة والخشية من الله لأ، ويعين الجوارح على العبادة والطاعة، ومن أسباب قبول العمل الصالح وإجابة الدعاء.

أما الكسب الخبيث فإنه شؤمٌ وبلاءٌ على صاحبه، بسببه يقسو القلب، وينطفئ نور الإيمان، ويحل غضب الجبار، ويمنع إجابة الدعاء.

عَنْ أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله: «إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبًا، وإنَّ اللهَ تَعَالَى أمَرَ المُؤْمِنَينَ بِمَا أمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾[2]، ثُمَّ ذكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ: أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يمُدُّ يدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بالحَرَامِ، فأَنَّى يُستَجَابُ لِذلكَ؟»[3].

---

(١) [المؤمنون:٥١].

(٢)[البقرة:١٧٢].

(٣) رواه مسلم (كتاب الزكاة-باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها-١٠١٥-٢/ ٧٠٣).

قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ**» المعنى: أنَّه تعالى مقدَّسٌ منزَّه عن النقائص والعيوب كلها، وهذا كما في قوله: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ ﴾(١)، والمراد: المنزهون من أدناس الفواحش.

وقوله ﷺ: «**لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبًا**» قد ورد معناه في قوله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**»(٢).الفُلُوّ: الْمُهْرُ.

والمراد أنه تعالى لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيبًا حلالًا.

وقد قيل: إنَّ المراد بقوله: «**لا يَقْبَلُ إلاَّ طيِّبًا**» أعمُّ مِنْ ذلك، وهو أنَّه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا طاهرًا من المفسدات كلِّها، كالرياء والعُجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالًا، فإنَّ الطيب تُوصَفُ به الأعمالُ والأقوالُ والاعتقاداتُ، فكلُّ هذه تنقسم إلى طيِّبٍ وخبيثٍ. وقد قيل: إنَّه يدخل في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِۚ ﴾(٣) هذا كلُّه(٤).

فمن طاب مطعمه، وحلَّ ماله شرح الله صدره، وأصلح باله، وقبل عمله، وأجاب دعائه، فاللهم ارزقنا مالًا حلالًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلح بالنا، وتقبل أعمالنا، وأحسن ختامنا بكرمك يا أكرم الأكرمين.

---

(١)[النور:٢٦].

(٢) رواه البخاري (كتاب الزكاة–باب الصدقة من كسبٍ طيب–١٤١٠–٢/ ١٠٨).

(٣)[المائدة:١٠٠].

(٤) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (١/ ٤٣٩) شحاته محمد صقر.

الفصل الرابع عشر

صلاح البال بصلاح الزوجة

إن راحة الزوج تكمن في تحقيق السكن النفسي لدى المرأة، فالزوج يبحث عند زوجته عن السكن النفسي والألفة وراحة البال، فينبغي أن تكون الزوجة لزوجها صدرًا حانيًا، وقلبًا عطوفًا، وليجد منها البسمةَ، والخدمة، والطاعة في غير معصية الله؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[١].

ولذلك كان الاعتناء بصلاح الزوجة أهم من الاعتناء بصلاح غيرها من الخُلطاء، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ**»[٢].

عَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، والمركب الهنيء**»[٣].

---

(١)[البقرة: ٨٧].

(٢)رواه ابن ماجه (كتاب النكاح-باب أفضل النساء-١٨٥٧-١/ ٥٩٦)، والطبراني في الكبير (٧٨٨١-٨/ ٢٢٢)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٤٢١-٩/ ٤١٣).

(٣) رواه عبد بن حميد في المنتخب (نافع بن عبد الحارث-٣٨٥-١/ ٣١٣)، وقال محققه الشيخ مصطفى العدوي: "صحيحٌ لغيره"، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٦٢٩-١/ ٦٧٨).

وأثنى الله على زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ بصلاح الزوجة قال: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ ﴾ قَالَ: «كَانَ فِي لِسَانِ امْرَأَةِ زَكَرِيَّا طُولٌ فَأَصْلَحَهُ اللهُ تَعَالَى»(٢).

وقال عطاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ: قَالَ: «كَانَ فِي خُلُقِهَا سُوءٌ، وَكَانَ فِي لِسَانِهَا طُولٌ، وَهَؤُلَاءِ بَذَاءٌ، فَأَصْلَحَ اللهُ ذَلِكَ مِنْهَا»(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ**»(٤).

قال القرطبي: فُسِّرت: المرأة الصالحة في الحديث بقوله: «التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسِهَا وماله»(٥).

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلاثَةٌ، مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ: الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ**»(٦).

---

(١)[الأنبياء: ٩٠].

(٢) رواه الحاكم (كتاب التفسير-تفسير سورة الأنبياء-٣٤٤٦-٢/ ٤١٥)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ".

(٣) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ومذمومها (باب ما يكره من البذاء والفحش-٥١-صـ٤١).

(٤) رواه مسلم (كتاب النكاح-باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة-١٤٦٧-٢/ ١٠٩٠).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) رواه أحمد (مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-١٤٤٥-٣/ ٥٥)، والبزار (أَبُو =

فمن أكرمه الله بزوجةٍ صالحةٍ فقد أكرمه الله بسعادة الدنيا، وصلاح البال، وقرة العين، لذلك كان من دعاء عباد الرحمن -جعلنا الله منهم-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾[١].

قال شيخ المفسرين الطبري: "يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقرّ به أعيننا من أن تُريناهم يعملون بطاعتك"[٢].

فاللهم أصلح أزواجنا، وأسعدنا بطاعتك، ولا تشقنا بمعصيتك، يا خير مسئول يا رب العالمين.

= بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ سَعْدٍ-٤/ ١٥)، وابن حبان (كتاب النكاح-ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا-٤٠٣٢-٩/ ٣٤٠)، والحاكم (٢٦٤٠-٢/ ١٥٧)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٨٧-١/ ٢١٥).

(١) [الفرقان:٧٤].

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٨).

الفصل الخامس عشر

صلاح البال في ترك المراء والخصام والجدال

قال الغزاليُّ: "وَحَدُّ الْمِرَاءِ: هُوَ كُلُّ اعْتِرَاضٍ عَلَى كَلَامِ الْغَيْرِ بِإِظْهَارِ خَلَلٍ فِيهِ إِمَّا فِي اللَّفْظِ وَإِمَّا فِي الْمَعْنَى وَإِمَّا فِي قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ بِتَرْكِ الْإِنْكَارِ وَالِاعْتِرَاضِ، فَكُلُّ كَلَامٍ سَمِعْتَهُ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَصَدِّقْ بِهِ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا أَوْ كَذِبًا وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّقًا بِأُمُورِ الدِّينِ فَاسْكُتْ عَنْهُ"(١).

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾(٢).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**»(٣).

قال النووي: "هُوَ بِفَتْحِ الخاء، وكسر الصاد، والألد شَدِيدُ الْخُصُومَةِ، مَأْخُوذٌ مِنْ لَدِيدَيِ الْوَادِي وَهُمَا جَانِبَاهُ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا احْتُجَّ عَلَيْهِ بِحُجَّةٍ أَخَذَ فِي جَانِبٍ آخَرَ، وَأَمَّا الْخَصِمُ فَهُوَ الْحَاذِقُ بِالْخُصُومَةِ، وَالْمَذْمُومُ هُوَ الْخُصُومَةُ

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١١٧).

(٢)[البقرة:٢٠٤].

(٣) رواه البخاري (كتاب المظالم والغصب-بَابُ الأَلَدِّ الخَصِمِ، وَهُوَ الدَّائِمُ فِي الخُصُومَةِ-٧١٨٨-٩/ ٧٣)، ومسلم (كتاب العلم-بابٌ في الألد الخصم-٢٦٦٨-٤/ ٢٠٥٤).

بِالْبَاطِلِ فِي رَفْعِ حقٍّ أوْ إثباتِ بَاطِلٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ"(١).

قال ابن حجر: "قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: الْأَبْغَضُ هُوَ الْكَافِرُ، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَبْغَضُ الرِّجَالِ الْكُفَّارُ الْكَافِرُ الْمُعَانِدُ، أَوْ بَعْضُ الرِّجَالِ الْمُخَاصِمِينَ، قُلْتُ: وَالثَّانِي هُوَ الْمُعْتَمَدُ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا أَوْ مُسْلِمًا، فَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَأَفْعَلُ التَّفْضِيل فِي حَقِّهِ عَلَى حَقِيقَتِهَا فِي الْعُمُوم، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا فَسَبَبُ الْبُغْضِ أَنَّ كَثْرَةَ الْمُخَاصَمَةِ تُفْضِي غَالِبًا إِلَى مَا يُذَمُّ صَاحِبُهُ أَوْ يُخَصُّ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ بِمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ.

وَيَشْهَدُ لِلْأَوَّلِ حَدِيثُ: «**كَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لا تَزَالَ مُخَاصِمًا**»(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَوَرَدَ التَّرْغِيبُ فِي تَرْكِ الْمُخَاصَمَةِ: فَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَفَعَهُ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا**»(٣) وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ"(٤).

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١٩).

(٢) رواه الترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في المراء-١٩٩٤-٤/ ٣٥٩)، وقال: وَهَذَا الحَدِيثُ حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ"، والطبراني في الكبير (وهب بن منبهٍ عن ابن عباسٍ-١١٠٣٢-١١/ ٥٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٨٦-١/ ٦١٠).

(٣) رواه أبو داود (كتاب الأدب-بابٌ في حسن الخلق-٤٨٠٠-٤/ ٢٥٣)، والترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في المراء-١٩٩٣-٤/ ٣٥٨)، وابن ماجه (افتتاح الكتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم-باب اجتناب البدع والجدل-٥١-١/ ١٩) كلاهما بلفظ: «مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ، بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ، بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا»

(٤) فتح الباري (١٣/ ١٨١) لابن حجر.

ولهذا قال داود لابنه: "يا بني إياك والمراء فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان".

قال بعضهم: "ما رأيت شيئًا أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذة، ولا أشغل للقلب من المخاصمة.

فإن قيل: لا بد من الخصومة لاستيفاء الحقوق.

فالجواب ما قال الغزالي: إن الذم المتأكد إنما هو خاصٌ بباطل أو بغير علمٍ كوكلاء القاضي.

وقال بعض العارفين: إذا رأيت الرجل لجوجًا مرائيًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته[1].

وينبغي على المرء ألا يغرق في الخصومة، ويترك للصلح موضعـًا؛ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ أُرَاهُ رَفَعَهُ ـ قَالَ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا»[2].

قيل لأبي سفيان بن حرب: «بم نلت هذا الشرف؟ قال: ما خاصمت رجلاً

---

(١) فيض القدير (٥/ ٥) للمناوي.

(٢) رواه الترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض-١٩٩٧-٤/ ٣٦٠)، وابن أبي شيبة موقوفًا على علي (كتاب الأوائل-باب أول ما فعل، ومن فعله-٣٥٨٧٦-٧/ ٢٥٩)، والبخاري في الأدب المفرد موقوفًا (باب أحبب حبيبك هونًا ما-١٣٢١-٧٤٤)، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرٍو مرفوعًا (١٧٢-١٣/ ٧٠)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٧٨-١/ ٩٧).

إلا جعلت للصلح بيننًا موضعًا»(١).

فإذا ترك المرء الخصام والجدال، والنقاش فيما لا يفيد سلِم قلبه، وصلُح باله، وأمِن من غوائل الأعداء، ومن شماتة الحُسَّاد والقرناء.

فاللهم سلِّمنا من الخصام والجدال، واشغلنا بما فيه النفع في العاجل والحال، واجعلنا من الفائزين يوم المآل بجناتٍ سالمة من الخصومة وسوء المقال، قال ربنا ذو الجلال ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾(٢)، وقال الكبير المتعال: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾؛ إن ربي بكل جميلٍ كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

۞

(١) آداب العشرة، وذكر الصحبة والأخوة-آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (صـ٦٧) محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (ت:٩٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور عمر موسى باشا، ط/ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

(٢) [الواقعة:٢٥-٢٦].

الفصل السادس عشر

صلاح البال في إيفاء الكيل

إن من يستعرض آيات الكتاب العزيز في الأمر بإيفاء الكيل والميزان، ووعيدِ مَنْ يَظْلم الآخرين في الكيل والوزن يعلم أهمية هذا الخُلُق في هذا الدين:

قال الله ﷻ: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلٗا ٣٥ ﴾:

رغب تعالى في الإيفاء بوجهين:

الأول: أنه خير، فيفيد العدل والحق وأكل الحلال وراحة البال، وفيه حصول الثقة التي هي رأس مال التاجر، وفيه حفظ نظام التعامل الذي هو ضروري للحياة، وهذه كلها وجوه نفع وخير.

الثاني: أنه أحسن عاقبة عاجلاً في نفس الشخص وأخلاقه وفي عرضه وسمعته وفي سلامته من المطالبات والمنازعات، وآجلاً بحسن جزائه عند الله بما أعد للموفين من الأجر العظيم.

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾، قال المباركفوري: "﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ ﴾ أَيْ بِالْعَدْلِ وَتَرْكِ الْبَخْسِ ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ ﴾ أَيْ طَاقَتَهَا وَمَا يَسَعُهَا فِي إِيفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَإِتْمَامِهِ، يَعْنِي مَنْ اِجْتَهَدَ فِي أَدَاءِ الْحَقِّ وَأَخْذَهُ فَإِنْ أَخْطَأَ بَعْدَ اِسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ

وَبَذْلِ جُهْدِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ"(١).

أيها القارئ الكريم ليس التطفيف مقتصرًا على الكيل والوزن، أو الأمور الحسية، **بل يشمل ما يلي**:

١-إن عدم الاكتراث بحقوق إخوانك أو حقوق الناس عليك في حين أنك لا ترضى منهم هذا الخُلُق هو من التطفيف في الكيل والوزن.

٢-إن إيذاء الآخرين بأي نوع من الأذى، في حين أنك لا ترضاه منهم، هو من قبيل التطفيف في الكيل والميزان.

٣-إن ظُلْم الآخرين بأي نوعٍ من أنواع الظلم -وإن لم يكن فيما يكال ويوزن- هو من قبيل التطفيف في الكيل والوزن.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ نعم هؤلاء هم المطففون الذين ذمهم الله تعالى في كتابه وتوعدهم في هذه الآيات، وسميت السورة باسمهم!!.

وما أعظم الجهل والظلم معًا حينما يتصور المرء أن العدل لا يكون إلا في الأشياء المحسوسة المكيلة والموزونة، وأما الحقوق المعنوية فالخطب فيها يسير!!.

وكيف يُتَصوّر أنْ لا يُهِمّ الإنسانَ إلا حقوقه في أشيائه المحسوسة، أو أنّ

---

(١) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٧/ ٣٩٢).

هذه تُهِمُّه أكثر مما تُهِمُّه حقوقه المعنوية، بحيث يغضب أو يتألم أو يتضرر إذا بُخِسَ حقه في الكيل أو الوزن حينما يشتري شيئًا مكيلًا أو موزونًا، ولكن لا يَحْصُلُ له ذلك الغضب أو التألم أو الضرر إذا أُهين مثلًا أو استُكبِرَ عليه، أو هُجِرَ بغير حق، أو استبيح عِرْضه، أو أُخيف، أو شُتِم، أو تُكُلِّم في عِرْضه ..؟!

وكيف يَتَصوَّر المرء أن يَنهى الإسلام عن الظلم ويحرّمه في المكيل والموزون، وهي دنيا فانية، ولا ينهى أشدّ من ذلك عن بخس الناس حقوقهم المعنوية، ويحرّمه أشد من ذلك، في حين أن هذه الحقوق تتعلق بقلب الإنسان وضميره ونفسه وإنسانيته وإيمانه وآخرته؟!!.

إن الذي نستفيده من نصوص تحريم الظلم في المكيل والموزون هو تحريم ظلم الناس في حقوقهم المعنوية تلك بطريقِ الأَوْلى وبدرجة أَشد، ولكنّ كثيراً من الناس عن آيات الله غافلون [1]. فاللهم جنبنا التطفيف وأهله في الأمور الحسية والمعنوية يا رب العالمين.

❊

(١)الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها (صـ١٣٦) عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط/ مطبعة سفير.

الفصل السابع عشر
صلاح البال بالابتسامة

رسولنا محمدٌ ﷺ هو أعظم الناس قدرًا، وأعلاهم شرفًا، وأشرحهم صدرًا، وكان يملك قلوب أصحابه ن بوجهه البسَّام ﷺ، وابتسامته المشرقة ﷺ، وكلماته الطيبة ﷺ، وقد قال الله تعالى عن حاله ﷺ مع أصحابه ن: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾(١).

وقال هند بن أبي هالة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ سَهْلَ الْخَلْقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ»(٢).

وقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «الْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ، وَجْهٌ طَلِيقٌ، وَكَلَامٌ لَيِّنٌ»(٣).

أخو البِشْرِ محبوبٌ على حُسْنِ بِشْرِهِ ... ولن يعدم البغضاءَ مَنْ كان عابسا

الابتسامة في الوجوه أسرع طريق إلى القلوب، وأقرب باب إلى النفوس،

---

(١) [آل عمران: ١٥٩].

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤١٤-٢٢/ ١٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان-فصلٌ في خُلق رسول الله ﷺ وخَلقه-١٣٦٢-٣/ ٢٤)، وضعفه الألباني في مختصر الشمائل (صـ٢٤).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (حسن الخلق-فصلٌ في طلاقة الوجه وحسن البشر لمن يلقاه من المسلمين-٧٧٠٢-١٠/ ٤٠٤).

وهي من الخصال المتفق على استحسانها وامتداح صاحبها، وقد فطر الله الخَلْقَ على محبة صاحب الوجه المشرق البسَّام، وكان نبينا ﷺ أكثر الناس تبسُّمًا، وطلاقة وجهٍ في لقاء من يلقاه، وكانت البسمة إحدى صفاته التي تحلّى بها، حتى صارت عنوانًا له وعلامةً عليه، وكان لا يُفَرِّق في حُسْن لقائه وبشاشته بين الغنيّ والفقير، والأسود والأبيض، حتى الأطفال كان يبتسم في وجوههم ويُحسِن لقاءهم، يعرف ذلك كل من صاحبه وخالطه، كما قال عبد الله بن الحارث رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ق»[(١)].

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا سُئِلَتْ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَلَا فِي بَيْتِهِ، فَقَالَتْ: «كَانَ أَلْيَنَ النَّاسِ وَأَكْرَمَ النَّاسِ، كَانَ رَجُلًا مِنْ رِجَالِكُمْ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ضَحَّاكًا بَسَّامًا»[(٢)].

والبعض تراه عابسًا دائمًا، يظن أن التبسم فيه إنزالٌ من مكانته، ونقصٌ من هيبته أمام الآخرين، فهؤلاء واهمون يُنفرون أكثر مما هم يُقربون، لأن التبسم في وجه أخيك مع كونه مفتاحًا للقلوب، وتأليفًا للنفوس فهو سنةٌ نبويةٌ، فعَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي-١٧٧٠٤-٢٩/ ٢٤٥)، والترمذي (أبواب المناقب-بابٌ في بشاشة النبي ﷺ-٣٦٤١-٥/ ٦٠١)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (صـ١٢٠).

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (ما يروى عن عمرة بنت عبد الرحمن-١٧٥٠-٣/ ١٠٠٨)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤١٨٥-٩/ ٢٠٠).

(٣) رواه البخاري (كتاب الأدب-باب التبسم والضحك-٦٠٨٩-٨/ ٢٤)، ومسلم (كتاب =

ولم يكتفِ النبي ﷺ بأن يكون قدوةً عمليةً في الابتسامة، بل إنه دعا إليها وحثَّ عليها بقوله، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(١).

قال المناوي: "«تبسُّمك في وجه أخيك» أي في الإسلام، «لك صدقة» يعني: إظهارك له البَشَاشَة، والبِشْر إذا لقيته، تؤجر عليه كما تؤجر على الصَّدقة، قال بعض العارفين: التبسم والبشر من آثار أنوار القلب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ ﴾(٢)، قال ابن عيينة: والبشاشة مصيدة المودة، والبر شيءٌ هينٌ، وجهٌ طليقٌ، وكلامٌ لينٌ، وفيه ردٌّ على العالم الذي يصعر خده للناس كأنه معرضٌ عنهم، وعلى العابد الذي يعبس وجهه، ويقطب جبينه كأنه منزهٌ عن الناس، مستقذرٌ لهم أو غضبان عليهم"(٣).

وقال ابن بطَّال: "فيه أنَّ لقاء النَّاس بالتَّبسُّم، وطلاقة الوجه، من أخلاق النُّبوة، وهو منافٍ للتكبُّر، وجالبٌ للمودَّة".

وقد جمع الإمام البخاري: أحاديث كثيرة للنبي ﷺ وبوَّب لها: (باب التبسم

= فضائل الصحابة رضي الله عنهم-بابٌ من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه-٢٤٧٥-٤/ ١٩٢٥).

(١) رواه الترمذي (أبواب البر والصلة-بابٌ ما جاء في صنائع المعروف-١٩٥٦-٤/ ٣٣٩)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ"، والبزار (معاوية بن ثعلبة عن أبي ذر-٤٠٧٠-٩/ ٤٥٧)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان-باب حسن الخلق-ذِكْرُ كِتْبَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا الصَّدَقَةَ لِلْمُسْلِمِ بِتَبَسُّمِهِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ-٤٧٤-٢/ ٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨-١/ ٥٦١).

(٢) [عبس:٣٨-٣٩].

(٣) فيض القدير (٣/ ٢٢٦).

والضحك)[١]، وفي ذلك دليلٌ على الابتسامة التي كان يحرص عليها النبي ﷺ، وكذلك جمع الإمام مسلم في صحيحه أحاديث بوب لها الإمام النووي فقال في كتاب الفضائل: (باب تبسمه وحسن عشرته ﷺ)[٢].

التبسم في الوجوه عمل بسيط ويسير، غير مكلف ولا مجهد، ولكن له الأثر الكبير في نشر الألفة والمحبة بين الناس، وهو في سنة النبي ﷺ من المعروف الذي يؤدي إلى مرضاة الله ﷻ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ**»[٣].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[٤].

قال النووي: "قوله ﷺ: «**ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق**»، روي («طَلْق» على ثلاثة أوجهٍ: إسكان اللام، وكسرها، وطليق بزيادة ياء، ومعناه: سهل منبسط، وفيه الحثُّ على فضل المعروف، وما تيسَّر منه وإن قلَّ، حتى طلاقة

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٢٢).

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٨١٠).

(٣) رواه أحمد (مسند جابر بن عبد رضي الله عنهما-١٤٨٧٧-٢٣-١٦١)، والترمذي (أبواب البر والصلة-باب ما جاء في طلاقة الوجه، وحسن البشر-١٩٧٠-٤/ ٣٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب الأدب وغيره-٢٦٨٤-٣/ ١٤).

(٤) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء-٢٦٢٦-٤/ ٢٠٢٦).

الوجه عند اللِّقاء"(١).

قال المباركفوري: "«وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ» أَيْ مِنْ جُمْلَةِ أَفْرَادِهِ «أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ» أَيِ الْمُسْلِمَ «بِوَجْهٍ» بِالتَّنْوِينِ «طَلْقٍ» يَعْنِي تَلْقَاهُ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ مُتَهَلِّلَهُ"(٢).

وقال ابن علان: "أي بوجهٍ ضاحكٍ مستبشرٍ، وذلكَ لما فيه من إيناسِ الأخِ المؤمنِ، ودفعِ الإيحاشِ عنهُ، وجبرِ خاطرِهِ، وبذلكَ يحصلُ التَّأليفُ المطلوبُ بينَ المؤمنينَ"(٣).

وقال أيضًا: "أي: متهلِّلٌ بالبِشْر والابتسام، لأنَّ الظَّاهر عنوان الباطن، فلُقْيَاه بذلك يشعر لمحبَّتك له، وفرحك بلُقْيَاه، والمطلوب من المؤمنين التوادُّ والتحابُّ"(٤).

عَنْ جَرِيرٍ ﵁، قَالَ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»(٥).

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٧).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٩٠).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢/ ٣٥٦) محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان-الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

(٤) دليل الفالحين (٥/ ١٦٥).

(٥) رواه البخاري (كتاب الجهاد والسير-باب من لا يثبت على الخيل-٣٠٣٥-٤/ ٦٥)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة ﵃-باب من فضائل جرير بن عبد الله ﵁-٢٤٧٥-٤/ ١٩٢٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لا تَسَعون النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْط الْوَجْه، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(١).

وعن جابر بن سليم الْهُجَيْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: «**يا رسول الله إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَة، فَعَلِّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا الله بِه، قال: لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوف شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إناء الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاك ووجْهُك إليه مُنْبَسِطٌ**»(٢).

قوله ﷺ: (**مُنْبَسِط**) أي: منطلق بالسرور والانشراح، قال حبيب بن ثابت: "من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو مقبلٌ عليه بوجهه".

وقال الإمام الغزالي: "وَلَيْسَ يَعْلَمُ الْمِسْكِينُ أَنَّ الْوَرَعَ لَيْسَ فِي الجبهة حتى تقطب، ولا في الوجهِ حتى يَعبَسَ، ولا في الخدِّ حتى يُصعَّر، وَلَا فِي الرَّقَبَةِ حَتَّى تُطَأْطَأَ، وَلَا فِي الذَّيْلِ حَتَّى يُضَمَّ، إِنَّمَا الْوَرَعُ فِي الْقُلُوبِ"(٣).

الابتسامة إحدى وسائل غرس الألفة والمحبة بين الناس، وهي سنة نبوية ووسيلة دعوية، ومفتاح للقلوب، وكنز تنفق منه مع أهلك وإخوانك وجيرانك وكل من تقابله وتدعوه، وصدقة لا تكلفك دينارًا ولا درهمًا:

---

(١) رواه البزار (مسند أبي هريرة-٨٥٤٤-١٥/ ١٧٧)، والحاكم (كتاب العلم-فصلٌ في توقير العالم-٤٢٧-١/ ٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (حسن الخلق-فصلٌ في طلاقة الوجه، وحسن البشر لمن يلقاه من المسلمين-٧٦٩٥-١٠/ ٤٠١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٦١-٣/ ٩): "حسنٌ لغيره".

(٢) رواه أحمد (حديث حابر بن سليم الهجيمي-٢٠٦٣٣-٣٤/ ٢٣٦)، والنسائي في الكبرى (٩٦١٢-٨/ ٤٣٢)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان-فصلٌ من البر والإحسان-٥٢١-٢/ ٢٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨-١/ ٨١).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٥١).

كما أشارت عالمة النفس السلوكيّ سارة ستيفنسون إلى أنّ الابتسامة قد تُحسّن من المزاج، وتُقلّل التعب، والإرهاق، والاكتئاب، والتوتّر، بالإضافة إلى أنّها تخلق شعورًا بالسعادة، كما عبّرت عن ذلك بقولها: "في كلّ مرّة يبتسم فيها الإنسان، يحدث حفلًا لطيفًا في الدماغ"، إذ تُعزّز الابتسامة من إنتاج الدوبامين، والسيروتونين، والإندروفين الذي يعمل كمُسكّن طبيعي للألم، كما يُشار إلى أنّ الابتسام جبراً يُمكن أن يؤدّي إلى النتائج نفسها أيضًا، على خلاف ما يعتقده العديد من الناس من أنّ المواقف الإيجابية فقط هي التي تدفع الإنسان إلى الابتسام وتعزيز المزاج؛ حيث إنّ اتخاذ قرار بالابتسام يُمكن أن يؤدّي إلى الحصول على طاقة إيجابية(١).

كما تُساعد الابتسامة على شعور الآخرين بالسعادة، فلا تقتصر على تحسين مزاج الشخص فقط، كما يُعدّ الجزء المسؤول عن التحكّم في تعبير الوجه عن الابتسام في الدماغ منطقة استجابة تلقائية غير واعية، ممّا يعني أنّ الابتسامة مُعديةً علميًا، وتمكّن الشخص من الابتسام عند رؤية الآخر يبتسم تلقائيًا، إضافةً إلى ذلك، تجعل الابتسامة الشخص يبدو أكثر لطفًا وجاذبيةً، ممّا يدفع الآخرين للتفاعل معه بسهولة ومتعة أكبر(٢).

الابتسامة وتعزيز فرص النجاح: أشارت الدراسات إلى أنّ الأشخاص

---

(١) Meg Selig (25-5-2016), "The 9 Superpowers of Your Smile"، www.psychologytoday.com, Retrieved 20-2-2019. Edited.

(٢) Mark Stibich (1-12-2018), "Top 10 Reasons You Should Smile Every Day"، www.verywellmind.com, Retrieved 20-2-2019. Edited.

الذين يبتسمون بانتظام يُشعرون الطرف الآخر بالثقة، والقدرة على التعامل بالطريقة المناسبة عند مواجهة المواقف الصعبة، كما أنّ هناك فرصةً مرتفعةً لحصولهم على ترقية خلال العمل، أو عودة صاحب العمل للاتصال بهم في مقابلات العمل أيضًا، كما يُساعد ذلك على إنشاء علاقات صحية بين الشخص المبتسم وزملائه في العمل، ولذلك يُنصح بمحاولة رسم ابتسامة خلال اجتماعات ومواعيد العمل(١).

قال الذهبي: "بقي هنا شيءٌ ينبغي لمن كان ضحوكًا بسَّامًا أن يقصر من ذلك، ويلوم نفسه حتى لا تمجَّه الأنفسُ، وينبغي لمن كان عبوسًا منقبضًا أن يتبسمَ ويُحسِّن خلقَهُ، ويمقتَ نفسَهُ على رداءةِ خُلُقِهِ، وكلُّ انحرافٍ عن الاعتدالِ فمذمومٌ ولا بد للنفس من مجاهدةٍ وتأديبٍ"(٢).

للابتسامة فوائد كثيرة على صحة الفرد النفسية وحتى الجسدية، ومن أهم تلك الفوائد ما يأتي:

١-تحفظ الابتسامة للإنسان صحته النفسية والعصبية والبدنية.

٢-تُساعد الابتسامة الفرد على تخفيف ضغط الدم.

٣-تعمل الابتسامة على تنشيط الدورة الدموية.

---

(١) Jennifer Smith, "7 Benefits of Smiling and Laughing that You Didn't Know about"، www.lifehack.org, Retrieved 24-2-2019. Edited.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤١).

٤-تزيد الابتسامة من مناعة الجسم ضد الأمراض والضغوطات النفسية والحياتية.

٥-للابتسامة آثارٌ إيجابيةٌ على وظيفة القلب والبدن والمخ.

٦-يتميز المبتسم بنبضٍ سليمٍ ومتزنٍ.

٧-تُدخل الابتسامة الهدوء والطمأنينة إلى داخل الأنفس.

٨-تزيد الابتسامة الوجه جمالًا وبهاءً.

٩-تُعد الابتسامة نوعًا من أنواع العلاج الوقائي لأمراض العصر.

١٠- تحمي الابتسامة الفرد من القلق والكبت.

١١- تُعد الابتسامة علاجًا لحالاتٍ كثيرةٍ ومختلفةٍ من الصداع.

١٢- يمكن للابتسامة أن تُزيل الأرق والكآبة.

١٣- بعد عدة دراسات من بعض الأطباء تم استنتاج أن الابتسامة من الممكن أن تُفيد في تحسين القدرة الجنسية، ويعود ذلك على قدرتها في إرخاء العضلات وخفض التوتر الشرياني.

كما أن أثر الابتسامة في نفوس الآخرين كبيرٌ جدًا، فكما هناك أثر للابتسامة في صحة الفرد، وعلى الفرد نفسه، هناك أثرٌ للابتسامة في نفوس الآخرين، ومن أهم هذه الآثار ما يأتي:

١-تُعد الابتسامة المفتاح الأول لكل القلوب المغلقة، حيث إن الابتسامة تُعد إشراقة للروح.

٢-تُعد الابتسامة بلسمًا ودواءًا للألم والحزن عند الآخرين.

٣-الابتسامة أقصرُ طريقٍ للوصول إلى قلوب الآخرين وأنفسهم.

٤-تُعد الابتسامة المشرقة من أقوى قوانين الجاذبية لقلوب وأرواح الآخرين.

٥-دائمًا الابتسامة تُسعد النفس وتُسعد الآخرين.

٦-الابتسامة تُعطر الجو بين الآخرين، وخاصةً إذا أُغلقت الآذان.

٧-الابتسامة وسيلة لإبلاغ رسالة الشخص للآخرين وكما يُريد.

٨-الابتسامة تُذيب الجليد بين الآخرين وتنشر الارتياح[1].

فاللهم ارزقنا ابتسامةً لا تفارق وجوهنا تصلح بها بالنا بكرمك يا كريم يا منان.

۞

(١) "الابتسامة .. إعجاز قرآني"، www.alukah.net.

الفصل الثامن عشر

صلاح البال بالقناعة

القناعة: أن يقنع الإنسان بما قدر له الله من الرزق، والقناعة رضا العبد بالمقسوم من الأرزاق مع عدم تطلع القلب إلى غير ما في يدي صاحبة .. القناعة نعمة عظيمة ينعمها الله على بعض عباده، فتهنأ نفوسهم وترتاح قلوبهم وقد بشّرت الحياة الطيبة بقوله تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾: بالقناعة والرضا والرزق الحسن.

إن كثرة مال المرء لا تعني غناه ولا سعادته، وإنما الغنى في القناعة كما قال النبي ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**»(١).

ومن أسباب القناعة عدم تطلع الإنسان إلى من فضّله الله عليه في أمور الدنيا وإنما يطالع من كان أقل منه:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»(٢)، وبذلك يحصل للمرء القناعة و الرضا بما رزقه الله فيكون من أهل العفاف:

---

(١)متفق عليه.

(٢) رواه مسلم (كتاب الزهد والرقائق-٢٩٦٣-/ ٤/ ٢٢٧٥).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١).

إن القناعة كما يحصل بها راحة البال وهدوء النفس يحصل بها الفلاح والنجاح دنيا وآخرة، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**»(٢).

وعند ابن حبّان أن النبي ﷺ قال: «**طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنّعه الله به**».

وفي الحديث الاخر يقول النبي ﷺ: «**من أصبح معافىً في بدنه آمنًا في سربه، عنده قوت يومه وليلته، فكأنما حيزت له الدنيا**».

القناعة بالرزق، ومعرفة فضل الله في ما أعطى: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾(٣)، وفي الحديث: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا**»(٤)، فمن قنع استراح وأراح، ومن طمع تعب وأتعب، ثم

---

(١) رواه البخاري (كتاب الزكاة-باب الاستعفاف عن المسألة-١٤٦٩-٢/ ١٢٢)، ومسلم (كتاب الزكاة-باب فضل التعفف والصبر-١٠٥٣-٢/ ٧٢٩).

(٢) رواه مسلم (كتاب الزكاة-بابٌ في الكفاف والقناعة-١٠٥٤-٢/ ٧٣٠).

(٣)[طه: ١٣١].

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، وابن ماجه في سننه (٤١٤١)، وحسنه الألباني في =

قد يحصل له ما طمع فيه وقد لا يحصل.

يشتكي الكثير من الناس من انشغال البال، والهَم والقلق والاضطراب، وتشعب الهموم، فيجتهد المرء في مكابدة مشاغله الدنيوية، مُعرِضًا عن إدراك أهمية صلاح بَالِه، فصلاح البال هو طريق السعادة، والتي ينبني عليها الفوز في الدنيا والآخرة.

السعي في طلب الرزق همٌّ كثيرٍ من الخلق، فالصغير ينشده، والكبير يطلبه، وأكثر هموم الحياة وأحاديثها وأحداثها تدور في فلكه، والمؤمن الحاذق من يفوض أمر الرزق إلى الرازق.

فالرزق ما كان لك منه أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بوقتك، فلا تضيع زمانك بهمك بما ضمن لك من الرزق، فما دام الأجل باقيـاً كان الرزق آتيـاً، قال سبحانه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾(١).

قال بعض السلف: "توكل تُسق إليك الأرزاق بلا تعبٍ ولا تكلفٍ".

وعلى العبد أن يقنع بما أعطاه الله من الرزق، يقول عمر بن عبد العزيز: "بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه أتاه رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه".

فكن متوكلاً على الله في طلب الرزق بقلبك، ساعيًا له بجوارحك مع

=

صحيح الأدب (٢٣٠).

(١)[هود: ٦].

الاعتماد على الخلاق الكريم، وإياك والحرص على تحقيق أملك من الحياة، فإن ذلك قد يخرجك من طور التوكل، فتحرص على تحقيق المرام، وتعتمد على الأسباب دون التفويض بالقلب، والله ﷻ إذا أغلق عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه، ومن سرَّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سرَّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده[1].

فاللهم ارزقنا القناعة، وأغننا بك عن كل ما سواك، ولا تحوجنا لأحدٍ من خلقك، وارزقنا شكر نعمك، والرضي بما قسمت لنا يا ذا الجلال والإكرام.

❀ ❁ ❀

(١)خطوات إلى السعادة (صـ٢٩) عبد المحسن بن محمد بن عبد الرحمن القاسم القحطاني- الطبعة الرابعة (١٤٢٧هـ).

الفصل التاسع عشر

صلاح البال بالعفو والصفح والتسامح

قال ابن القيم: "الْمَشْهَدُ الثَّالِثُ: مَشْهَدُ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالْحِلْمِ فَإِنَّهُ مَتَى شَهِدَ ذَلِكَ وَفَضْلَهُ وَحَلَاوَتَهُ وَعِزَّتَهُ: لَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ إِلَّا لِعَشًى فِي بَصِيرَتِهِ. فَإِنَّهُ «مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»(١) كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُلِمَ بِالتَّجْرِبَةِ وَالْوُجُودِ. وَمَا انْتَقَمَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ إِلَّا ذَلَّ.

هَذَا، وَفِي الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ: مِنَ الْحَلَاوَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ، وَشَرَفِ النَّفْسِ، وَعِزِّهَا وَرِفْعَتِهَا عَنْ تَشَفِّيهَا بِالِانْتِقَامِ: مَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ فِي الْمُقَابَلَةِ وَالِانْتِقَامِ"(٢).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا ﴾(٥)،

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (كتاب البر والصلة والآداب-باب استحباب العفو والتواضع-٢٥٨٨-٤/ ٢٠٠٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٣).

(٣)[الأعراف:١٩٩].

(٤)[القصص:٥٥].

(٥)[النجم:٢٩].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥ ﴾(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ أَتَى رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قرابة أصلهم ويقطعوني، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(٢).

قال أَبُو حاتم: "الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سببَ لتسكين الإساءةِ أحسنُ من الإحسان، ولا سببَ لنماء الإساءةِ وتهييجِها أشدُ من الاستعمال بمثلها.

ولقد أنشدني منصور بْن مُحَمَّد الكريزي:

سألزم نفسي الصفح عَن كل مذنب ... وإن كثرت منه إلي الجرائمُ
فما الناس إلا واحدٌ من ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مقاومُ
فأما الذي فوقي فأعرف فضله ... وأتبع فيه الحق، والحق لازمُ
وأما الذي دوني فإن قَالَ صنت ... عَن إجابته عرضي، وإن لام لائمُ
وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفَا ... تفضلتُ إنَّ الحلم للفضلِ حاكمُ(٣)

إنَّ العفو والصفح والتسامح ونسيان الإساءة من الآخرين من فضل الله ﷻ

---

(١)[الحجر:٨٥].

(٢) رواه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب-باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها-٢٥٥٨-٤/ ١٩٨٢).

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (صـ١٦٦).

على عباده، وهى نعمةٌ رزقهم الله إياها، فعلى المرءِ أن ينسى أيَّ إساءةٍ من الآخرينَ، فينسى الإنسان إساءة المسيئين، وجفوة الجافين، ويسمو ليصل إلى أمر أعظم من النسيان، وهو الصفح والعفو والتسامح والغفران.

ومن أراد راحة البال وحُسن العاقبة والمآل، فليحاول نسيان ما يلقاه من الآخرين، وليبدأ صفحةً جديدةً مع من قصروا في حقه.

فاللهم جمِّلنا بالعفو والصفح والتسامح، واجعلنا إخوةً فيك متحابين بكرمك يا أكرم الأكرمين.

❀ ❁ ❀

الفصل العشرون

صلاح البال سببٌ في القوة الجنسية

إن الإنسان الخالي البال الذي لا يشغل تفكيره وعقله كثيرًا، ولا يُجهد نفسه في تفكيرٍ عميقٍ، والذي لديه كثيرٌ من وقت الفراغ، يكون عادةً قويًا جنسيًا، ولو كان ضعيف البنية.

ومنه فإن راحة البال هي أهم شيء في الناحية الجنسية وليست قوة العضلات وضخامتها كما يتخيل البعض، والله أعلم.

۞

الفصل الحادي والعشرون
صلاح البال بتوحيد الهَمِّ بطلبِ الآخِرةِ

توحيد الهمِّ: بأن يكون الهم همًا واحدًا، وهو هَمُّ الآخرة، جاء في الحديث المرفوع عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من جعل الهموم همًا واحدًا هم آخرته كفاه الله همَّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك**»(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**»(٢).

قال الكلاباذي: "في هذا الحديث معنيان:

أحدهما: الترغيب في الزهد في الدنيا والإعراض عنها، والرغبة في الآخرة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة ٧/ ٧٦، وابن ماجه في سننه (٢٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٧).

(٢) رواه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع-٢٤٦٥-٤/ ٦٤٢)، وابن ماجه (كتاب الزهد-باب الهمِّ بالدنيا-٤١٠٥-٢/ ١٣٧٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٠-٢/ ٦٣٤).

والإقبال عليها، والتشجيع في ترك الدنيا بمعنى الإنفاق ممن هي في يديه، والإعراض عنها ممن ليست عنده كأنه ﷺ يقول: من أعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، رزق الفراغ والتنعم وجمع الشمل، وأتته الدنيا أي الرفق فيها والمهنأ منها فيكون له المهنأ دون الشغل، والرفق من غير تعبٍ، فهو غني وإن عدم القوت، ومن أقبل على الدنيا وأعرض عن الآخرة شُغل بما لا يجري، وتعب فيما لا يغني عنه، فتزداد الدنيا عنه بعدًا؛ لأنه لا يصيب منها إلا المقدور، والمقدور لا يغنيه، وإن كثر لغلبة الحرص عليه والتأسف على فوت ما لم يقدر له تعب الطلب، والخيبة في التعب، فهو فقير وإن ملك الدنيا.

والمعنى الآخر: تنبيهٌ وإرشادٌ في الرجوع إلى الله تعالى والإقبال على الله، وأنه أسير القدرة سليب القبضة، وإن أفعاله تبع لفعل الله به، وإنها إنما تكون بالله تعالى، فيكون العبد مأخوذًا عن أوصافه مصروفًا عن نظره إلى أفعاله معترفًا بعجزه، مقرًا باضطراره، عالـمًا بضرورته وافتقاره، كأنه ﷺ يقول: إنما تكون الآخرة همه من جعل الله الغناء في قلبه، وجمع له شمله؛ لأنه لا يقبل على الآخرة إلا من استغنى عن الدنيا، فإن الدنيا حجاب الآخرة، فإذا رفع الحجاب عن بصر القلب رأى الآخرة بعين إيقانه، ومن نظر إلى الآخرة شغل عن الدنيا، صارت مرفوعةً منه متروكةً عنه، قال حارثة: عزفت نفسي عن الدنيا، فكأني أنظر إلى أهل الجنة، إلى آخر الحديث، فمن أغناه الله تعالى عن الدنيا بالزهد فيها، والرغبة عنها صارت الآخرة همه؛ لأن الإنسان حريص، والنفس راغبة، إما ترغب إلى الدنيا أو إلى الآخرة، فإذا حجبت عن الدنيا بالعزوف عنها،

والاستغناء منها افتقرت إلى الآخرة، ورغبت فيها"(١).

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا، فَمَنْ تَكُنِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، وَبَثَّهُ، وَسَدَمَهُ، يَكْفِي اللهُ ضَيْعَتَهُ، وَيَجْعَلُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَمَنْ تَكُنِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، وَبَثَّهُ، وَسَدَمَهُ، يُفْشِي اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَجْعَلُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ لَا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا، وَلَا يُمْسِي إِلَّا فَقِيرًا»(٢).

قال ابن الجوزي: همة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلى ذكر الآخرة، وكل من شغله شيء، فهمته شغله. ألا ترى أنه لو دخل أرباب الصنائع إلى دار معمورة، رأيت البزاز ينظر إلى الفرش، ويحزر قيمته، والنجار إلى السقف، والبناء إلى الحيطان، والحائك إلى النسج.

والمؤمن إذا رأى ظلمةً، ذكر ظلمة القبر، وإن رأى مؤلمًا، ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا، ذكر نفخة الصور، وإن رأى الناس نيامًا، ذكر الموتى في القبور، وإن رأى لذة، ذكر الجنة؛ فهمته متعلقة بما ثم، وذلك يشغله عن كل ما تم.

وأعظم ما عنده أنه يتخايل دوام البقاء في الجنة، وأن بقاءه لا ينقطع، ولا

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار (صـ٣٣٣) لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري (ت:٣٨٤هـ) تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، ط/ دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

(٢) رواه الدارمي (كتاب العلم-بابٌ في فضل العلم والعالم-٣٤٣-١/ ٣٥٥)، وقال محققه: إسناده صحيح إلى الحسن.

يزال، ولا يعتريه منغص، فيكاد إذا تخايل نفسه متقلبًا في تلك اللذات الدائمة، التي لا تفنى: يطيش فرحًا، ويسهل عليه ما في الطريق إليها، من ألم، ومرض، وابتلاء، وفقد محبوب، وهجوم الموت، ومعالجة غصصه، فإن المشتاق إلى الكعبة يهون عليه رمل زرود، والتائق إلى العافية لا يبالي بمرارة الدواء، ويعلم أن جودة الثمر ثَمَّ على مقدار جودة البذر هاهنا، فهو يتخير الأجود، ويغتنم الزرع في تشرين العمر من غير فتور، ثم يتخايل المؤمن دخول النار والعقوبة، فيتنغص عيشه، ويقوى قلقه، فعنده بالحالين شغل عن الدنيا وما فيها، فقلبه هائم في بيداء الشوق تارة، وفي صحراء الخوف أخرى، فما يرى البنيان.

فإذا نازله الموت، قوي ظنه بالسلامة، ورجا لنفسه النجاة، فيهون عليه، فإذا نزل إلى القبر، وجاءه من يسألونه، قال بعضهم لبعض: دعوه، فما استراح إلا الساعة.

نسأل الله ﷻ يقظةً تامةً، تحركنا إلى طلب الفضائل، وتمنعنا من اختيار الرذائل؛ فإنه إن وفق؛ وإلا فلا نافع"[(١)].

أخي في الله: إن المغرور حقًا من غرته هذه الدنيا، وإن المبخوس حظًا من كان من أبناء الدنيا!

ولا تَغترَّ بالدنيا فإنَّ صحيحَها يَسْقَمْ
وإنَّ جديدَها يَبْلَى وإنَّ شبابَها يَهْرَمْ
وإنَّ نعيمَها يفنَى فتركُ نعيمها أحْزَمْ

---

(١) صيد الخاطر (صـ٤١٢).

ومَـــنْ هـــذا الـــذي يبقَـــى علـــى الحـــدثان أو يَسْـــلَمْ

كـــأنَّ محاســـنَ الـــدُّنيَا ســـاربٌ وأيُّ يـــد تنازلـــت السَّـــرَابَا

فيـــا عجبًـــا تمـــوتُ وأنـــتَ تبنـــي وتتَّخـــذُ المصـــانعَ والقبابَـــا

أراك وكلَّمـــا فَتَّحْـــتَ بابًـــا مـــن الـــدنيا فَتَحـــتَ عليـــكَ نابَـــا

ألـــمْ تَـــر أنَّ غُـــدوةَ كـــل يـــوم تزيُـــدكَ مـــن منيَّتـــك اقترابَـــا

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(١).

يـــا بَـــانيَ الـــدَّار المُعـــدَّ لهَـــا مـــاذَا عملـــتَ لـــداركَ الأخْـــرَى

ومُمهِّـــدَ الفُـــرُش الـــوَثيرة لا تُغفـــلْ فـــراشَ الرَّقْـــدَة الكُبـــرى

ولقـــد دعيـــتَ وقـــد أجَبْـــتَ لمـــا تُـــدعَى لـــه فـــانظُرْ لمـــا تُـــدْعَى

وحتى يوحِّد المرء همه، ويجعل همه الآخرة أن يعلم أن الراحة والسعادة في الدار الآخرة في الجنة جعلنا الله ﷻ من أهلها:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ

---

(١) رواه مسلم (كتاب الزهد والرقائق-٢٩٥٧-٤/ ٢٢٧٢).

وَالمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «**العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»(١).

قال النووي: "مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَوْتَى قِسْمَانِ مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ وَنَصَبُ الدُّنْيَا تَعَبُهَا وَأَمَّا اسْتِرَاحَةُ العباد مِنَ الْفَاجِرِ مَعْنَاهُ انْدِفَاعُ أَذَاهُ عَنْهُمْ وَأَذَاهُ يَكُونُ مِنْ وُجُوهٍ مِنْهَا ظُلْمُهُ لَهُمْ وَمِنْهَا ارْتِكَابُهُ لِلْمُنْكَرَاتِ فَإِنْ أَنْكَرُوهَا قَاسَوْا مَشَقَّةً مِنْ ذَلِكَ وَرُبَّمَا نَالَهُمْ ضَرَرُهُ وَإِنْ سَكَتُوا عَنْهُ أَثِمُوا وَاسْتِرَاحَةُ الدَّوَابِّ مِنْهُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يؤذيها ويضربها وَيُحَمِّلُهَا مَا لَا تُطِيقُهُ وَيُجِيعُهَا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَاسْتِرَاحَةُ الْبِلَادِ وَالشَّجَرِ فَقِيلَ لِأَنَّهَا تُمْنَعُ الْقَطْرَ بِمُصِيبَتِهِ قَالَهُ الدَّاوُدِيُّ وَقَالَ الباجي لِأَنَّهُ يَغْصِبُهَا وَيَمْنَعُهَا حَقَّهَا مِنَ الشُّرْبِ وَغَيْرِهِ"(٢).

قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا أَرْضَ اللهِ بِسَاطًا، وَتُرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طِيبًا، وَالْكِتَابَ شِعَارًا، وَالدُّعَاءَ دِثَارًا، وَرَفَضُوا الدُّنْيَا رَفْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ أَضَرَّ بِالدُّنْيَا وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا أَضَرَّ بِالْآخِرَةِ، يَا قَوْمِ فَأَضِرُّوا بِالْفَانِي لِلْبَاقِي»(٤).

---

(١) رواه البخاري (كتاب الرقاق-باب سكرات الموت-٦٥١٢-٨/ ١٠٧)، ومسلم (كتاب الجنائز-باب ما جاء في مستريح ومستراحٍ منه-٩٥٠-٢/ ٦٥٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ٢١).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (فَصْلٌ فِيمَا بَلَغَنَا عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ "فِي مَعْنَى مَا تَقَدَّمَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"-١٠١٤١-١٣/ ١٧٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (كلام ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-٣٤٥١٩-٧/ ١٠٣)، والطبراني في الكبير (خطبة ابن مسعود-٨٥٦٦-٩/ ١٠٨)، والحاكم (٨٤٨٧-٤/ ٥٢٩)، وحسنه الألباني =

فمن أراد السعادة في دنياه وأخراه، وصلاح البال فليجعل همَّه همَّ المعاد، فليجعل همَّه الآخرة يجمع الله له شمله، ويجعل غناه بين عنينه، والدنيا ستأتيه راغمة، فاللهم اجعل الآخرة همَّنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، واجعل الجنة هي دارنا ومستقرنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

۞

=

مرفوعًا، وصححه موقوفًا (٣٢٨٧-٧/ ٨٤٩).

الفصل الثاني والعشرون
صلاح البال بكتمان الأسرار

قال الماوردي: اعْلَمْ أَنَّ كِتْمَانَ الْأَسْرَارِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ النَّجَاحِ، وَأَدْوَمِ لِأَحْوَالِ الصَّلَاحِ.

رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**اسْتَعِينُوا عَلَى الْحَاجَاتِ بِالْكِتْمَانِ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**»(١).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: سِرُّك أَسِيرُك فَإِنْ تَكَلَّمْت بِهِ صِرْت أَسِيرَهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ، ضَنِينًا بِالْأَسْرَارِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ. فَإِنَّ أَحْمَدَ جُودِ الْمَرْءِ الْإِنْفَاقُ فِي وَجْهِ الْبِرِّ، وَالْبُخْلُ بِمَكْتُومِ السِّرِّ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ إلَيْهِ، وَمَنْ أَفْشَاهُ كَانَ الْخِيَارُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مَا أَسَرَّك مَا كَتَمْت سِرَّك.

وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ: مَا لَمْ تُغَيِّبْهُ الْأَضَالِعُ فَهُوَ مَكْشُوفٌ ضَائِعٌ.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (باب من اسمه إبراهيم-٢٤٥٥-٣/ ٥٥)، وجوّد إسناده الألباني من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-١٤٥٣-٣/ ٤٣٦).

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ، وَهُوَ أَنَسُ بْنُ أُسَيْدٍ:

وَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ ... فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا

فَإِنِّي رَأَيْتُ وُشَاةَ الرِّجَالِ ... لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحَا

وَكَمْ مِنْ إِظْهَارِ سِرٍّ أَرَاقَ دَمَ صَاحِبِهِ، وَمَنَعَ مِنْ نَيْلِ مَطَالِبِهِ، وَلَوْ كَتَمَهُ كَانَ مِنْ سَطْوَتِهِ آمِنًا، وَفِي عَوَاقِبِهِ سَالِمًا، وَلِنَجَاحِ حَوَائِجِهِ رَاجِيًا.

وَقَالَ أَنُوشِرْوَانَ: مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ: الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ، وَالسَّلَامَةُ مِنْ السَّطَوَاتِ.

وَإِظْهَارُ الرَّجُلِ سِرَّ غَيْرِهِ أَقْبَحُ مِنْ إِظْهَارِهِ سِرَّ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ يَبُوءُ بِإِحْدَى وَصْمَتَيْنِ: الْخِيَانَةُ إِنْ كَانَ مُؤْتَمَنًا، أَوْ النَّمِيمَةُ إِنْ كَانَ مُسْتَوْدَعًا. فَأَمَّا الضَّرَرُ فَرُبَّمَا اسْتَوَيَا فِيهِ وَتَفَاضَلَا، وَكِلَاهُمَا مَذْمُومٌ، وَهُوَ فِيهِمَا مَلُومٌ.

وَفِي الِاسْتِرْسَالِ بِإِبْدَاءِ السِّرِّ دَلَائِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ مَذْمُومَةٍ:

إِحْدَاهَا: ضِيقُ الصَّدْرِ، وَقِلَّةُ الصَّبْرِ، حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَتَّسِعْ لِسِرٍّ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى صَبْرٍ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ ... وَلَامَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ ... فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وَالثَّانِيَةُ: الْغَفْلَةُ عَنْ تَحَذُّرِ الْعُقَلَاءِ، وَالسَّهْوُ عَنْ يَقِظَةِ الْأَذْكِيَاءِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: انْفَرِدْ بِسِرِّكَ وَلَا تُودِعْهُ حَازِمًا فَيَزِلَّ، وَلَا جَاهِلًا فَيَخُونَ.

وَالثَّالِثَةُ: مَا ارْتَكَبَهُ مِنْ الْغَدْرِ، وَاسْتَعْمَلَهُ مِنْ الْخَطَرِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: سِرُّك مِنْ دَمِك، فَإِذَا تَكَلَّمْت بِهِ فَقَدْ أَرَقْتَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ الْأَسْرَارِ مَا لَا يُسْتَغْنَى فِيهِ عَنْ مُطَالَعَةِ صَدِيقٍ مُسَاهِمٍ، وَاسْتِشَارَةِ نَاصِحٍ مُسَالِمٍ، فَلْيَخْتَرْ الْعَاقِلُ لِسِرِّهِ أَمِينًا إنْ لَمْ يَجِدْ إلَى كَتْمِهِ سَبِيلًا، وَلْيَتَحَرَّ فِي اخْتِيَارِ مَنْ يَأْتَمِنُهُ عَلَيْهِ وَيَسْتَوْدِعُهُ إيَّاهُ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى الْأَمْوَالِ أَمِينًا كَانَ عَلَى الْأَسْرَارِ مُؤْتَمَنًا.

وَالْعِفَّةُ عَنْ الْأَمْوَالِ أَيْسَرُ مِنْ الْعِفَّةِ عَنْ إذَاعَةِ الْأَسْرَارِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُذِيعَ سِرَّ نَفْسِهِ بِبَادِرَةِ لِسَانِهِ، وَسَقَطِ كَلَامِهِ، وَيَشُحُّ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ، حِفْظًا لَهُ وَضَنًّا بِهِ، وَلَا يَرَى مَا أَذَاعَ مِنْ سِرِّهِ كَبِيرًا فِي جَنْبِ مَا حَفِظَهُ مِنْ يَسِيرِ مَالِهِ مَعَ عِظَمِ الضَّرَرِ الدَّاخِلِ"(١).

فإذا كان المرءُ حافظًا لسره، كاتمًا له عن غيره أَمِنَ من الغوائل، وسَلِم من الشرور، واستقرَّ حاله، وصلُح بالُه، اللهمَّ ارزقنا صلاحَ البالِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

❊

(١) أدب الدنيا والدين (صـ٣٠٧) للماوردي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبمنته تدوم الطيبات، وبذكره تتنزل الرحمات، وبطاعته تكثر البركات، وبدعائه تنكشف البليَّات، وبكلامه تزول العقبات، وبرحمته تسعد الكائنات، والصلاة والسلام على محمدٍ من جعله الله رحمةً للكائنات، وهدايةً للبشريات، ونورًا من الظلمات، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بهذا الدين، ودافعوا عنه بالغالي والنفيس، والأرواح والأجساد، وثبتوا عليه حتى الممات، وعلى كلِّ من سلك سبيلهم وفاز بالثبات، إن ربنا هو المنعم المتفضل رب الأرض والسماوات.

وبعد فبعد السباحة في هذا الكتاب: «فصل المقال في صلاح البال» يتجلى جيدًا من خلال فصوله الستة والستين أن صلاح البال يكمن في طاعة الله ﷻ بتوحيده، واتباع دينه، واتباع هدي رسوله ﷺ، فمن أراد الراحة، والسعادة، والطمأنينة، والهناء، والسكون فليلزم عتبة العبودية سيفوز بالسعادة الدنيوية والأخروية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ الْعُبُودِيَّةِ".

فنسأل الله بمنه، وهو المنان، وبكرمه وهو الكريم، أن يمنَّ علينا بصلاح البال، والسعادة في الآجل والحال، وأن يختم لنا حياتنا بخير المقال «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وأن يحشرنا في صحبة سيد الرجال سيدنا محمد ﷺ،

وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه ذي الإكرام والجلال، إن ربَّنا بكل جميلٍ كفيل، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

كتبه أفقر الورى إلى رحمة ربه جلَّ وعلا

هاني فضل علام

بني مجدول-الجيزة-مصر

تم الفراغ منه الخميس ١٧ربيع أول ١٤٤٤هـ=١٣أكتوبر٢٠٢٢م.

والحمد لله رب العالمين

❀

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١-أثر العبادات في حياة المسلم: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ط/ دار المغني- الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٢-إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ات:٥٠٥هـ)، ط/ دار المعرفة – بيروت.

٣-الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط/ مطبعة سفير.

٤-آداب العشرة، وذكر الصحبة والأخوة-آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (ت:٩٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور عمر موسى باشا، ط/ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

٥-أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، ط/ دار مكتبة الحياة (١٩٨٦م).

٦-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين

الألباني، ط/ المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ–١٩٨٥م).

٧-الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار: لابن عبد البر القرطبي (٣٦٨هـ-٤٦٣هـ)، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، ط/ دار قتيبة- دمشق، ط/ الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

٨-الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار: لابن عبد البر القرطبي (٣٦٨هـ-٤٦٣هـ)، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، ط/ دار قتيبة- دمشق، ط/ الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

٩-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ط/ دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

١٠- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١١- أيسر التفاسير: أسعد حومد.

١٢- الإيمانُ والعملُ الصالحُ سَببُ النَّجاحِ والفلاحِ: جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.

١٣- بحر الدموع: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: جمال محمود مصطفى، ط/ دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

١٤- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري (ت:٣٨٤هـ) تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل-أحمد فريد المزيدي، ط/ دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١٥- البحوث التربوية في مجلة البيان: إعداد/ علي بن نايف الشحود.

١٦- بهجة المجالس وأنس المجالس: لابن عبد البر.

١٧- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية.

١٨- التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس (١٩٩٧م).

١٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت:١٣٥٣هـ)، اعتنى به: يوسف الحاج أحمد، ط/ مكتبة ليبيا الجديدة- طرابلس، ط/ الأولى (١٤٣٢ه- ٢٠١١).

٢٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (١٣٥٣ه)، ط/ دار الكتب العلمية-بيروت.

٢١- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، ط/ دار القلم - بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

٢٢- تحقيق الوصال بين القلب والقرآن: مجدي الهلالي، ط/ مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٢٣- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط/ مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٥ هـ).

٢٤- التربية القرآنية وأثرها على الفرد والمجتمع: د. محب الدين بن عبد السبحان واعظ- الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة-كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى-مكة المكرمة (١٤٢٧هـ).

٢٥- تزكية النفوس: د. أحمد فريد، ط/ دار العقيدة للتراث- الإسكندرية (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٢٦- تعريف غير المسلمين بالإسلام: محمد بن إبراهيم الحمد.

٢٧- التفريغ النصي لخطبة الجمعة: الصلاة على الحبيب الشفيع ق.

٢٨- التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من

الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط/ عمادة البحث العلمي-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

٢٩- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط/ دار طيبة ، ط/ الثانية (١٤٢٠ه).

٣٠- التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب، ط/ دار الفكر العربي – القاهرة.

٣١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلى- ط/ دار الفكر المعاصر-بيروت دمشق (١٤١٨ه).

٣٢- التفسير الوسيط: الشيخ محمد سيد طنطاوي، ط/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة-الطبعة: الأولى.

٣٣- تقرير القواعد وتحرير الفوائد [المشهور بـ «قواعد ابن رجب»]: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت:٧٩٥ هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط/ دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

٣٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، ط/ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب (١٣٨٧هـ).

٣٥- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).

٣٦- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، ط/ دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٠ه)، تحقيق : د. محمد رضوان الداية.

٣٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٣٨- التيسير في أحاديث التفسير (٥/ ٢٩) محمد المكي الناصري (ت:١٤١٤هـ)، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٣٩- الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق): معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/ المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).

٤٠- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

٤١- الجامع الصحيح: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ق وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ الأولى (١٤٢٢ه).

٤٣- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت:٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/ دار الكتب المصرية –القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).

٤٤- الجامع لأحكام القرآن=تفسير القرطبي (١٣/ ١١٣).

٤٥- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط-عبد القادر الأرناؤوط، ط/ دار العروبة –الكويت، الطبعة الثانية (١٤٠٧–١٩٨٧م).

٤٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط/ دار الكتاب العربي –بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٥ه).

٤٧- خطوات إلى السعادة: عبد المحسن بن محمد بن عبد الرحمن القاسم القحطاني- الطبعة الرابعة (١٤٢٧هـ).

٤٨- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان- الطبعة الرابعة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٤٩- دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ: شحاتة محمد صقر، ط/ جـ١ / دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث– البحيرة، جـ ٢/ دار الخلفاء الراشدين - دار الفتح الإسلامي (الإسكندرية).

٥٠- رحلة إيمانية مع رجالٍ ونساءٍ أسلموا: عبد الرحمن محمود.

٥١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط/ دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

٥٢- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ دار الكتب العلمية-بيروت (١٣٩٧هـ–١٩٧٧م).

٥٣- زاد المعاد في هدي خير العباد: ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

٥٤- الزهد والرقائق: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت:١٨١هـ)، تحقق: حبيب الرحمن الأعظمي- ط/ دار الكتب العلمية –بيروت.

٥٥- الزهد: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، ط/ دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

٥٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.

٥٧- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت:١٤٢٠هـ)، ط/ دار المعارف، الرياض- المممكلة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٥٨- السنة رواه عبد الله بن أحمد في (٦٣٥-١/ ٣١٦).

٥٩- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت.

٦٠- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت:٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

٦١- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،

الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ٢،١)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ٥،٤)، ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

٦٢- سوء الخلق: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، ط/ درا بن خزيمة.

٦٣- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ الثالثة (١٤٠٥ه).

٦٤- شرح الأربعين النووية: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/ دار الثريا للنشر.

٦٥- شرح الترمذي للشنقيطي.

٦٦- شرح العقيدة الأصفهانية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، ط/ المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

٦٧- الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)، ط/ دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى (١٤٢٢-١٤٢٨هـ).

٦٨- شرح رياض الصالحين: للشيخ الطبيب أحمد حُطيبة (دروسٌ

صوتية).

٦٩- شرح كتاب الجامع لأحكام الصيام وأعمال رمضان: للشيخ الطبيب أحمد حطيبة (دروسٌ صوتيةٌ مفرغةٌ).

٧٠- صلاة الاستخارة أحكام مهمة جدًا لإتقانها: سند بن علي بن أحمد البيضاني.

٧١- الصمت: الصمت وآداب اللسان

٧٢- صيد الخاطر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، ط/ دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٧٣- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت:٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٧٤- عقوق الوالدين: أسبابه - مظاهره - سبل العلاج: محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٧٥- العقيدة في الله: د/ صالح الرقب أستاذ مشارك في العقيدة والمذاهب المعاصرة، ود/ محمد حسن بخيت أستاذ مشارك في العقيدة والمذاهب المعاصرة، الجامعة الإسلامية - كلية أصول الدين-غزة- فلسطين، الطبعة

الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م).

٧٦- علم الأخلاق الإسلامية: مقداد يالجن محمد علي، ط/ دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٧٧- الفاخر: المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت:٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي: محمد علي النجار، ط/ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى (١٣٨٠هـ).

٧٨- فتاوى الشبكة الإسلامية (أثر الإيمان والصلاة في حصول السكينة والراحة النفسية).

٧٩- فتح الباري: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الفكر.

٨٠- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:١٢٥٠هـ)، ط/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ).

٨١- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت:٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، ط/ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٨٢- فضل الصلاة على النبي ق: إسماعيل بن إسحاق الجهضي القاضي المالكي، تحقيق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، ط/ المكتب الإسلامي–بيروت، الطبعة الثالثة (١٩٧٧م).

٨٣- فقه الإسلام «شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام»: عبد القادر شيبة الحمد، ط/ مطابع الرشيد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٨٤- في ظلال القرآن: الشيخ سيد قطب، ط/ دار الشروق ـ القاهرة.

٨٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، ط/ المكتبة التجارية الكبرى (١٣٥٦هـ).

٨٦- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت:٨١٧هـ)، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الثامنة(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م).

٨٧- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت:٩٠٢هـ)، دار الريان للتراث.

٨٨- كيف تواجه الشهوة: محمد عبد الله الدرويش.

٨٩- لا تحزن: عائض بن عبد الله القرني، ط/ مكتبة العبيكان.

٩٠- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (٦٣٠هـ-٧١١هـ)، ط/ دار صادر- بيروت.

٩١- المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن

أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط/ الثانية (١٤٠٦ه–١٩٨٦م).

٩٢- مجلة البيان (من مشكاة النبوة).

٩٣- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت:٧٢٨هـ)، تحقيق: أنور الباز–عامر الجزار، ط/ دار الوفاء، الطبعة الثالثة (١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م).

٩٤- مجموعة القصائد الزهديات: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت:١٤٢٢هـ)، ط/ مطابع الخالد للأوفسيت– الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

٩٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق: عمر الطباع، ط/ دار القلم (١٤٢٠هـ–١٩٩٩م).

٩٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٩٦).

٩٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/ دار الكتب العلمية (١٤١٣هـ–١٩٩٣م).

٩٨- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت:٧٥١ه)، تحقيق محمد حامد الفقي، ط/ دار

الكتاب العربي (١٣٩٣–١٩٧٣م).

٩٩- المسلم وحقوق الآخرين: أبو فيصل البدراني.

١٠٠- مسند البزار=البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(ت:٢٩٢هـ)، تحقيق: مجموعة علماء، ط/ مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

١٠١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت:٧٧٠هـ)، ط/ المكتبة العلمية –بيروت.

١٠٢- معالم السنن [وهو شرح سنن أبي داود]: أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي (٢٨٨ هـ)، ط/ المطبعة العلمية –حلب، الطبعة الأولى (١٣٥١هـ-١٩٣٢م).

١٠٣- المعجم الصغير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود، ط/ المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت ، عمان، الطبعة الأولى (١٤٠٥ه-١٩٨٥م).

١٠٤- معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء (صـ٣٥٥) نزيه حماد، ط/ دار القلم –دمشق، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

١٠٥- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، ط/ دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

١٠٦- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح: عثمان بن

عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت:٦٤٣هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، ط/ دار الفكر المعاصر-بيروت (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

١٠٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، ط/ دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى (١٣٥٨ه).

١٠٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٢ه).

١٠٩- موسوعة الأخلاق: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، ط/ مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

١١٠- الموسوعة العربية-موقع النجاح نت.

١١١- الموسوعة الفقهية الكويتية: صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية-الكويت، الطبعة (١٤٠٤هـ-١٤٢٧هـ)، ط/ دار السلاسل-الكويت، ط/ مطابع دار الصفوة – مصر.

١١٢- موسوعة فقه القلوب (٢/ ١٥٠٩) للتويجري.

١١٣- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ق: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط/ دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

١١٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، ط، دار الكتب العلمية-

بيروت (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

١١٥- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي ابن محمد الشوكاني (ت:١١٥٠هـ)، ط/ إدارة الطباعة المنيرية.

١١٦- الوابل الصيب من الكلم الطيب: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت:٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، ط/ دار الكتاب العربي.

١١٧- الوقت وأهميته في حياة المسلم: علي بن نايف الشحود.

١١٨- وقفات بهية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: لأبي يزن حمزة بن فايع الفتحي.

❀ ❁ ❀

فهرس الموضوعات

